

الحكمة

في شعربني عبد القيس

تأليف
د. محمد عثمان الملا

الدار الوطنية الجديدة



الحكمة في شعربني عبد القيس

دراسة موضوعية وفنية للحكمة عند شعراء بنى عبد القيس
في مختلف عصورهم وبيئاتهم على إمتداد التاريخ العربي

تأليف

د. محمد عثمان الملا

الاستاذ المشارك بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

ص. ب ٣٤٩ ٢١٩٥٢ الخبر

تلفون ٨٦٤٠٠٤٠ - فاكس ٨٩٨١٣٠٤

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الملاء ، محمد بن عثمان

الحكمة في شعر بنى عبد القيس - الخبر

٢٨٧ ص ، ٢٤ × ١٧ سم

ردمك ٥ - ٦٩١ - ١٩٦٠

١- شعر الحكمة - نقد ٢- الشعر العربي - نقد

أ- العنوان :

٢٠/٠٣٢٩ ديوبي ٨١١,٠٠٩

رقم الإيداع : ٢٠/٠٣٢٩

ردمك ٥ - ٦٩١ - ١٩٦٠

رقم الإيداع : ٢٠/٠٣٢٩

ردمك ٥ - ٦٩١ - ١٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

إهداء

هذه حبات من لآلئ الخليج العربي كانت مبسوطة بين شواطئه
وقد اتظمت بهذا الكتاب في سلك واحد
فإلى الخليجيين ، وكل من ينشد الحكمة
في أدبهم، أهدي هذا العقد

المؤلف

المقدمة

يرجع المؤرخون المهد الأول لقبيلة (عبد القيس) إلى منطقة تهامة ثم انتقلت إلى منطقة الخليج العربي في القرن الثالث الميلادي.^(١) وعلى ضفافه تفجرت طاقات الإبداع لديهم. يقول الجاحظ: وشأن عبد القيس عجب، وذلك أنهم بعد محاربة إِياد تفرقوا فرقتين، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وهم خطباء العرب، وفرقة وقعت بالبحرين وشق البحرين، وهم من أشعر قبيل في العرب، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة الباردية وفي معدن الفصاحة وهذا عجب.^(٢)

لقد أنجبت هذه القبيلة الضخمة الأعداد، والمعدودة في أرحاء العرب، عدداً كبيراً من الشعراء يربون على عشرة ومنة شاعر ما بين مقل ومحث، ومع ذلك لم يجد أدبها حتى الآن من عنایة الدارسين ما يكفي. وقد أخذت الحكمة من شعرهم نصيباً موفوراً فكانت هاجسهم الأول، وجدناها عند أكثر شعرائهم في مختلف العصور، بدءاً بـ (المنقب العبدى) وانتهاء بـ (محمد الخنizi) وحيث أن هذا الزاد الأدبى الدسم لم يحظ بعنایة الدارسين، ولما له من قيمة وفائدة في حياة الأفراد والجماعات، ولما لهذه القبيلة من أمجاد ومخاير في الجاهلية والإسلام، فقد وجدت لزاماً على أن أتصدى بالدراسة لهذا الموضوع الهام، فالحكمة ضالة المؤمن وهي كما يقول (زهدي الخواجا): تذهب عن الروح أسماقها، وتنتفي آلامها، وتأسو جراحها، وتعيد إليها نضرتها وبهجهتها، والنفس المهمومة تجد في الشعر الشفاء والدواء الذي يخفف من آلامها، فيرتشد الضال، وينجو الغريق من متأهات الحياة، وللحكم سلطة خفية تدفع سامعها إلى جلائل الأمور وتحثه على التخلّي عن صغائرها، وكم من شجاع حمله على الكرو منعه من الفر بيت من الشعر الحكمي.^(٣)

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .٤٨٥/٤

(٢) البيان والتبيين: ٩٦/١ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٣) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ٢١ دار الأصالة للطباعة والنشر بالرياض.

وليس عجبًا من قبيلة تشيع فيها الحكمة أن تجوب كوكبة من الأدباء وجمهوره من العلماء في أدب الدين والدنيا، إلى جانب ما أنجيته من أجواد وشجعان وفرسان. فقد كان منهم كما قال (عبد الملك بن مروان) أشد الناس، وأسخن الناس، وأخطب الناس، وأطوع الناس في قومه، وأحضرهم جوابا.^(٤) وكان لهم أول مسجد في جواثاً أقيمت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول (ص) بالمدينة المنورة، فاكتسب أهمية خاصة ليس لدى عبد القيس فقط وإنما لدى جميع سكان المنطقة.^(٥) وقد تجاوزت بعض بطونهم أو أفخاذهم حدود منطقة الخليج العربي، فأقام بعضهم في الكوفة والبصرة والموصل وفارس وخراسان، أثناء حركة الفتوحات الإسلامية التي شاركوا فيها بفاعلية وحماس.

أما منهجي في البحث فقد بنيت خطته على ثلاثة فصول بعد المقدمة والتمهيد. وقد مهدت للبحث بتعريف بموطن القبيلة ونسبها وتعريف الحكمة. أما الفصل الأول، فقد تناول منابع حكمة عبد القيس، متمثلًا في أربعة منابع: الأول: المنبع الديني، ويحوي ديانة عبد القيس في الجاهلية، وأسلام عبد القيس. والثاني: المنبع التفافي ويشمل: الوروث التفافي الجاهلي، والوروث التفافي الإسلامي، ومعطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال. والثالث المنبع الأجنبي ويشمل الموقع الجغرافي، والنسيج الاجتماعي والأسواق والرحلات.

أما الفصل الثاني فقد كان للحكمة وقضايا الإنسان. ويكون من خمس قضايا، هي قضية الحياة والموت، وقضية العلاقات الاجتماعية، وقضية القيم الأخلاقية، وقضية الشؤون السياسية، وقضية الإيمان والزهد.

أما الفصل الثالث فقد تناول خصائص حكمة عبد القيس، حيث تمثلت في تسع نقاط هي: القطعة الحكمية، والحكمة في القصيدة المركبة والحكمة في القصيدة البسيطة، والإلفاظ والمعاني، والتصوير والتلوين البديعى، وخصائص أخرى تشمل: الوحدة الموضوعية، والإطالة والملاءمة، والتكرار، والصدق والواقعية. ثم ينتهي البحث بخاتمة تلخص نقاطه الهامة ونتائجها. وأخيراً فإن هذا البحث مدین للعديد من المصادر والمراجع، فالشكر الجزييل لأصحابها. كما أشكر زميلي الدكتور عبد الله العساف على ما بذله من مراجعة وعناية. والله من وراء القصد.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الغرير ٣٦٥/٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١

(٥) عبد الرحيم المبارك: قبيلة عبد القيس منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ٥٩ رسالة ماجستير - نادي الشرقية الأدبي ١٤١٥ هـ

المحتويات

٥	- المقدمة
	- التمهيد
١١	(أ) وطن عبد القيس
١٢	(ب) نسب عبد القيس
١٥	(ج) تعريف الحكمة
	الفصل الأول: منابع حكمة عبد القيس
٢٠	أولاً: المنبع الديني
٢١	(أ) ديانات عبد القيس في الجاهلية
٢٥	(ب) إسلام عبد القيس
٣٠	ثانياً: المنبع التقاوبي
٣١	(أ) الموروث التقاوبي الجاهلي
٣٧	(ب) الموروث التقاوبي الإسلامي
٤٣	(ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثل
٤٩	ثالثاً: المنبع الأجنبي
٥٠	(أ) الموقع الجغرافي
٥١	(ب) النسيج الاجتماعي
٥٣	(ج) الأسواق
٥٤	(د) الرحلات والهجرات
٥٨	رابعاً: التجربة الذاتية
	الفصل الثاني: الحكمة وقضايا الإنسان
٦٧	أولاً: قضية الحياة والموت
٩٠	ثانياً: قضية العلاقات الاجتماعية

١٠٤

ثالثاً: قضية القيم الأخلاقية

١١٦

رابعاً: قضية الشؤون السياسية

١٣٤

خامساً: قضية الإيمان والزهد

الفصل الثالث: خصائص حكمة عبد القيس

١٤٥

أولاً: القطعة الحكمية

١٦٣

ثانياً: الحكمة في القصيدة المركبة

١٨٥

ثالثاً: الحكمة في القصيدة البسيطة

٢٠٢

رابعاً: الألفاظ والمعاني

٢٢٦

خامساً: التصوير والتلوين البديعي

سادساً: خصائص أخرى

٢٤٢

(أ) الوحدة الموضوعية

٢٤٨

(ب) الإطالة والملاءمة

٢٥٩

(ج) التكرار

٢٦٣

(د) الصدق والواقعية

٢٧٠

الخاتمة

٢٧٧

المصادر والمراجع

التمهيد

(أ) الموطن

(ب) القبيلة

(ج) تعريف الحكمة

(أ) وطن عبد القيس

كانت ربيعة ومضر تقiman في تهامة وغورها، فلما كثروا وتصايفوا، انتشرت ربيعة بقراط المنازل وحَضَنَ وَعْكَلَيةَ وَرُكْبَةَ وَحَنَّينَ وَغَمَرَةَ أو طاس وذات عرق والعقيق وما والاها من نجد، معهم كندة تشارکهم في الغزو وتأخذ نصيبيها من الغنائم ويتناولون أطراف الشام وناحية اليمن ويتعدون في نجعهم. وكان (عامر الضحيان بن النمر بن قاسط) منزل ربيعة في انتجاجهم وهو صاحب مر باعهم، فقتله بنو عامر بن عبد القيس بغير دم أصابه. فاقتلت عبد القيس مع بنى النمر بن قاسط، فتفرق ت ربيعة في تلك الحرب وتمايزت، فارتلت عبد القيس وشن بن أفصى ومن معهم، وبعثوا الرواد مرتدین فاختاروا البحرين وهجر، وضاموا من بها من اياد والأزد، وشدوا خيلهم بكرانيف النخل، حتى أجلوا إياها إلى العراق. فقال عمرو بن أسوى الليثي بن عبد القيس بعد ذلك بزمان:

فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر
وبكرا نفيينا عن حياض المشقر
الا بلغا عمرو بن قيس رسالة
شطحنا ايادا عن وقاع فقلصت

فغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بينهم فنزلت (جذيمة بن عوف بن عبد القيس) الخط وأعناءها ونزلت (شن بن أفصى) طرفاها وأنذاها إلى العراق. ونزلت (ئكره بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس) وسط القطيف وما حولها. وقال ابن شبه: نزلت (نكرة) الشفار والظهران إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة، وإنما سميت وبينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان بينهما. ونزلت (عامر بن الحارث بن أنمار) والعمور ومعهم (عميرة بن أسد) - حلفاء لهم - الجوف والعيون والاحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم، ودخلت قبائل من عبد القيس وهم (بنو زاكية بن وابلة) و(عمرو بن وديعة) و(عمرو بن نكرة) جوف عمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم. ^(١)

(١) البكري: معجم ما استعجم ١/٨٠-٨٢ - دار عالم الكتب - بيروت

وتقع ديار عبد القيس إلى الشمال من ديار أزد عمان وهي تشرف على الخليج، وتمتد نحو الشمال حتى تصل إلى منازل قبائل بكر بن وائل، وقد خالطتها قبائل أخرى، وسكنت إلى الغرب من ديار عبد القيس تميم التي تمتد ديارها موازية لديار عبد القيس الواقعة إلى شرقها حتى تصل إلى ديار بكر بن وائل وديار أسد التي تؤلف الحدود الشمالية الغربية لها^(٢)

والبحرين في الاصطلاح القديم بلاد واسعة شرقها ساحل البحر وغربيها متصل باليمامة وشمالها متصل بالبصرة وجنوبها متاخم لعمان^(٣). وقد عاشت عبد القيس في البحرين أكثر حقبها الزمنية القديمة وصارت لها السيادة عليها خلال تلك الحقب، ومازالت لها بقية حتى الآن، وطبيعي أن تكثر مواقعها في هذه الديار تبعاً لكثره بطونها وتتنوع أخذادها، وقد انتقل بعض بنى عبد القيس إلى البصرة والكوفة والموصل عندما انشئت لتكون قواعده عسكرية للجيوش الإسلامية الفاتحة، كما استوطن بعضهم البلاد الإسلامية التي ساهموا في فتحها كفارس وخراسان وغيرهما.

(ب) نسب عبد القيس

عبد القيس قبيلة عدنانية كبيرة، ذات جذور عريقة ممتدة، وأغصان وارفة ملتفة، يرتفع نسبها إلى أفصى بن دعمي بن جديلة بن ربعة بن نزار بن معد بن عدنان، ويقرع هذا النسب بادئ ذي بدء إلى فرعين ضخمين هما: اللبوء بن عبد القيس، وأفصى بن عبد القيس، واللبوء هي أبو بطن عظيم يقطنون الموصل، ومن أدبائها البارزين (أبو بكر محمد) و(أبو عثمان سعيد) المعروفة بالخالديين، ولهمما مؤلفات عديدة إلى جانب ديوان شعر كبير، وبتوح في فارس عدد كبير منهم، وينسب العوتى زياد الأعجم والفضل بن خالد إلى هذا الفرع الكبير. وأما أفصى فولد لكيز وشن، وهما قبيلة عبد القيس - على حد تعبير

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٢٤٠ - ٢٤٠ دار العلم للملاتين - بيروت ١٩٧٨

(٣) حمد الجاس: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ٢١٣/١ - منشورات دار اليمامة - الرياض

ابن حزم – ومن شن عمرو بن الجعید، وهو الذى قاد عبد القیس من تهامة إلى البحرين. وكانت أكثر منازل شن شمال البحرين، ومنهم هزیر بن شن أول من تقد القنا بالخط. ومن شعرائها البارزین یزید بن خذاق، وسوید الشنیان، وبشر بن منقد الملقب بالأعور الشنی وعقبة بن عمیرة وسوید بن رئاب وكان رئاب أكبر الحکماء في عبد القیس، ومن متاخریهم أبو البحر الخطی. وكانت سیاسة بنی شن قبل الإسلام تمیل إلى القویة والعنف. وشن هي التي أطبقت على ایاد وزحزحتها عن البحرين، وأجلتها إلى العراق. أما لکیز فقد أنسلت بطوناً كثیرة منها: ودیعة وصباح ونکرة، والبطن الآخر أنجب کبار شعراً القبیلة، کالمتقب العبدی والممزق العبدی، والمفضل العبدی، وعدداً من النساء الشهیرات أمثل سنیة البکریة. وكانت نکرة تمیل إلى السلم وتقوم بالسفرة بين القبیلة وأعدائها. وظهر من صباح رجال وفدوا إلى النبي (ص) کأبی خبرة والقائف وأیاس. وكان لدیعة ثلاثة أبناء: عمرو وغنم ودهن، الذين صارت لهم بطون في عبد القیس، ومن غنم اشتهر رجال في الإسلام منهم، حکیم بن جبلة، ومن ولده یموت بن المزرع، أحد الرواۃ العلماء، وابنه المھلھل، من أهل العلم والروایة، وله كتاب سرقات أبی نواس، ومنهم منقد بن حیان. وقد انحدر من عمرو بطون كثیرة منهم: محارب وعجل والدیل وأنمار، ویطلق على الثلاثة الأوائل العمور، ومنهم همام بن معاویة وعییدة بن مالک ومحارب بن مزیدة الذين وفدوا على النبي (ص). ومن الدیل صحار بن عیاش الخطیب والنسبة، ومنهم الصلتان العبدی، الشاعر والفارس. واشتهر بنو عجل بالخطابة والشعر والریاسة فكان منهم آل صوحان، وأشهرهم صعصعة وزید، ویذكر ابن قتیبة أن بنی صوحان ومصلقة بن رقبة من ولد الدیل من أهل عمان، وأن منهم آل المعذل بالبصرة، آل رقبة ویقال أن خطبة آل رقبة في الجاهلیة كانت بمثابة دستور هام لعبد القیس، ومنهم الشاعر عمرو بن أسوی، والمعذل بن غیلان، شاعر في العصر الأموی، وله أحد عشر ولداً كلهم شعراً، منهم عبد الصمد بن العذل وأحمد بن المعذل في العصر العباسی، ومنهم زخاره الذي رأس عبد القیس حتى مات، ومنهم من

أصحاب الوفد سفيان بن خولي. أما أنمار فقد ولد له كثيرون منهم الحارت وعوف، ومن ولد الحارت بنو عامر بن الحارت، أسرة العيوني التي حكمت البحرين في العقد السابع من القرن الخامس وانتهت في العقد الرابع من القرن السابع للهجرة، ومنها ابن المقرب. الشاعر المعروف، ومن ولد الصيق بن ثابت بن مرة، مهزم ومن أحفاده عبد الله بن أحمد، راوية أهل البصرة المعروف بأبي هفان، صاحب كتاب أخبار أبي نواس ومن بنى مالك عامر العريان بن إبراهيم الذي انتهت إليه الزعامة. ومن بنى سلمة بن مرة ثعلبة الذي يقال له ابن أم حزنه. ومن عوف بن أنمار الربيع بن حوثرة الذي قيل أنه تولى البحرين من لدن عمرو بن هند. ومنهم أيضاً بنو عمرو ومنهم الأشج الذي ترأس وفد عبد القيس إلى النبي (ص)، ووصفه بالحلم والأناء^(٤)، وكان في الوفد عمرو بن المرجوم الذي فاخراً أبوه رجلاً من قومه عند بعض ملوك الحيرة فقال له لقد رجمت بالشرف فسمى مرجوماً. قال لبيد^(٥):

رهط مرجوم ورهط بن المعل
وقييل بن لكيز شاهد

ومنهم معبد بن وهب الذي شهد بدوا وقاتل فيها بسيفين فقال النبي (ص) يا لهف نفسي على فتيان عبد القيس أما أنهم أسد الله في أرضه^(٦). ومن عوف، كذلك بنو جذيمة ومنهم بشر بن عمرو الملقب بالجارود العبدى، وكان خطيباً وحكى ما وسیداً من سادات عبد القيس، وقيل أن جده حكم البحرين زمن الملك عمرو بن هند، وللجارود صحبة ومكانة من النبي (ص) ومن أبي بكر وعمر، وكان فاضلاً في الإسلام، وله في البصرة عقب لهم شرف وحال عليه كما يقول ابن حزم، وابنه المنذر بن الجارود، استعمله علي على فارس وعبد الله بن الجارود الذي ثار على الحجاج وقتله، ومنهم أبو غيلان الحكم بن المنذر سيد عبد القيس، ويقول فيه الحرمazı: ^(٧)

سرادق المجد عليك ممدود
يا حكم بن المنذر بن الجارود

(٤) ابن تراب الظاهري: وفود الإسلام ص ٢٧. دار القibleة ط ٤ - ٤٠٤ هـ

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين: ٢٦٦/١ - مكتبة الخانجي ط ٤ - ١٣٩٥ هـ

(٦) ابن حجر: الأصابة ١٣٤/٦ - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ - ١٤١٥ هـ.

(٧) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦ - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر.

ومن ولد عوف: بنو جذيمة، ورئيسهم على بن مسماز، وكانوا أهل القطيف وملوكها، قديماً. ومن عجل بن عمرو قرط بن الجماح الذي شهد القادسية، وقتل سبعة من الأعلاج. ومن بني الحارث حطمة الذي تسبب إليه الدروع الحطمية، والحارث بن زيد وفهو وأخوه على النبي (ص)، وعبيدة وهمام وفداً أيضاً، وحسان بن يزيد وسفيان بن الحارث ذكراً في جماعة الوفد، ومنهم عياش بن سعيد رئيس بني الحارث، وكان منزله بالجبل المعروف قديماً بالشعبان وحالياً بجبل القارة بالاحساء، ومنهم يحيى بن عياش غالب على القطيف، وابنه زكرياً أخذ البحرين من أبي البهلوان العوام. ومن علماء عبد القيس بالولاء الرقام العبدى صاحب كتاب (الغفو والاعتذار)، والهذيل بن العلاف. وينتسب إلى عبد القيس في الوقت الحاضر آل نهاية وآل شكر وآل الأشقر وآل غردة من بني حجاف في الاحساء وآل خنيزى في القطيف، وهي من الأسر العلمية والأدبية المرموقة، كما ينتهي إلى عبد القيس العماير المعدودون في بني خالد.^(٨)

(ج) تعريف الحكمة

جاء في أساس البلاغة أن أصل الحكمة مشتق من قولهم حكم الفرس أو أحکمه، ثم يننقل الزمخشري لنا معنى الحكمة فيقول حكموه جعلوه حكماً، ورجل حكم، مجريب منسوب إلى الحكمة وحاكمته إلى القاضي رافعته، وهو يتولى الحكومات ويفصل الخصومات، وحكم الرجل مثل حلم صار حكيم، وأحکمته التجارب جعلته حكيمـاً. وفي اللسان: الحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة هو المتقن للأمور. وفي تاج العروس: الحكيم المصيب برأيه الذي يقضى على شيء بشيء وهو الذي يحسن دقائق الصناعات. وهكذا نجد أن لفظة الحكمة شاملة للمعرفة الدقيقة بكل ما يتصل بأمور الدنيا والدين من معارف أو أحكام، ولهذا جعلوا الحكمة اسمـاً للعقل لأنـه يمنع صاحبه من الجهل، فهي جوهر المعرفة.

(٨) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٥ - دار المعارف بمصر. والعوتي: الأنساب ١٤٧/١ وابن الكلبي: جمهرة النسب: ٤٠٣. وابن قتيبة: المعرف ٩٣. والعبد القادر: تاريخ الاحساء ٣٧ . ومقمة ديوان سعيد الخنيزى: مدينة الدراري ١، وابن حجر: الاصابة ٦/١٣٤ - دار الكتب العلمية - بيروت. وحمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية: ٦٠١ - دار اليمامة باليمن ١٣٩٩هـ.

ويكاد الساميون ينفقون على مصطلح الحكمة، فالحكيم عندهم هو العالم الذي ينظر بعين البصيرة إلى أعمق الأمور، بتؤدة وتبصر وأناء، فيبدي رأيه في كل شيء في الحياة، ولهذا كان الحكماء على رأس الهرم الاجتماعي من جهة الرأي والثقافة. ويتفق العرب مع غيرهم على أن الغاية من الحكمة التبصر في الأمور، واستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها والحكم بموجبها. أما مكانة الحكيم عند العرب، فقد كانت تشبه مكانة الفيلسوف عند اليونان، الا أن ذلك لا يعني أن الحكمة والفلسفة بمعنى واحد، فبينهما اختلاف كبير في أسلوب البحث، وفي كيفية التوصل إلى النتائج والمعرفة، وفي الغاية المقصودة من كل منها. فالغاية من الحكمة العظة والعبرة والأخذ بما جاء من الحكم أي غايات عملية تأديبية، بينما الغاية من الفلسفة الشعرية تختلف، فالفلسفة الشعرية هي البحث عن حقائق الأشياء وليس شرطاً للوصول إلى كنها. ولكل انسان فلسفة في هذه الحياة ولو لم يتعدها أو عجز عن التعبير عن سماتها، ويختلف مدى عمقها باختلاف مستوى الأفراد وقدراتهم الفكرية ومدى تحصيلهم لذلك النوع من المعارف الإنسانية، ولا يطلب من الشاعر الحكيم أن يلبس زي الفلسفه، أو ينعزل في صومعتها يرسل منها خلاصة مبادئه جاهداً للدلاء بالبراهين على صحة ما يأتي به، ولكن لكل شاعر رؤية فلسفية ومنهج في الحياة، وخاصة شعراء الحكمة الذين يجنحون بحكمهم إلى مسارب الفلسفة، ويعالجون أموراً فلسفية من خلال تأملاتهم وحكمهم التي تتجه إلى المجتمع والكون والحياة، ويمكن تصور الحكمة في الشعر العربي داخل اطارين: الأول تحوي كل تجارب الإنسان في أمور حياته، وما استخلصه من هذه التجارب من نتائج صاغها في منظوماته، فهو اطار شامل يعرض لأمور منوعة من مثل خلاصة تجارب الإنسان في الحرب والسلام، وفي السعي إلى الرزق، وفي المعاملات، وفي علاقة الرجل بالمرأة، وفي العلاقات الشخصية وما إلى ذلك. والثاني يكاد يختص بعلاقة الإنسان بالكون وكل ما يتعلق بالجانب الخلقي والقيم الإنسانية العليا، وهو اطار خاص محدود يقول (محمد عويس):

ونظن أن هذا الاطار الأخير هو الذي شغل النقاد القدماء حين نظروا إلى الحكمة في الشعر العربي فقالوا: من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويجعل ابن رشيق شعر الحكمة على قمة الشعر العربي من حيث الغاية الخلقية التي يرمي إليها، إلا أنه يضيق دائرة فيقول الشعر خير كله، وذلك ما كان في باب التزهيد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير. ويقول محمد عويس: ومثل هذا التقسيم قد يتفق مع الغاية التربوية للأدب ولكنه لا يوفر في نظرنا أساساً صالحاً لبحث موضوع الحكمة في الشعر العربي بحثاً مستفيضاً، ذلك أن أي تجربة انسانية تؤدي إلى حكمة ما تفيد الآخرين، ومن ثم لا نستطيع إغفال التجارب الإنسانية التي عرضها الشعراء في غير موضوعات الموعظ والزهد. ثم يعقد صلة بين الحكمة والزهد فيرى أن الأولى أصل والثانية فرع، فمن الحكمة تولد الحديث عن الزهد، وهي صلة تمثل غاية سامية ذات سمات خلقية، تتعلق بفكر الإنسان ونظره في الكون، وحقيقة الخلق والخلق عز وجل. ويشمل الحديث الحكمة كل ما صدر عن الشاعر من وصف لخلاصة تجربة انسانية في أي مجال من مجالات الحياة، ويميز زهدى الخواجا بين الحكمة والمثل في أن المثل يرتبط أساسه بحدث أو قصة وهو قول محكى سائد يقصد فيه تشبيهه بمورده، وليس هذا من مقومات الحكمة حتماً كما يقول. أما د. عويس فيرى أن الصلة بين الحكمة والمثل صلة الأصل بالفرع، فالأسأل هو الحكمة التي جاء منها الفرع وهو المثل، ثم يقول: والباحثون يتفقون على أن أدب الحكمة أعم من أدب الأمثال وبه القصص والنوار. وتبدأ الحكمة عند الشاعر بومضات فكرية يسلطها على مجريات الحياة والوجود، فينفع بما يجري من أحداث أو بما هو كائن من أمور، فيتأثر بها فيردها ثانية إلى فكره ومنطقه ويختضعها لعواطفه في الحالها بمزاجه التكويوني، وتتعرض لوضعه النفسي ومكانته الفكرية، وهنا يبرز إلهامه في استبطاط العطة التي يرددتها بين الفكر والعاطفة، حتى تستسلم لإلهامه الشعري بعد صدورها عن وصفه الشعري في السبك، ومدى ما يتمتع به من بيان. ولا يخفى أثر القناعة وصدق العاطفة في نجاح الحكمة وقوتها تأثيرها في النفوس.

والخلاصة أن الحكمة قول موجز بلieve رائع صائب الفكرة دقيق التعبير يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به أو عظة نافعة وعلماً مفيداً أو توجيهها سليماً إلى جانب من جوانب السلوك يصدر من ذي رأي وتجربة، وتكون الحكمة أعظم أثراً عندما يصوغها شاعر له القدرة على التعرف على المعاني والإبداع في الأسلوب. ^(٩)

ودراستنا للحكمية في شعر عبد القيس ستشمل ما جاء منها في مقطوعاتهم وقصائدهم المركبة والقصائد المستقلة بموضوع الحكمة التي تحمل خلاصة تجارب القوم في شؤون حياتهم بمظاهرها العامة والخاصة كافة، بما في ذلك الحديث عن الزهد والمواعظ والأمثال والقيم والمثل والتأملات والخطرات الفلسفية.

(٩) انظر لمحمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ص ١ وما بعدها ، ولزهدي الخواجا: موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر المعربي ص ١٨

الْفَضِيلُ الْأَوَّلُ

منابع حكمة عبد القيس

أولاً: المنبر الديني

(أ) ديانة عبد القيس في الجاهلية

(ب) إسلام عبد القيس

(أ) ديانات عبد القيس في الجاهلية

تقبلت عقيدة أهل سط عبد القيس في الجاهلية ما بينوثنية ويهودية ومسيحية، ويأتي هذا التعدد من أن البيئة التي عاش فيها العبديون - وهي البحرين - كانت ملتقى حضارات العالم القديم، ومركزًا تجاريًا هاماً أتاحت للشعوب التي ترددت عليها أن تتبادل الآراء والأفكار، مما ساعد على انتشار هذه الديانات فيها. ويرجح المؤرخون أن يكون عمرو بن لحي الخزاعي أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان حول الكعبة ونشرها في بلاد العرب ثم انتشرت في البحرين ومنطقة الخليج^(١)، وفي المحراب لابن حبيب أن عبد القيس كانت تعبد صنماً بالمشقر يدعى (ذا الباء) وسدهنَة هذا الصنم بنو عامر، وكانت تلبية من نسك ذا الباء لبيك فاصرفن عنا مصر، وسلمن لنا هذا السفر، إن مما فيهم لمزدجر واكفنا اللهم أرباب هجر^(٢) كما عبدت (قيس) الصنم الذي تسب اليه القبيلة، وكان بهجر ثم نقل إلى أولى، وعبدت مع بكر (عوض) وأوال^(٣). وقد ظهرت اليهودية في البحرين ولكن في حدود ضيقة، وقد بقي هؤلاء اليهود على دينهم بعد ظهور الإسلام، ولم يتعرض أحد لهم بأذى، ولم يخرجوا مع من أخرج من الجزيرة العربية في خلافة عمر بن الخطاب، ولعلهم اندمجو في المجتمع الخليجي، وقد عملوا في التجارة واشتهر منهم في هجر ابن يامين الذي كان يملك عدداً من السفن وبساتين النخيل^(٤). أما العقيدة السماوية الرئيسية التي اعتنقها عبد القيس في الجاهلية فهي المسيحية، ولعلها أتت إلى الخليج العربي عن طريق العراق، حيث كان المناذرة يدينون بالمذهب النسطوري^(٥)، وكانت منطقة البحرين آنذاك تحت نفوذهم. وكان للأديرة دور بارز في انتشار المسيحية في هذه المنطقة، حيث كانت هذه الأديرة محطات استراحة يأوي إليها التجار المسافرون، ويجدون فيها حاجاتهم من الطعام والشراب، وكانت ربيعة في مقدمة القبائل العربية التي دخلت في المسيحية

(١) محمد العقيلي: الخليج العربي في العصور الإسلامية: ٤٧ دار الفكر اللبناني.

(٢) ص ٣١٤ - المكتب التجاري - بيروت.

(٣) المعيني: شراء عبد القيس في العصر الجاهلي ص: ٨٠ قسم الدراسة - رسالة ماجستير مخطوطة بأدب القاهرة

(٤) محمد العقيلي: الخليج في العصور الإسلامية: ٥١

(٥) نفسه: ٤٩

حيث اعتقدوا أكثر بطونها وأخذوها، وعلى رأسها عبد القيس، فقد كان الجارود بن المعلى مسيحياً وكان قومه على دينه ^(٦).

وفي الروض الأنف للسهمي عن حديثه عن شعر عدي بن زيد يقول: العبادي نسب إلى العباد وهم من عبد القيس بن أفصى بن ربيعة، قيل: إنهم انتسلوا من أربعة عبد المسيح وعبد كلال وعبد الله وعبد ياليل وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم عبد، وكانوا قدموا على ملك فقسموا له فقال أنتم العباد فسموا بذلك، وقيل غير هذا. ويمضي قائلاً: وفي الحديث المسند أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء لأنهم تصرروا وهم من ربيعة ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. ثم يقول وذكر الطبراني نسب عدي بن زيد في تميم، وقد دخل هؤلاء في العباد فلذلك ينسب إليهم ^(٧). وهذا القول وإن كان فيه بعض التخليط وعدم الدقة، حين ينسب عدي بن زيد إلى عبد القيس، وحين ينسبهم إلى العباد المعندين في الحديث المسند، مع أن الألوسي يقول: وقد اجتمع على النصرانية في الحيرة قبائل شتى من العرب يقال لهم العباد، وحين ينسب إلى عبد القيس الأسماء الأربع المبتدئة بعد، حيث لم أقف على هذه الأسماء في عبد القيس، في جميع ما اطلعت عليه من كتب الأنساب، أقول إن قول السهمي برغم ما فيه من خلط يدل على انتشار المسيحية في ربيعة ثم في بني عبد القيس، واشتهرها بذلك في الجاهلية. وقد ذهب المسعودي إلى أبعد من ذلك حين نسب الراهب يحيرا إلى العبدية فقال ومنهم بحيري الراهب وكان مؤمناً على دين المسيح واسم بحيري في النصارى جرس وكان من عبد القيس ^(٨). أما رئاب الشني فقد اجمعت المصادر على أنه من عبد القيس، إلا أنها اختلفت في عقيدته، فمنهم من ذهب إلى أنه على دين عيسى عليه السلام كابن دريد والمسعودي الذي يقول: ومن كان في الفترة رئاب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن، وكان على دين المسيح قبل بirth النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا منادياً من السماء قبل بirth النبي صلى الله عليه وسلم خير أهل الأرض ثلاثة رئاب الشني وبحيراً الراهب ورجل آخر لم

(٦) المصدر السابق: ٤٨.

(٧) ٨٦/١: مكتبة الكليات الأزهرية.

(٨) مروج الذهب: ٧٥١ - دار الفكر.

يأت بعد يعني النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا يموت أحد من ولد رثاب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره^(٩)، ومنهم من ذهب إلى تحنيفه وأنه من الحنفاء الجاهليين الذين عرفوا التوحيد وأقروا بالخالق وصدقوا بالبعث والنشور ودعوا إلى الله ونبهوا قومهم على آياته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. ويذكر ابن حزم أن قوم البراء يصفون صاحبهم بأنه كان نبيا^(١٠) وينسبون إليه قوله الحمد لله الذي رفع السماء بغير منار وشق الأرض بغير محفار^(١١)، ولعل هذه العبارة جزء من المواقع والخطب التي كان يذكر بها قومه بين الحين والحين. يقول ابن عبد ربه عن رثاب الشنوي: من وحد الله في الجahلية وسائل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وفدي عبد القيس، وكان يسقي قبر كل من مات من ولده، وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله^(١٢):

اذا مات منهم ميت جيد بالقطدر
بمثل رثاب حين يخطر بالسمسر

ومنا الذي المبعوث يعرف نسله
رثاب وأني للبرية كلها

ومن أشهر الأديرة التي ساهمت في انتشار المسيحية بالخليج العربي مطرنة في قطر تسمى بيت قطر اي^(١٣)، وكان يتبعها عدد من الأسقفيات تغطي مساحة كبيرة من قطر الحالية، وكان أكبر أسقفية في بيت قطر اي^(١٤) أسقفية (سماهيج) كما كان في هجر ودارين أسقفيات أخرى^(١٥). وهناك شخصية عربية مشهورة تضاربت الآراء حول موطنها كما تضاربت حول نسبها وعقيدتها، وهي شخصية قس بن ساعدة الأيادي، فمنهم من يري أنه من نجران، ومنهم من يذهب إلى أنه من البحرين، بدليل سؤال رسول الله عنه وفدي عبد القيس واجابتهم بمعرفتهم إياه واتصالهم به. ففي سيرة ابن سيد الناس بسنده إلى ابن عباس قال قدم الجارود بن عبد الله، وكان سيدا في قومه إلى آخر الرواية التي تقول فسر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا جارود هل في جماعة وفدي عبد القيس من يعرف قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا (يعني الجارود) من بين القوم كنت أقروا أثره^(١٥)

(٩) المصدر السابق : ٦٨ / ١

(١٠) جمهرة أنساب العرب: ٢٩٩ - دار المعارف بمصر

(١١) الكلبي: جمهرة النسب: ٥٩٤ - عالم الكتب - بيروت

(١٢) العقد الفريد: ٣ ٣٥٧ / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١٣) العقيلي: الخليج في العصور الإسلامية: ٤٨ و ٤٩

(٤) نفسه: ٩

(١٥) الألوسي: بلوغ الارب: ٢ / ٢٤٤ دار الكتب العلمية - بيروت

والمعروف أن قبيلة قس وهي إياد كانت تقيم في البحرين إلى أن أخرجتها عبد القيس منها بعد حين، فولت وجهها شطر العراق، وربما بقيت منها بقية في بلادها الأصلي (البحرين) وقد ذهب كثير من الاخباريين والدارسين إلى أن قسا يدين بال المسيحية وأنه كان أسقف نجران ويقطع (لامانس) في كتابه عن يزيد بطلان ذلك ويدرك أنه لم يكن له صلة بنجران^(١١). فاذا لم تكن له صلة بنجران كما يقول (لامانس) فهل هناك ما يمنع أن يكون مقامه في البحرين ! وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم وفدى عبد القيس عنه وهم من البحرين يرجح هذا الاحتمال، وينفي أحد الدارسين المحدثين كون قس مسيحيا ويرى أنه من الحنفاء فيقول: ويظهر مما نسب إليه أنه كان على عقيدة التوحيد يقسم بالله ويحضر على ترك مفاسد عصره والظلم ويضمن آراءه حديثا عن الموت والبعث والحساب^(١٢). وقد حاول بعضهم أن يسلكه في عداد النصارى فجعل منه راهبا نصراانيا، بيد أنه لا دليل على ذلك، وذهب شبنكر إلى أن قسا كان من الركوسية، وهم فرقة عرفهم أهل اللغة بأنهم بين دين النصارى والصابئين، شملت جماعة من الحائزين في أمر دينهم، ولذلك عمدوا إلى السياحة والترهيب والانزواء، وقد حسبهم العرب نصارى فأدخلوهم فيهم في أثناء كلامهم عن هؤلاء^(١٣). وفي بلوغ الارب عن قس أنه أول من تأله من العرب (أي تعبد)^(١٤) وكان النبي صلى الله عليه وسلم معجبا به وبفصاحته وبلغته الدالة على سمو أفكاره، وفي خطبه وأشعاره ترديد للموت وتذكير به ودعوة إلى التأمل في ملکوت الله والاعظام والاعتبار بكل ذلك، وقد ذكر أن قسا أحد المعمريين الذي امتد به العمر إلى مئتين من السنين فاذا صح ذلك فإن قوة تأثيره فيمن حوله تكون أشد وأكثر^(١٥).

(١٦) احمد أمين: فجر الاسلام: ٢٦ - مكتبة النهضة المصرية (١٧) اللوسي: بلوغ الارب: ٢٤٤/٢

(١٨) احمد العمري: الشعراء الحنفاء: ٨٨ دار المعرف ط ١٩٨١

(١٩) اللوسي: ٢٤٦/٢

(٢٠) نفسه

كان الحس الديني لدى عبد القيس قوياً، وليس ذلك بغرير، فقد نشروا في بيئته فكرية خصبة تجمع شتى الأديان والعقائد - كما رأينا فيما سبق - وعلى الرغم من أن كثيراً منهم كان يدين بالنصرانية، إلا أن ذلك لم يكن بالدين الذي تطمن إليه قلوبهم وتشريح له صدورهم، فما أن بدأ الإسلام في الظهور، وسمعوا بظهوره حتى هبوا إليه مسرعين، فكانوا من الفوج الأول الذي دخل فيه، وكان لهم أول مسجد أقيمت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول (ص) بالمدينة المنورة، وفي ذلك يقول شاعرهم^(١):

والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس تعرفه
إلا بطيبة والمحجوج ذي الحجب

وتبدأ قصة إسلامهم عندما كان المنذر بن عائذ العبدى على صلة براهب دارين، وقد أخبره هذا الراهب بأن نبياً يخرج من مكة بدين الإسلام الحق، وأطلعه على صفاته وعلماته مما جعل المنذر يتبع أخباره، فلما سمع بظهوره في مكة أرسل ابن أخته عمرو بن عبد القيس - وهو زوج ابنته - أمامه إلى هناك ليتحقق له من هذا الأمر، وبعث معه تمراً وملحاف لبيعها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه بتمر فقال هذا صدقه فلم يقبله، فبعث إليه بغيره، وقال هذا هدية فقبله، وتألفت حتى نظر إلى ما بين كتفيه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم وعامة الحمد واقرأ باسم ربك الذي خلق، وقال له ادع خالك، ورجع إلى البحرين ودخل منزله بتحية الإسلام، وجاء الأشج إلى عمرو فأخبره فأسلم الأشج وكتما إسلامهما حيناً^(٢). وقد ذكر سبب إسلام عبد القيس برواية أخرى، وتقول هذه الرواية أن أحد بنى غنم بن وديعة واسمها منفذ بن حيان العبدى - ابن أخت الأشج - كان يذهب بتجارته إلى المدينة، وبينما كان منفذ جالساً إذ مر به النبي صلى الله عليه وسلم فنهض إليه منفذ، فقال كيف قومك؟، ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل بأسمائهم، فأسلم منفذ وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ، وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) العبد القادر: تاريخ الاحساء ١١/١ - مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) ابن حجر: الاصابة: ٣٣٠/٣

لجماعة عبد القيس كتابا، فلما دخل إلى قومه كتهم إيه، وكان يصلبي، فقالت زوجته لأبيها المنذر بن عائذ - وهو الأشج - أني انكرت فعل بعلي من ذقم من يثرب أنه ليغسل أطراfe ثم يستقبل الكعبة فيحنني ظهره مره ويضع جبينه على الأرض أخرى، فاجتمعا وتحادثا في ذلك، فوقع الاسلام في قلبه، ثم أخذ المنذر كتابه، وذهب إلى قومه وقرأه عليهم، فأسلموا، وأجمعوا السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) وفي سنة ست من الهجرة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البحرين العلاء بن الحضرمي بر رسالة إلى أميرها المنذر بن ساوي يدعوه فيها إلى الاسلام فأسلم وأسلم معه كثير من العرب من أهل البحرين وبعض العجم، كما بعث معه كتابا آخر يدعو فيه عشرين رجلا من أهل هجر للقدوم عليه فسار إليه في سنة سبع من الهجرة جماعة من عبد القيس، قيل أن عددهم ثلاثة عشر، وقيل أكثر من ذلك، وهم (المنذر بن عائذ) رئيس الوفد و(المنذر بن حيyan) و(مزیده بن مالك) و(عمرو بن مرجوم) و(الحارث بن شبيب) و(عبيده بن همام) و(الحارث بن جندي) و(صهار بن العياش) و(عقبة بن جروة) و(الجهنم بن قثم) و(جويريه العبدى) و(رستم العبدى) و(الزراع بن عامر) ^(٤). ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الأفق صبيحة قدم الوفد، وقال ليأتين ركب لم يكرهوا على الاسلام، وقد أنصروا الركاب وأفقو الزاد بصحابهم علامه، اللهم أغفر لعبد القيس، أتونى لا يسألوني مالا، وهم خير أهل المشرق ^(٥). ولما وصلوا قيل يا رسول الله هؤلاء وفد عبد القيس، قال مرحبا بهم نعم القوم عبد القيس، ولما قدم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن القوم؟ قالوا من ربيعة، قال مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا الندامى ^(٦). وقال الرسول للوفد تبايعون على أنفسكم وعلى قومكم؟ فقالوا نعم، فقال (الأشج) يا رسول الله إنك لن تزأيل الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم فمن أتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، فقال صلى الله عليه وسلم صدق، وكان

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨١/١ - دار احياء التراث العربي - بيروت

(٤) العبد القادر: تاريخ الاحساء ٦٣-٦٠/١

(٥) التویری: نهاية الادب: ٦٦/١٨ مصورة عن دار الكتب المصرية

(٦) أبو تراب الظاهري: وفود الاسلام ٢٧ و ٢٨ - دار القبلة ط ١٤٠٤ هـ

الأشج دميا، فلما نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دمامته قال يا رسول الله أنه لا يستقي في مسوح الرجال إنما يحتاج من الرجل إلى أصغرية لسانه وقلبه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناء^(٧). ثم توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى القبلة واخذ يدعو لعبد القيس، وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار وقال يا معشر الأنصار أكرموا أخوانكم فانهم أشخاصكم في الإسلام أشبه شيئاً بكم أشعاراً وابشاراً، فلما أصبحوا قال كيف رأيتم كرامات اخوانكم لكم قالوا خير اخوان الانوا فرشنا وأطابوا مطعمنا وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم فأعجبت مقالتهم النبي وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً فعرضنا عليه ما تعلمنا وعلمنا فما من علم التحيات وأم الكتاب والسورة وال سورتين والسنن^(٨)، وقد بقي الوفد في ضيافة رسول الله عشرة أيام، وكان الأشج يسائل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن، وكان رسول الله يدئيه منه اذا جلس، وكان يأتي أبي بن كعب فيقرأ عليه وأمر رسول الله للوفد بجوائز وفضل عليهم الأشج فأعطاه اثنى عشرة أوقية ونشا، وكان ذلك أكثر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيز به الوفد^(٩)، وقد أبدى للرسول صلى الله عليه وسلم صعوبة الوصول إليه في غير الأشهر الحرم، وبعد الشقة بينهم وبينه، مع حاجاتهم إلى علمه وتوجيهاته، فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مصر وإننا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم، فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا. فقال أمركم بأربع باليمان بالله واقام الصلاة وaitاء الزكاه وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من النعم، وأنهواكم عن الانتباذ في الدبى والحنتم والمزفت والنغير قال احفظوهن وخبروا بهن من وراءكم^(١٠).

(٧) المصدر السابق ٢٢

(٨) مسند الإمام أحمد ٤٣٢/٣ - المكتب الإسلامي - بيروت

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥٥٨/٥ — دار صادر — بيروت

(١٠) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة: ٥٩١ و ٥٩٠

وفي الاصابة أن الوفد مكث إلى ما بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وبعد الفتح عادوا إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي الذي بعثه الرسول برسالة إلى المنذر بن ساوي وحولوا البيعة مسجدا^(١١)، وفي السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة قام (الجارود بن المعلى العبدى) بوفادة على رسول صلى الله عليه وسلم مع رجال من بنى عبد القيس ذوى آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان، فلما بلغوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف (الجارود) بين يديه وأنشد أبياتاً أولها:

يا نبى الهدى أنتك رجال قطعت فد فدا وألا فآلا

فأدناه النبى صلى الله عليه وسلم منه وقرب مجلسه، فقال له: يا جارود لقد تأخر الموعود بك وبقومك، فقال فداك أبي وأمي أما من تأخر فقد فاته حظه، وتلك أعظم عقوبة وأغلب حوبه، واني الآن على دين (يعنى النصرانية) قد جئتكم به وها أنا تاركه لدینك، أفذلك ما يمحى الذنوب ويرضى رب عن المربيوب، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم فأنا ضامن لك ذلك، فأخلص الآن الوحدانية ودع عنك دين النصرانية، فقال الجارود فداك أبي وأمي فأناأشهد ألا الله الا الله وحده لا شريك له، وأنك محمد عبد ورسوله فأسلم وأسلم من معه من رجال قومه. فسر النبي بهم وباسلامهم، وأظهر من اكرامهم ما سروا به، وأقام الجارود في المدينة حتى فقه في الدين، فلما عاد إلى البحرين دعا قومه إلى الاسلام فأسلموا جميعا^(١٢). وقد افتخر شعراء عبد القيس بسبقهم إلى الاسلام وبرجالهم اللامعين. يقول أحدهم^(١٣):

حقاً بصدق قاله المتكلم	منا صغار والأشج كلامها
بالخير فوق الناجيات الرسم	سبقاً المؤفود إلى النبي فهلا
طوعاً اليه وحدهم لم يكلم	في عصبة من عبد القيس أوجفوا
ولنا البراءة من عذاب جهنم	فمحمد يوم الحساب شهيدنا
وعندما اجتاحت عاصفة الارتداد أنحاء الجزيرة العربية، وارتدى العديد من القبائل عن	

(١١) ابن حجر: ١٧١/٢

(١٢) العبد القادر: تاريخ الاحساء ٢٩٦

(١٣) علي الخطيب: تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة: ١٩١

الاسلام، في أعقاب وفاة رسول الله (ص) ثبتت عبد القيس علي اسلامها، وشاركت في حرب المرتدين، وأعادتهم إلى ظلال الاسلام، مع العلاء بن الحضرمي، يقول كرار النكري: ^(١٤)

فخضت قدمًا إلى كفار دارينا
هاب العلاء حياض البحر مقتحما
وقد تمكنت عبد القيس فيما بعد من القضاء على القرامطة في البحرين بأيدي
أبنائها العيونيين.

وفي ذلك يقول ابن المقرب العيوني ^(١٥)
فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
سل القرامط من شظى جمامهم

(١٤) البلاذري: فتوح البلدان ١٠٤/١ - مكتبة النهضة المصرية، و ابن حجر العسقلاني: الاصابة: ١٩٦/٣ تحقيق عبد الموجود وموض - دار الكتب العلمية - بيروت.

(١٥) ديوانه: ٥٣١ — مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء.

ثانياً: المنبع الثقافي

- (أ) الموروث الثقافي الجاهلي
- (ب) الموروث الثقافي الإسلامي
- (ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال

(أ) الموروث الثقافي الجاهلي:

كان جانب الثقافة في حياة عبد القيس في العصر الجاهلي، وما ورثوه من ذلك، أحد المتابع الهامة لحكمتهم، فقد مكنتهم البيئة الحضرية التي عاشوا فيها من الالامام بشتي صنوف المعرفة الإنسانية المعروفة في عصرهم، حتى نبغ فيهم الكاهن والحكيم والصانع والمصلح والخطيب والشاعر. فقد كان العجيد بن صبرة الشنوي أحد حكام العرب المشهورين في الجاهلية ^(١). وكان رئاب الشنوي من حفائهم الحكماء، حتى اعتبرته عبد القيس في الجاهلية نبياً لكثرة ما جرى على لسانه من الحكمة. ^(٢) وعند كلام المسعودي عن أهل الفترة يقول: ومنهم الراهب بحيراً وكان مؤمناً على دين المسيح عيسى بن مريم، وكان من عبد القيس ^(٣). وقد عرف بنو عبد القيس (قس بن ساعده) وألموا بأخباره، وهو كما قيل أول من أمن بالبعث، وأول من قال أما بعد، وأول من كتب من فلان إلى فلان، وله أشعار كثيرة وحكم وأخبار تبصر في الطب والزجر والفال وأنواع الحكم ^(٤). وكان أبو محسن بن ثعلبة سيداً خطيراً حتى قيل له المصلح، لأنَّه قام بالإصلاح بين بكر وتغلب، وهو جد المتقب العبدية وفيه يقول: ^(٥)

أبي أصلح الحيين بكرًا وتغلبًا
وقد أرْعَشْتَ بَكْرَ وَخَفَ حَلُومَهَا
وَقَامَ بِصَلْحٍ بَيْنَ عَوْفَ بْنَ عَامِرٍ
وَخَطَّةَ فَصْلٍ مَا يَعَابُ زَعِيمَهَا

ومنبني محارب من عبد القيس (الحطمة بن محارب) الذي تسببه الدروع الحطممية، ومنبني شن بن أفصي (هزير بن شن) وهو أول من ثقف القنا بالخط ^(٦)، ولا غرو في ذلك فقد كانت المروءة فيهم تتمثل في صفتين هما العفة والحرفة ^(٧)، مما يدل على تقديرهم للعمل وأنفتهم من البطالة وذل السؤال. وكانت (مارية بنت العجيد العبدية)

(١) ابن جبّاب: المحرر ١٣٥

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٩ - دار المعارف بمصر

(٣) مروج الذهب: ٧٥١ - دار الفكر - بيروت

(٤) الألوسي: بلوغ الارب: ٢٤٦/٢ - دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) ديوان المتقب: ٢٥٧ - معهد المخطوطات العربية

(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٢٩٧

(٧) محاضرات الراغب الأصفهاني: ٤٥٩ - دار مكتبة الحياة - بيروت

من النسوة اللواتي كانت احدهن اذا أصبحت عند زوجها كان أمرها اليها ان شاعت أقامت معه وان شاعت تركته، وذلك لشرفهن وقدرهن^(٨). وقد استمد العبديون من النصرانية بعض ثقافتهم في الجاهلية، فقد كانوا على مذهب النساطرة الذين عرفوا بكثرة معرفتهم لعلوم اليونان، وقد ترجموا كثيرا من الكتب اللاهوتية والفلسفية عن اليونانية، كما اشتهروا بالطب والعلوم الطبيعية، وكان من رجال الدين النساطرة أطباء في بلاد فارس، ومنهم كثيرون انتشروا في الحيرة^(٩) و ماما يشير إلى انتشار المسيحية في بلاد البحرين قبل الاسلام، وجود آثار بمنطقة وادي المية غرب الجبيل فيها كتابات حميرية وردت فيها أسماء نصرانية منها ايليا^(١٠) وكان لبعض عبد القيس عنانية بدراسة كتب أهل الكتاب حتى بعد الاسلام، ومن أمثلة ذلك ما ذكره (خالد بن عرفة) قال: كنت جالسا عند عمر إذ أتى برجل من عبد القيس سكنه بالسوس فقال له عمر أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال نعم، قال وأنت النازل بالسوس قال نعم، فضربه بقناة كانت معه، فقال: الرجل مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر أنت الذي انتسخت كتاب دانيال ؟ قال مبني بأمرك أتبعه، قال انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه ولا تقرره أحدا من الناس^(١١). وكان أشج عبد القيس الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحام والأناه على صلة براهيب دارين، وهو الذي بشره بالنبي المنتظر^(١٢) أما (الجارود العبدى) فقد كان قبل اسلامه نصرانيا حسن المعرفة بتفسير الكتب عالما بسير الفرس بصيرا بالفلسفة والطب، وفي خطبة الجارود في عبد القيس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتداد من ارتد من العرب، سألهم هل تعرفون أن الله أنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعم، وشهدوا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، ثم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقول محمد العبد القادر معلقا على ذلك: وهذا دليل على أن عند عبد القيس علمًا بالنبوات، فلذلك خاطبهم الجارود وحدهم بما عندهم من العلم، فكان العلم أصيلا في الاحسان^(١٣). وكان

(٨) ابن حبيب: المحرر: ٣٩٨ - المكتب التجاري - بيروت

(٩) أحمد أمين فجر الاسلام: ٢٨: مكتبة النهضة المصرية

(١٠) حمد الجاسر: المجمع الجغرافي للمنطقة الشرقية ١٧٢٦

(١١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٦٢ - دار المعارف بمصر ط ٤، ١٩٦٩ م

(١٢) ابن حجر: الاصابة نقلًا عن كتاب ساحل الذهب الأسود لمحمد سعيد السلم ١١٨ - مكتبة الحياة - بيروت

(١٣) تحفة المستفيد: ٦٥ - مكتبة الاحسان الأهلية

(صحابي العبد) خطيباً مفوهاً نسابة، وكانت له صحبة وأخبار حسنة، وقد عرف هذا العالم بسرعة البديهة، فحين قال له معاوية بن أبي سفيان ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال صاحر: شيء تجيشه به صدورنا ثم تقدّمه على ألسنتنا، قال رجل هؤلاء بالبسر أعرف، ظاناً أنه بهذا الكلام ينال من عبد القيس، فما كان من صاحر إلا أن رد في الحال، والله أنا نعلم أن الريح تلقيه وأن البرد يعده وأن القمر يصبغه وأن الحر ينضجه. ثم سأله معاوية صاحر: ما تدعون البلاغة فيكم، قال: الإيجاز قال معاوية فما الإيجاز قال تجيبي فلا تبنيء وتقول فلا تخطيء، ثم قال يا أمير المؤمنين حسن: الإيجاز ألا تبنيء ولا تخطيء^(١٤). وصاحب العبد هذا هو أول من ألف في كتب الأمثال، وروى (أبو عبيد البكري) في كتابه (فصل المقال) شيئاً مما اشتمل عليه كتاب (صاحب) في الأمثال، وهو قصة المثل (لأنفقة لي فيها ولا جمل) وأصله، قال صاحر أول من قاله (الصدوف بنت الحليس العذرية) وكانت تحت (زيد بن الأنس الطائي) وكانت له ابنة يقال لها (الفارعة) وأن زيداً أخدم ابنته الفارعة وأحسن إليها وعزلها عن امرأته (الصدوف) وخرج إلى الشام فغاب حيناً، وأن فتى من بني عذرة يقال له (شبت) علق الفارعة وعلقتها، فكانت تأمر راعي أبيها أن يجعل لها ترويج أبله وأن يحلب لها حليب أبلها قيلاً لشرب اللبن نهاراً، فإذا أحسست وهذا الحي رحل لها جملان ذلولاً كان لأبيها، وتوفى به العذرية فينطلقان إلى تيه من الأرض في عزلة، فإذا كان وجه الصبح أقبلاً، ذلك دأبهما، حتى أقبل أبوها آمناً إلى أهله، وكان شديد الغيرة، فمر بكاهنه في طريقه فقالت له: يرحل جملك ليلاً وحلبة أهلك تحطلب قيلاً، وكان ثم حدث. فأقبل لا يلوي ودخل ليلاً فبدأ بامرأته فوجدها مع عياله مقبلة على ما يصلحها، فخرج إلى خباء ابنته فاستقبلتها خادمتها فقال لها ثكلتك أمك أين الفارعة؟ قالت خرجت تمشي مع فتيات الحي لعيادة بعضهن، وهي عائنة الساعة. فانتقل عنها إلى امرأته ما يشك أنها مريضة فقالت له أني لا أعرف الشر في وجهك فلا تعجل واقف الأثر (لأنفقة لي فيما تكره ولا جمل) فسار قولها مثلاً. ثم رجع إلى خباء ابنته فقال لخادمتها والله لا ينجينك مني إلا الصدق وسل سيفه، فصدقته الخبر. قال: فأين أخذنا؟ قالت: هذا الوجه

(١٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٦/١.

فأتبعها فلما صار غير بعيد وجد الجمل ريح مولاه فترحزح، فقال العذري أما ترين الجمل وحاله، فقالت ما كان يصنع هذا إلا إذا رأى مولاه أو كان قريبا منه، وجعل الجمل يريد ينبعث وهو معقول فلا يقدر على القيام، فقالت الفارعة: لقد أوجست أمرا أو أنسست ذعرا أو رأيت شرا فليته غاب دهرا، فسمعها أبوها فقال قد غبت دهرا فطلبت شرا وأتيت نكرا وقتل الجارية وأنصرف بجمله وهو يقول: ^(١٥)

لا تأمنن بعدي الجواري
عونا من النساء أو عذاريا
أخافها والعار والمساويا

وفي أمثال عرب الجاهلية ما يدل على نمو الحس الحضري والتكافلي لدى عبد القيس ومن ذلك قولهم (مثل هراوة الأعزاب) والهراوة فرس سريعة كانت لعبد القيس بن أفصي، وكانوا يعطونها العزب منهم فيغزو عليها حتى إذا تأهل نزعوها منه. وأعطوها عزبا آخر لا تجاري، فضررت مثلًا. ويقول الفندجاني: الهراوة فرس (الريان بن حويص العبدى) وكانت لا تدرك، وتسمى هراوة الأعزاب، لأنها تصدق بها على أعزاب قومه، فكان العزب منهم يغزو عليها فإذا استقاد مالا وأهلا دفعها إلى آخر من قومه، كانوا يتداولونها كذلك.. فضررت مثلًا فقيل (أعز من هراوة الأعزاب). ^(١٦) وقد سجلت أمثال عرب الجاهلية بعض مشاهير عبد القيس، كالجارود العبدى في قولهم (كما جرد الجارود بكر بن وائل) ^(١٧) ودعيميص العبدى في قولهم (أدل من دعيميص الرمل) وهو الذي بلغ وبار ولم يبلغها أحد سواه ^(١٨)، وقولهم (دم سлаг جبار) وهو رجل من عبد القيس له حديث ^(١٩) وقولهم (أنكح من حوثرة) ^(٢٠).

وفي شعرهم اشارات إلى معرفتهم بفن الرسم إلى جانب الكتابة. يقول ثعلبة العبدى: ^(٢١)

(١٥) البكري: فصل المقال ٣٨٨. ومحمد أبو صوفه: الأمثال العربية ٢٥٨ (جاء فيه قصة مختلفة).

(١٦) ابن الأكلى: أنساب الخيل ٩٠ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥

(١٧) الكلبى: جمهرة النسب ٥٨٥ تحقيق ناجي حسن - عالم الكتب - بيروت

(١٨) الميدانى: مجمع الأمثال: ٢٧٤/١ - مكتبة السنة المحمدية

(١٩) نفسه: ٢٧٠/١

(٢٠) نفسه: ٣٤٧/٢

(٢١) المفضليات: المفضليات ٧٤ - دار المعارف بمصر

فقار خلا منها الكثيب فواجف
تلعب بالسمان فيها الزخارف
يقيم يديه تارة ويخالف

لمن دمن كأنهن صحائف
فما أحدثت فيها العهود كأنما
أكب عليها كاتب بدواته

فهو هنا يصور طريقة الكتابة من اكباب الكاتب عليها، وتسويته بين السطور مرة، ومخالفته مرة أخرى. كما يصور الرسام في لعبه بالأصباغ في الزخرفة والرسم. وفي حديث الممزق العبدى عن الكتابة والصحيفة إشارة واضحة إلى معرفة عبد القيس لنظام الكفالات. يقول: (٢٢)

فلا أنا مولاهم ولا في صحيفه
كفلت عليهم والكافلة تعقى

يقول المعيني: ومن هنا فقد عرفت (عبد القيس) الكتابة والترجمة وفنونا أخرى كالغناء
والرسم والتمثيل. (٢٣)

ومن نماذج عبد القيس الدالة على ثقافتهم المبكرة، قول جندل بن أشمس العبدى (٢٤)

صرفه ارما وعادا	أمام أن الدهر أهلاك
من مساكنها ايسادا	واحتط داودا وأخرج
يرات قد جمع العتادا	وسما فأدرك أسعد الخ
عف نسجه وحوى التلادا	البيض والحلق المضا
ن الخيل شقرا أو ورادا	وله الكتائب يجلبون
بعد صالحه فسادا	فاحطته والدهر يعقب
الا التفكير حين يادا	فكأن ذلك لم يكن

فهو في هذا النص يتناول فكرة الفناء، ويستعرض من خلالها أولى العزم والقوة الذين سادوا ثم بادوا من أمم وأفراد، من أمثال ارم وعاد وداود المذكورين في الكتب المقدسة،

(٢٢) الأصمعيات: الأصمعية: ٥٨

(٢٣) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي: ٣٢

(٢٤) أبو تمام: الوحشيات: ١٦٢ — دار المعارف بمصر

وأيادٍ التي أخرجتها عبد القيس من البحرين، وأسعد بن كرب الكامل الذي لما ملك أكثر العزو في كل ناحية، فقد هلك كل أولئك ولم يبق منهم إلا العضة والاعتبار لمن بريد أن يتعظ ويعتبر. يقول جواد علي: وكان بنو عبد القيس من العرب المتحضرين بالنسبة إلى عرب البوادي، ولهم اتصال بالعالم الخارجي، وقد قام المبشرون بنشر الكتابة بينهم^(٢٥) وقد ظل شعراء عبد القيس في العصور التالية على صلة بال מורوث الثقافي الجاهلي، وأكثر هؤلاء الشعراء تناولاً لذلك في شعرهم ابن المقرب العيوني، ويكفي أن نطلع على ميميته التي مطلعها:

أيدي الحوادث في الأيام والأمم

لنعلم ما لدى الشاعر من ثقافة تاريخية لأعلام الجاهليين، فقد أشار في هذه القصيدة إلى الأمم الباشدة كعاد وارم وطسم وجرهم، وإلى ملوك اليمن من التابعة، وإلى (الحوفزان) سيد بكر بن وائل وإلى فارس العرب الشيباني (بسطام بن قيس) وإلى (هانئ بن قبيصة) الذي احتدمت بسبب وفاته معركة ذي قار وانتصر فيها العرب على الفرس، وإلى (الحارث بن عباد البكري) الذي انتزل حرب البسوس حتى قتل ولده (بحير) بمهانة، فثار وانتصرت به بكر على تغلب، وإلى (جدر بن ضبيعة البكري) الذي اشتري لمهنه بأول فارس، وإلى (الحارث بن سدوس الشيباني) الذي أكثر من الولد في العرب، وإلى (مسلمة بن عبيدة الحنفي) الملقب بالجعد لقوته، وكان أبوه عبيدة أول من خط حجراً ونزل باليمامة، وإلى ذي التاج (هو ذة بن علي الحنفي البكري) شاعر بني حنife وخطيبها وهو صاحب اليمامة، وإلى (حنظلة بن ثعلبة) أول من غير سنة المشركين في قسمة خمس الغنائم، وإلى كليب الذي ضرب به المثل في العز، وإلى أخيه المهلل الذي ثار لمقتله وأشعل حرب البسوس، وإلى عمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. ويطوي بنا الحديث لو تتبعنا كل الاشارات التاريخية التي انطوي عليها شعر ابن المقرب العبدى.

(٢٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٧٨٣/٨ و ٧٨٤

(٢٦) ديوانه ٤٨٣ - مكتبة التعاون الثقافي.

(ب) المورث الثقافي الإسلامي

كانت وفادة عبد القيس على الرسول صلى الله عليه وسلم الأساس الأول لتقافتهم الإسلامية، فقد مكثوا في المدينة ومكة مدة كافية أتاحت لهم فرصة الاطلاع على مبادئ الدين الإسلامي الجديد وكان حديث النبي صلى الله عليه وسلم قطب الرحى في تقافتهم الدينية المبكرة، فقد ورثوا هذا العلم الشريف كابرًا عن كابر، وظهرت بينهم جمهرة من المحدثين لا يتسع المجال لحصرهم. فمن هؤلاء المحدثين من أصحاب الوفادة (رسيم العبدى) وهو عند (ابن ماكولا) بوزن عظيم، ويصفه (ابن منده) بأنه كان فقيها من أهل هجر، وما رواه قال: وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم فنهانا عن الظروف ثم رجعنا إليه في العام التالي فقال أشربوا فيما شئتم الحديث ^(١) ومنهم (سفيان بن همام المحاربى) قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قومك عن نبيذ التمر ^(٢). ومن محدثهم (أبان المحاربى) فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يقول إذا أصبح الحمد لله ربى لا أشرك به شيئاً، وأشهد ألا الله إلا الله، إلا ظل تغفر له ذنبه حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى بات تغفر له ذنبه حتى يصبح ^(٣). ومن كبار تابعيهم (عبد الرحمن بن مسعود العبدى)، أحد أصحاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، نزل المدائن وحدث بها عن علي بن أبي طالب وعن سلمان الفارسي. وما رواه عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتکلفن أحد لضيوفه ما لا يقدر عليه ^(٤) ومن ثقات محدثيهم (عبد الرحمن بن بشر بن الحكم) وما حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا سببى ونسبة. قال عبد الرحمن بن بشر حملني بشر على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينه فقال يا معاشر أصحاب الحديث أنا بشر ابن الحكم، سمع أبي الحكم من سفيان بن عيينه، وقد سمعت أنا منه وحدثت عنه بخراسان،

(١) ابن حجر: الاصابة: ٤٠٣/٢ - تحقيق عبد الموجود ومعوض - دار الكتب العلمية - بيروت

(٢) نفسه: ٣ / ١٠٩

(٣) ابن سعد: الطبقات الکيرى ٧/٨٨ وابن حجر: الاصابة: ١٧١/١

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد ١٠٥ / ٢٠٥

هذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه . وقد عدل بشرًا وابنه عبد الرحمن من أهل الحديث على ابن صالح ووصفهما بأنهما صدوقان .^(٥) ومن زهادهم وواعاظهم (هرم بن حيان العبدى)، وفي مسنن الدارمى: اياكم والعلم الفاسق . فبلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب إليه: ما أردت إلا الخير يكون امام عالم فيتكلّم بالعلم ويعمل بالفسق فيشتبه على الناس . وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية التابعين . وقال العسكري كان من خيار التابعين^(٦) . ومن مشهورى عبد القيس في عصر الصحابة (صعصعة بن صوحان)، كان مسلماً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وله رواية عن عثمان وعلي، وروي عنه أبو اسحاق السبئي والمنهال بن عمر وعبد الله بن بريده وغيرهم، وكان من كبار خطباء العرب وفصحائهم، وكان فقيها، وهو القائل لعمر بن الخطاب حين قسم المال الذي بعثه إليه أحد الولاه، وكان منه ألف درهم، وفضلت منه فضلة، فاختلفوا عليه أين يضعها، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بقيت لكم فضله بعد حقوق الناس ماذا تقولون فيها؟ فقام صعصعة بن صوحان - وهو غلام شاب - فقال يا أمير المؤمنين إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآن، وأما ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها، فقال عمر صدقت أنت مني وأنا منك فقسمه بين الناس^(٧) . وقد وصف عبد الملك بن مروان صعصعة بأنه أحضر الناس جواباً، وذكر رده على معاوية أما قولك يا معاوية إنما قدمنا الأرض المقدسة فلعمري ما الأرض تقدس الناس، وما يقدس الناس إلا أعمالهم، وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر (يعني الشام) فلعمري ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمناً، وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاً . فقد ولدتهم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه، فمنهم الحليم والسفه والجاهل والعالم، وأما أحلم الناس، فان ولد عبد القيس قدموا على النبي (ص) بصدقاتهم ففرقها رسول الله (ص) وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ثم قال يا أشج أدن مني فدنا منه، فقال (ص) إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله، الآلة والحلم، وكفي برسول الله شاهدا^(٨)

(٥) المصدر السابق: ٣٧١/١٠

(٦) ابن حجر: الاصابة: ٤١٨ / ٦

(٧) نفسه: ٢٠٠ / ٢

(٨) صفوتو: جمهرة خطب العرب ٣٧٠/٢ و ٣٧١

ومن كبار فضلائهم (زيد بن صوحان) وهو أخو صعصعه، من التابعين نزل الكوفة وسمع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وروي عنه (أبو وائل شقيق بن سلمة الأستي)، و(الفارار بن حرث) وغيرهما، وروي عن علي أن رسول الله (ص) قال من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان، وقد قطعت يد زيد في جهاد المشركين بيوم جلولا. ويروي أبو قدامة أن زيداً كان في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يومهم زيد يأمره بذلك سلمان. وحدث (سلمان بن ثروان) أن سلمان كان يقول لزيد يوم الجمعة قم فذكر قومك. وقال (مطرف) كما نأي زيداً فيقول لنا يا عبيد الله أكرموا وأجملوا، فانما وسيلة العباد إلى الله خصلتان الخوف والطمع. ومما يشير إلى مكانة زيد ما رواه أبو الهذيل قال: دعا عمر بن الخطاب زيداً بن صوحان فضفنه على الرحل كما تضفون أمراءكم، ثم التفت إلى الناس فقال اصنعوا هذا بزيد وأصحاب زيد^(٩).

وقد قتل زيد في معركة الجمل، وفي هذه الفتنة دارت مساجلات خطابية شارك فيها زيد بقوله: يا عبد الله بن قيس رد الفرات عن أدراره، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريده، فدع عنك ما لست مدركاً ثم قرأ (الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ولیعلمن الكاذبين *) سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وأنفروا إليه أجمعين تصيبيوا الحق^(١٠).

ومن علماء عبد القيس (ابن شفيق العبد المروزي) قدم بغداد وحدث بها عن كوكبة من المحدثين، وروت عنه كوكبة منهم أحمد بن حنبل، وقال يحيى بن معين: ما أعلم أحداً قد علينا من خراسان كان أفضل من ابن شفيق. وكان عالماً بابن المبارك سمع الكتب منه مراراً وحفظها ووعها، وكان أول أمره المنازعة مع أهل الكتاب حتى كتب الانجيل والتوراه والأربعة والعشرين كتاباً من كتب عبد الله بن المبارك^(١١).

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ م ١٢٣

(١٠) صفت: جمهرة خطب العرب ٢٩٧/١

(١١) البغدادي: تاريخ بغداد ٣٧٠/١١

ومن فقهائهم أَحْمَدُ بْنُ الْمَعْذُلِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ أَنفُسِهِمْ كَانَ فَقِيهَا عَفِيفًا وَرَعَا عَالَمًا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ بْنِ أَنْسٍ، لَهُ تَصَانِيفٌ وَكَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ يَسْمُونُهُ الرَّاهِبَ لِدِينِهِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ زَهْدِيَّةٌ وَحُكْمِيَّةٌ^(١٢). وَمِنْ عُلَمَاءِ عَبْدِ الْقَيْسِ الْمَوَالِيِّ (أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَافِ) الْمُتَكَلِّمُ، كَانَ شِيخَ الْبَصْرَيِّينَ فِي الْاعْتَرَافِ، وَمِنْ أَكْبَرِ فَقَهَائِهِمْ، وَهُوَ صَاحِبُ مَقَالَاتٍ فِي مَذْهَبِهِ وَمَجَالِسِ الْبَصْرَيِّينَ، وَكَانَ حَسْنُ الْجَدَالِ قَوِيًّا لِلْحَجَةِ كَثِيرًا لِلْاسْتِعْمَالِ لِلْأَدَلَّةِ وَالْإِلَازَامَاتِ، وَلِأَبِي الْهَذِيلِ كِتَابٌ يُعْرَفُ بِمِيلَاسٍ، وَكَانَ مِيلَاسٌ رَجُلًا مُجْوِسًا فَأَسْلَمَ، وَكَانَ سَبَبُ اسْلَامِهِ أَنَّهُ جَمَعَ أَبُو الْهَذِيلِ وَجَمَاعَةً مِنَ الْثَّنَوِيَّةِ فَقَطَّعُوهُمْ أَبُو الْهَذِيلِ فَأَسْلَمَ مِيلَاسٌ عَنْ ذَلِكَ^(١٣). كَمَا كَانَ لَهُ مَوْقِفٌ مَمَاثِلٌ مَعَ يَهُودِيًّا أَقَامَ فِيهِ عَلَيْهِ الْحَجَةُ، رَغْمَ أَنَّ أَبَا الْهَذِيلِ كَانَ صَغِيرَ السَّنِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْقِقَ مَا عَجَزَ عَنْهُ الشَّيْوُخُ، مَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ يَمْتَعُ بِمَوْهَبَةٍ عَقْلَيَّةٍ خَصْبَةٍ وَقُوَّةٍ بَيَانِيَّةٍ فَذَذَةً مِنْ نَعْوَمَةِ أَظَافِرِهِ، فَقَدْ قِيلَ أَنَّ أَبَا الْهَذِيلِ فِي حَدَائِثِهِ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَهُودِيًّا قَدَمَ الْبَصْرَةَ وَقَطَّعَ جَمَاعَةً مِنْ مُتَكَلِّمِيهَا فَقَالَ لِعَمِّهِ يَا عَمَ امْضِ بِي إِلَى هَذَا الْيَهُودِيِّ حَتَّى أَكُلَّمَهُ، فَقَالَ لَهُ عَمِّهِ يَا بْنِي كَيْفَ تَكَامِهِ وَقَدْ عَرَفْتُ خَبْرَهُ وَأَنَّهُ قَطَّعَ مَشَايِخَ الْمُتَكَلِّمِينَ! فَقَالَ لَا بُدَّ أَنْ تَمْضِيَ بِي إِلَيْهِ، فَمَضَيَّ بِهِ، قَالَ فَوَجَدَتُهُ يَقْرَرُ النَّاسَ عَلَى نِبْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا اعْتَرَفُوا لَهُ بِهَا قَالَ نَحْنُ عَلَى مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ نَجْتَمِعَ عَلَى مَا تَدْعُونَا، فَتَقْدَمَتْ إِلَيْهِ فَقَلَتْ أَسْأَلُكَ أَمْ تَسْأَلُنِي؟ فَقَالَ بَلْ أَسْأَلُكَ فَقَلَتْ ذَاكَ إِلَيْكَ فَقَالَ أَتَعْرَفُ بِأَنَّ مُوسَى نَبِيًّا صَادِقًا أَمْ تَنْكِرُ ذَلِكَ فَتَخَالُفُ صَاحِبِكَ؟ فَقَلَتْ لَهُ أَنَّ كَانَ مُوسَى الَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ هُوَ الَّذِي بَشَرَ بَنِي إِلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَشَهَدَ بِنُوْتَهُ وَصَدَقَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، وَانْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وَصْفِ ذَلِكَ شَيْطَانَ لَا أَعْتَرِفُ بِنُوْتَهُ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حَسْبَانِهِ، ثُمَّ قَالَ لِي أَنْقُولُ إِنَّ التُّورَةَ حَقٌّ؟ فَقَلَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَجْرِي مَجْرِيَ الْأُولَىِ، إِنْ كَانَتْ هَذِهِ التُّورَةُ الَّتِي تَسْأَلُنِي عَنْهَا هِيَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْبَشَارَةَ بَنِي إِلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَتَلَقَّحَ حَقٌّ، وَانْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ بِحَقٍّ وَلَا أَقْرَبُ بِهَا، فَبَهَتَ وَأَفْحَمَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَحْتَاجُ أَقُولُ لَكَ شَيْئًا بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَقُولُ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ، فَتَقْدَمَتْ إِلَيْهِ فَسَارَنِي فَقَالَ لِي أَمْكَ كَذَا وَكَذَا

(١٢) الصَّفْدِيُّ: الْوَافِيُّ بِالْوَفِيَّاتِ ١٨٤/٨

(١٣) ابْنُ خَلْكَانَ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/٢٦٥، ٢٦٦ - دَارُ صَادِرٍ - بَيْرُوت

وأم من علمك لا يكفي، وقد رأني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي، فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله أستم قد وفقت على سؤاله اياي وعلى جوابي اياه؟ قالوا بلـى ! فقلت أليس عليه أن يرد جوابي أيضاً؟ قالوا بلـى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب عليه الحـد وشتم من علمـي وانـما قدرـتـي أثـبـتـي عليهـ فـيـدـعـيـ أـنـنـاـ وـاـثـبـنـاهـ وـشـغـبـنـاـ عـلـيـهـ، وـقـدـ عـرـفـتـ شـأـنـهـ بـعـدـ الـاـنـقـطـاعـ فـاـنـصـرـوـنـيـ، فـأـخـذـتـهـ الـأـيـدـيـ مـنـ كـلـ جـهـةـ فـخـرـجـ هـارـبـاـ مـنـ الـبـصـرـةـ (١٤). والـيـ جـانـبـ بـرـاعـتـهـ فـيـ الـجـدـ وـالـمـنـاظـرـ كـانـ عـلـيـ فـهـمـ وـبـصـيرـةـ بـتـقـسـيـرـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـيـ، وـمـنـ أـمـثـلـةـ ذـلـكـ مـاـ سـاقـهـ الـمـرـتـضـيـ فـيـ أـمـالـيـهـ، فـقـدـ روـىـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ: قـالـ لـيـ المـعـذـلـ بـنـ غـيـلـانـ الـعـبـدـيـ وـكـانـ مـنـ سـادـاتـ عـبـدـ الـقـيـسـ، وـكـانـ يـجـتـمـعـ إـلـيـ أـهـلـ النـظـرـ يـاـ أـبـاـ الـهـذـيـلـ إـنـ فـيـ نـفـسـيـ شـيـئـاـ مـنـ قـوـلـ الـقـوـمـ فـيـ الـاسـتـطـاعـةـ، فـبـيـنـ لـيـ مـاـ يـذـهـبـ الـرـيـبـ عـنـيـ، فـقـالـ أـخـبـرـنـيـ عـنـ قـوـلـ اللهـ تـعـالـيـ (وـسـيـحـلـفـونـ بـاـلـلـهـ لـوـ اـسـتـطـعـنـاـ لـخـرـجـنـاـ مـعـكـمـ يـهـلـكـونـ أـنـفـسـهـمـ وـالـلـهـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـكـاذـبـوـنـ) هـلـ يـخـلـوـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ أـكـذـبـهـمـ لـأـنـهـمـ يـسـتـطـعـونـ الـخـرـوجـ وـهـمـ تـارـكـونـ لـهـ، فـاسـتـطـاعـةـ الـخـرـوجـ فـيـهـمـ، وـلـيـسـ يـخـرـجـوـنـ فـقـالـ أـنـهـ لـكـاذـبـوـنـ أـيـ هـمـ يـسـتـطـعـونـ الـخـرـوجـ وـهـمـ يـكـذـبـوـنـ قـيـقـلـوـنـ لـسـنـاـ نـسـتـطـعـ وـلـوـ اـسـتـطـعـنـاـ لـخـرـجـنـاـ فـأـكـذـبـهـمـ اللهـ عـلـيـ هـذـاـ الـوـجـهـ. اوـ يـكـوـنـ عـلـيـ وـجـهـ آخـرـ يـقـوـلـ (أـنـهـ لـكـاذـبـوـنـ) أـيـ اـنـ أـعـطـيـتـهـمـ الـاسـتـطـاعـةـ لـمـ يـخـرـجـوـنـ فـتـكـوـنـ مـعـهـمـ الـاسـتـطـاعـةـ عـلـىـ الـخـرـوجـ وـلـاـ يـخـرـجـوـنـ، وـعـلـىـ كـلـ حـالـ قـدـ كـانـتـ الـاسـتـطـاعـةـ عـلـىـ الـخـرـوجـ وـلـاـ يـكـوـنـ الـخـرـوجـ، وـلـاـ يـعـقـلـ لـلـلـيـةـ مـعـنـيـ ثـالـثـ (١٥) وـيـحـكـيـ أـبـاـ الـهـذـيـلـ أـتـاهـ رـجـلـ فـقـالـ لـهـ: أـشـكـ عـلـيـ أـشـيـاءـ مـنـ الـقـرـآنـ فـقـصـدـتـ هـذـاـ الـبـلـدـ فـلـمـ أـجـدـ عـنـدـ أـحـدـ مـنـ سـأـلـتـهـ شـفـاءـ لـمـ أـرـدـتـهـ فـلـمـ خـرـجـتـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ قـالـ لـيـ قـائـلـ: اـنـ بـغـيـتـكـ عـنـدـ هـذـاـ الـرـجـلـ فـاتـقـ اللـهـ وـأـفـدـنـيـ، فـقـالـ أـبـوـ الـهـذـيـلـ فـمـاـ أـشـكـ عـلـيـكـ قـالـ آيـاتـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ تـوـهـمـنـيـ أـنـهـ مـتـاقـضـةـ وـأـخـرـىـ تـوـهـمـنـيـ أـنـهـاـ مـلـحـونـةـ، قـالـ فـمـاـذـاـ أـحـبـ لـيـكـ؟ أـجـبـيـكـ بـالـجـمـلـةـ أـوـ تـسـأـلـيـ عـنـ آيـةـ آيـةـ، قـالـ بـلـ تـجـبـيـنـيـ بـالـجـمـلـةـ فـقـالـ أـبـوـ الـهـذـيـلـ هـلـ تـعـلـمـ أـنـ مـحـمـداـ كـانـ مـنـ أـوـسـطـ الـعـرـبـ وـغـيـرـمـطـعـونـ عـلـيـهـ فـيـ لـغـتـهـ، وـأـنـهـ كـانـ عـنـدـ قـوـمـهـ مـنـ أـعـقـلـ الـعـرـبـ فـلـمـ يـكـنـ مـطـعـونـاـ عـلـيـهـ؟ فـقـالـ اللـهـمـ نـعـمـ، فـقـالـ أـبـوـ الـهـذـيـلـ فـهـلـ تـعـلـمـ أـنـ الـعـرـبـ كـانـوـاـ أـهـلـ جـدـ؟ قـالـ: اللـهـمـ نـعـمـ، قـالـ فـهـلـ اـجـتـهـدـوـاـ فـيـ تـكـذـيـبـهـ؟ قـالـ: اللـهـمـ نـعـمـ، قـالـ فـهـلـ تـعـلـمـ أـنـهـمـ عـابـوـاـ عـلـيـهـ بـالـمـنـاقـضـةـ أـوـ الـلـحـنـ؟

(١٤) الشـرـيفـ الـمـرـتـضـيـ: أـمـالـيـهـ ١، ١٧٨، ١٧٩

(١٥) نفسهـ: ١٧٩، ١٧٨/١

قال اللهم لا، قال: أبو الهذيل فندع قولهم مع علمهم باللغة ونأخذ بقول رجل من الأوساط.
قال فأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، قال كفاني هذا وانصرف ^(١٦).

ولأبي الهذيل رأي في النفس، فهو يرى أنها عرض كسائر أعراض الجسم. وكان يقول: النفس معنی غير الروح، والروح غير الحياة، والحياة عنده عرض، وأن الإنسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة، واستشهد على ذلك بقوله تعالى (الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) ^(١٧).

وهناك علماء من عبد القيس بربروا في مجالات ثقافية أخرى تجلت في مؤلفاتهم التي وصلت إلينا منهم الرقام العبدی صاحب كتاب (العفو والاعتذار) وأبو هفان المهزمي صاحب كتاب (أخبار أبي نواس) والمهلل بن يموت بن المزرع صاحب كتاب (سرقات أبي نواس) والخالديان، ولهمما العديد من المؤلفات منها كتاب (الأشباء والنظائر) وكتاب (المختار من شعر بشار) وكتاب (التحف والهدايا)، وكانت الثقافة الأدبية والاخبارية غالبة على هذه الموروثات من المؤلفات القيمة.

ومن علماء عبد القيس في الوقت الحاضر عبد الحميد الخطی وعبد الله الخنیزی صاحب كتاب (أبو طالب) وكتاب (المناظرات) وكتاب (ضوء في الظل) وكتاب (أدواانا) وكتاب (مداميك عقدية).

(١٦) المنية والأمل: ٢٦ نقلًا عن كتاب أدب المعتزلة لعبد الحكيم بلبع: ٢٢٩ - دار النهضة - مصر

(١٧) سهير فضل الله: الفلسفة الإنسانية في الإسلام: ٦١ - دار النهضة المصرية

(ج) معطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال:

عكست ثقافة عبد القيس تأثيرها السافر والمبادر فيما خلفوه من أمثال وردت في شعرهم، بعضها أقتبسوه من موروثاتهم الشعبية وبينتهم المحلية، وبعضها اخترعوه من بنات أفكارهم التي نمت وازدهرت بفضل ما وعوه من ثقافات ومعارف وما تميزوا به من بلاغة وبيان فمن أمثالهم المنقوله قول المتنبّع العبدى:

ضررت لما استقلت مثلا
قاله القوال من غير وهم
قولهم (في بيته يؤتى الحكم)
مثلا يضربه حكاما

وقد ذكر المفضل بن سلمة هذا المثل في الفاخر، وقال: هذا شيء يتمثل به العرب على المزح ولا أصل له، زعموا أن الأرنب وجدت ثمرة فاختلسها الثعلب منها فأكلها، فانطلقت به إلى الضب يختصمان إليه، فقالت الأرنب يا أبا الحيل أتيناك لتحتكم إليك فاخذ إليانا، قال: في بيته يؤتى الحكم ^(١).

ومن الأمثال الجاهلية قولهم (دماء الملوك أشفي من الكلب) وقد تناول المتنبّع العبدى أيضاً هذا المثل في قوله ^(٢)

باحري الدم من طعمه
بيري الكلب اذا عض وهر
يقال دم بحري أي خالص، والكلب مرض يشبه الجدري، يقال أن صاحبه اذا قطر عليه من دم كريم بريء، حسب معتقدات أهل الجاهلية.
ومن أقوالهم التي جرت مجرى الأمثال قول عروة بن الورد العبسي
فلو كنت مسلوب الفؤاد اذا بدت
بلاد الأعادي (لا أمر ولا أحلى)
يضرب للرجل الذي لا غناء فيه
وقد ضمن عمرو العبدى هذا القول في قوله ^(٣)
ونحن أقمنا أمر بكر بن وائل
وأنت بثاج (لا تمر ولا تحلي)

(١) الميداني: مجمع الأمثال ٧٢/١ والمتنبّع العبدى ديوانه ٢٢٠ - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

(٢) ديوانه ٧٠ والميداني ٢٧١/١

(٣) أبو تمام: الحماسة ٢٣٣/٢ صبيح بالأزهـ ط ٢

ومن أمثالهم (أجور من قاضي سدوم)

قال الطبرى هو ملك من بقایا اليونانیة غشوم. يقول عمرو بن دراك العبدى:

واني ان قطعت حبال قيس وحالفت المزون على تميم

لأعظم فجرة من أبي رغال وأجور في الحكومة من سدوم

وفي شمار القلوب (جور سدوم) سدوم كان ملكا في الزمن الأول جائرا، وله قاض أجور منه. ثم يذكر الميداني (قبر أبي رغال) ويقول هو الذي كان يرجم الناس قبره إذا أتوا مكة، وكان وجهه فيما يزعمون أن صالح النبي أمره على صدقات قومه فخالف أمره، فأسأء السيرة فوثبت عليه تقييف قتله قتلا شنيعا، وإنما فعلوا ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم ^(٤).

ومن أمثالهم في الجاهلية (بئس الردف لا بعد نعم) ويقول المتقب:

حسن قول نعم من بعد لا (وقبيح قول لا بعد نعم) (٥)

وقالوا في المثل (الظلم مرتعة وخيم) قاله حنين بن خشrum السعدي، أي عاقبته مذومة، وجعل للظلم مرتعاً لتصرف الظالم فيه ثم جعل المرتع وخيمًا لسوء عاقبته أما في الدنيا وأما في العقبى، وقد اقتبس أم النحيف العبدية هذا المثل فقالت^(٦)

حذار (فإن البغي وخم عواقبه) حذار بني البغي لا تقربنه

ومن أمثل العرب في الجاهلية (ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة) وحول هذا

المعنی يقول ابن عرس العبدی (٧)

لا تحسن الحرب يوم الضحي
(كشر بك المزاء بالبارد)

ويقول عبد الصمد بن المعذل العبدى : ^(*)

ويذكر الميداني عن المفضل أن أصل المثل لهذيل بن هيرة التغلبي.

أما أمثال عبد القيس المذكر ة فمنها قول المنقب العبدى ^(٨)

فتح القلب وما رات به موسى عصافير حشيش المرعد

(٤) التعالى ٨٣ تحقيق محمد أبو الفضل - دار امهمة مصر ١٣٨٤ والجاحظ: الحيوان: ٦/١٥٧ تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مصطفى البابي الجلي ط ٢ والميداني ١٩٠١/١

(٥) ديوانه: ٢٢٧ ومجمع الأمثال: ٩٨/١.

٤٤٤/١ (نفسه)

(٧) الطبرى: تاريخه ٨٦/٧ والميدانى ٢٨١/٢

*) مجمع الأمثال ٢٢/١ و ٢٣.

٤٤) المتنبّع العبداني:

يقال فزع ومارت به قوائمه من الفزع من الكلاب مور العصافير، وهذا مثل يقال طارت عصافير بطنه من الفزع أي كأنما كانت عصافير على رأسه فطارت. وقد رواه المفضل في كتابه الفاخر منسوباً للمنقب، وذلك عند ذكره (صاحت عصافير بطنه) اذا جاع. قال عمرو العصافير ما اضطربت عند الجوع والفزع مثل الأمعاء والاحشاء والقلب.

ومن أمثالهم المخترعة قول يزيد الشنني: ^(٩)

أحسبتنا (الحما على وضم) ألم خلتني في البأس لا نجدى

الوضم ما وقى به اللحم من الأرض بارية أو غيرها. ويدرك الميداني أن هذا المثل يروي عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجل بمغيبة أن النساء لحم على وضم. ولعل صاحب مجمع الأمثل لم يطلع على هذا الشاعر الجاهلي القديم الأنف الذكر والذي قد يكون الأصل الأول لهذا المثل. وهناك أمثل لم يعرف على وجه اليقين ما إذا كانت مبتكرة أم مقتبسة، وإن كان يرجح أنها من الصنف الأول، ومن ذلك قول ثعلبة بن عمرو العبدى ^(١٠):

فأقبل نحوى على غرة فلما دنا (صدقته الكذوب)

وقد ورد هذا القول في أمثال الجاهليين، ويقول الميداني (صدقته الكذوب) يعني بالكذوب النفس، يضرب لمن يتهدد الرجل فإذا رأه كذب أي كع وجبن.

ويقول المخضع القىسى مؤصلاً المثل القائل (طبع أغلب) ^(١١)

(ومن يقترب خلقاً سوى خلق نفسه) يدعه (وتغلبه عليه الطبائع)

أما المثل الذي يقول (المرء حيث يضع نفسه) فقد سجله أبو المياح العبدى في قوله ^(١٢):

(وما المرء إلا حيث يجعل نفسه) ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

كما ورد المثل الشائع (مصالح قوم عند قوم فوائد) في قول أبي البحر الخطى ^(١٣)

(٩) المفضلية: ٧٨ - دار المعارف بمصر

(١٠) نفسه: المفضلية ٦١

(١١) المرزباني: مجمع الشعراء ٤٧٥ - مكتبة القدس - بيروت

(١٢) البصري: الحماسة ٢٣/٢

(١٣) ديوانه: ٣٧ - مطبعة الحيدري بطهران

بذا قضت الأيام ما بين أهلها (مصاب قوم عند قوم فوائد)
وقد نجم عن بعض أشعارهم أمثال دارجة لا تزال مستعملة في الأوساط الشعبية،
من ذلك قولهم (أصابع يدك ليست متساوية) وأصله فيما يظن من قول الصلتان
العبيدي (١٤)

وليس الذنابي كالقديمي وريشه (وما يستوي في الكف منك الأصابع)
ومما سبق نلاحظ أن بعض الأمثل الشعيرية جاءت مغایرة للصيغة التي وردت عليها في
كتب الأمثل، وربما عزي ذلك اما إلى تعدد الروايات أو إلى قيود الوزن والقافية التي قد
تضطر الشاعر إلى عدم الالتزام بالصيغة التي ورد بها المثل.

ولم تقتصر أمثالهم المبتكرة على ما جاء في شعرهم، فقد أنشأ بعضهم أمثلاً مسلولة
حفظتها كتب الأدب، ومن ذلك قولهم (ابنك ابن بوحك) ويدرك أبو عبيد البكري أن أول من
نطق بهذا المثل الأخرز بن عوف العبيدي، وذلك أن الأخرز كانت عنده الماشريه بنت نهش
من بني بكر، فطلقها وهي نسء بأشهر، فتزوجها عجل بن لجيم البكري، فقالت لعجل حين
تزوجها احفظ علي ولدي، قال نعم، وسماه عجل سعدا، وشب، فخرج به عجل ليدفعه إلى
الأخرز بن عوف أبيه، وأقبل حنيفة بن لجيم أخو عجل، فتقلاه بنو أخيه فلم ير فيهم سعدا،
فسألهم فقالوا انطلق به أبوانا إلى أبيه، فسار حنيفة في طلبه فوجده راجعاً قد وضع الغلام في
يد أبيه، فقال ما صنعت يا عشم؟! وهل للغلام أب غيرك؟! وجمع اليه بنو أخيه، وصار
إلى الأخرز ليأخذ سعداً فوجده مع أبيه ومولي له، فاقتتلوا فقال الأخرز لسعد يا بني لا
تعينني على حنيفة؟ فكع الغلام عنه، فقال الأخرز (ابنك ابن بوحك الذي يشرب من
صبوحك) فذهب مثلاً، وضرب حنيفة الأخرز بالسيف فجذمه فسمى جذمة،
وضرب الأخرز حنيفة على رجله فقطعها، فسمى حنيفة، وكان اسمه أمثال بن لجيم وأخذ
حنيفه سعد فرده إلى عجل. (١٥) كما استعمل بعضهم في سياق حديثه بعض الأمثل
الموروثة، ومن الأمثل القديمة (المرء بأصغريه) وأول من قاله شقة بن ضمرة، وقد ورد
في قول أشج بن عبد القيس للرسول عندما نظر صلى الله عليه وسلم إلى دمامته فقال
الأشج: أنه لا يستقي في مسوح الرجال إنما يحتاج من المرء إلى أصغريه قلبه ولسانه. (١٦)

(١٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٥٠١/١

(١٥) البكري: فصل المقال ٢٢٣ - مؤسسة الرسالة ط ١٤٠٣ هـ

(١٦) الميداني: مجمع الأمثل ٢٩٤/٢. وعبدالعزيز مزروع: انسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ١٠٨ - مطبعة العلوم بمصر ط ١٣٦٩، ١٤٠١ هـ

ولعل أكثر شعراء عبد القيس استعملوا لأمثال العرب السابقين، ابن المقرب العيوني، فقد ضمن شعره الكثير من ذلك، فقد استخدم المثل (أبلغ من قس) في قوله^(١٧)

لأكدى ولا نهارت عليه المباحث
فلو أن قسا في الفصاحة راقه

وفي قوله: ^(١٨)

فاستيقظوا فالسيل قد بلغ الزبي
وعلت غواربه على القرىان

نراه يضمن هذا البيت المثل العربي القديم (بلغ السيل الزبي) والزبي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد اذا أرادوا صيده، وأصلها الزابية لا يعلوها الماء. فاذا بلغها السيل كان جارفا، يضرب لما يجاوز الحد. أما المثل العربي (ويل للشج من الخلي) فقد ورد في قول ابن المقرب: ^(١٩)

ليس الخلي بباك الشجي أسي
ولا يحس الحمياء غير حاسيها

وجاء المثل المشهور (جزاء سنمار) في قول الشاعر: ^(٢٠)

جزاء سنمار جزاء به اقتدت
ومال إليها كهلها وغلامها

ويضرب هذا المثل لمن بجزي بالاحسان الاساءة، لأن سنمار بعد ما بني الخورنق للنعمان بن امرئ القيس القاه من أعلاه، لولا يبني مثله لغيره. واستعمل ابن المقرب المثل (أسعد أم سعيد) في قوله: ^(٢١)

اذا رجفت دار العدو مخافتني
فلا تسألاني عن سعيد ولا سعد

يضرب في العناية بذى الرحم، وفي الاستخار أيضا عن الأمرين الخير والشر أيهما وقع. وقد ضمن ابن المقرب شعره بالأقوال المأثورة، ومن ذلك قول الامام علي بن أبي طالب (فما عدا مما بدا) ومعناه ما الذي بدا لك في نصرتك علي، ويقول الشاعر:

(١٧) ديوانه: ١١٧ ومجمع المثل ١١١/١

(١٨) ديوانه ٦٣٧ والميداني ٩١/١

(١٩) ديوانه ٦٥١ والميداني ٣٦٧/٢

(٢٠) ديوانه ٤٥٨ والميداني ١٥٩/١

(٢١) ديوانه: ١٣٧

قد كنتما عوني وقد أصبحتما
عونا علي (فما عدا مما بدا) ^(٢٢)

وفي موضع آخر يضمن شعره قول الحاج بن يوسف (اني لأرى رؤوسا قد أينعت

وحان قطافها)، يقول: ^(٢٣)

ليس هذا الينع إلا للحصاد
ما انتظاري برؤوس أينعت

١٦٨ (٢٢) ديوانه:
١٨٠ (٢٣) نفسه:

ثالثاً: المنبع الأجنبي

- (أ) الموقع الجغرافي
- (ب) النسيج الاجتماعي
- (ج) الأسواق
- (د) الرحلات

تأثرت عبد القيس بالعنصر الأجنبي إلى الحد الذي حمل بعضاً منها على اختراق بعض التقاليد العربية المرعية في جميع القبائل العربية، ولا سيما في العصريين الجاهليين والأموي، ونعني بذلك المصاهرة والنسب. وقد ساهمت عدة عوامل في تشكيل هذا التأثير أهمها الموقع الجغرافي، والنسيج الاجتماعي، بالإضافة إلى الأسواق العامة والرحلات، ونتحدث بایجاز عن كل واحد من هذه العوامل:

(أ) الموقع الجغرافي:

عاش شعراء عبد القيس منذ بداية تاريخهم الأدبي في البحرين بمصطلحها القديم الذي يرادف الخليج العربي باستثناء عمان. يقول ابن خلدون عن البحرين: وهي من الأقاليم الثاني وبعضاً منها في الثالث، كانت في الجاهلية لعبد القيس وبكر بن ربيعة ^(١). ولهذا الموقع أهمية أشار إليها السعودي حين ذكر أنه يتصل ببحر عمان وببحر الهند وبحر الصين والفلزم والزنج والسندي، وأن أهله الذين يقطنون سواحله وجزره على اتصال مستمر بالأمم الأخرى عن طرق البحار المذكورة ^(٢).

كما عاش خطباء عبد القيس في عمان في بداية تاريخهم الأدبي. وقد لعب الخليج العربي بفضل موقعه الجغرافي في عمق العالم المعمور دوراً خطيراً في تاريخ التجارة العالمية، فمنذ قامت الحضارات القديمة على شواطئه أو على مقربة منه كحضارات ما بين الرافين وحضارة الفارسية، كان له دور بارز كطريق بحري يربط تلك الحضارات بحضارات الشرق في الهند والصين، وبحضارات الغرب في روما وقرطاجة ^(٣).

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر: ١٩٧/٤ - دار الكتاب اللبناني

(٢) نقل عن كتاب (الإنسان والأرض) لعبد العليم خضر: ٣٦ - الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ط١، ١٤٠٧ هـ

(٣) نفسه : ٣٧

يقول د. قدرى قلعي موضحاً أثر الموقع الجغرافي في الثقافة: (ومن يقارن بين المناطق المعزولة النائية وسبل حياتها وطرق معيشها والمناطق الملاحية التجارية المفتوحة على العالم يدرك حق الادرك ما للملاحة من يد بيضاء على الحياة في تطورها والمدنية في ارتقائها والحضارة في ازدهارها) ^(٤). ويمكن القول أنه لا يوجد بحر داخلي في العالم له نفس الأهمية التي يتمتع بها الخليج العربي سواء بالنسبة للجغرافيين أو الجيولوجيين أو المؤرخين أو رجال السياسة ^(٥). وقد ظل الخليج العربي طوال الحقب التاريخية بحيرة ثقافية جمعت بين السكان الذين يقيمون على شواطئه.

(ب) النسيج الاجتماعي

شارك سكان البحرين العرب منذ الجاهلية، أقليات أجنبية كانت ذات أثر كبير في تفاعل الحياة بسبب ميلها إلى الاستقرار، وأهم هذه الجاليات:

١ - الفرس:

ولعل هؤلاء أهم عنصر أجنبي سكن البحرين، لما يتمتعون به من خلفية حضارية عريقة، ومن آثارهم الفكرية ظهور المجوسيّة في البحرين، وإن كانت محدودة النطاق، ويشير البلاذري إلى وجود نار للمجوس في البحرين ^(٦) وقد دخل بعضهم في الإسلام، وبقي البعض الآخر على مجوسيته إلى حين. وقد أشار بعض المؤرخين إلى نفوذ الفرس في البحرين وهجر، وارسالهم الفعلة لبناء المشقر وتكاثرهم، وانتساب بعضهم في عبد القيس. ^(٧) وقد سجل ابن المقرب العيوني ذلك في قوله ^(٨):

مشهورة لشواط خوزستان	نسبوكم فعزوا بيوتا منكم
يبنوا مشقرها انوشروان	نقلت أوائلهم إلى البحرين كي

(٤) الخليج العربي: ٤٠ - دار الكتاب العربي ط ١٢٨٥

(٥) عبد العليم خضر: الانسان والأرض: ٤٠

(٦) فتوح البلدان: ٧٩ القاهرة ١٩٥٦

(٧) أحمد الحوفي: تيارات ثقافية بين العرب والفرس: ٢٤ - دار نهضة مصر

(٨) ديوانه: ٣٦٥ مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء ١٩٨٨

كما أشار إلى (جيلان) وهم قوم من السك كان أخرجهم كسري لخدمته ولعمارات قصره المعروف بالمشقر. يقول: ^(٩)

منا جيب لا جيلان يعزي اليهم
ولا عد منهم ذو كتاب معاند

٢ - الزط:

ويرجح أنهم قوم من الهند، هاجر معظمهم منها، وانضموا إلى الجيش الساساني من عهد قباد، وكانت مرتبتهم أقل من الفرس، ومنهم تشكلت قوة عسكرية ساسانية ترابط في الخط علي السواحل قبل الاسلام. ^(١٠)

٣ - السبابجة:

قيل: إنهم من السندي وقيل من الهند، وكانتوا يقومون بالملاحة بين ساحل الخليج العربي وشرق آسيا، وقد سكنوا قبل الاسلام منطقة الخط وهجر والقطيف حيث استخدمهم الفرس لحراسة السفن وذلك لخبرتهم في الأعمال البحرية، وبعد اسلامهم خدموا في الأسطول الاسلامي في الخليج العربي ^(١١).

وقد اندمجت عبد القيس مع العنصر الأجنبي إلى درجة جعلت بعضها يبدي رغبته في تزويج ابنته من أحد هؤلاء، على الرغم من أن العرب في العصورين الجاهلي والأموي خاصة لم يكونوا يسمحون بمثل هذه المصاورة ومن أمثلة ذلك ما ذكره أحمد بن عبد العزيز قال: نزلت في دار رجل من عبد القيس بالبحرين فقال لي بلغني أنك خاطب قلت: نعم، قال: فأنا أزوجك، قلت اني مولي قال اسكت وأنا أقبل، فقال أبو بجير فيهم. ^(١٢)

دعاوة زراع وأخر تاجر
وأبيض جعد من سراة الأحامر
أمن قلة صرتم إلى أن قبلت
وأصحاب رومي وأسود فاحم

(٩) ديوانه: ١٤٣

(١٠) عبد الرحيم النجم: البحرين في صدر الاسلام ٤٥ مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٣

(١١) محمد العقيلي: الخليج العربي في العصور الاسلامية: ٤٤ - دار الفكر اللبناني

(١٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٣٥/٦ - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٩٣

يقول د. جواد علي: (ونجد في قري البحرين أناساً من مختلف الأجناس بسبب اتصالهم بالبحر ومجيء الأقوام إليها من الهند وإيران والعراق، فظهرت فيها ثقافة امتصت عذاءها من مختلف الثقافات) ^(١٣) وعلى صعيدها التقى - منذ عهد قديم - الأفريقي والكلداني والبابلي والأرامي والفرعوني والإسرائيلي والاغريقي، وأجناس كثيرة أخرى، مما يدل على مجدها التجاري والحضاري. ^(١٤)

يقول قلعي: (إن العمانيين وغيرهم أهالي البحرين قد اشتهروا من قديم الزمان بحبهم لركوب البحار والذهاب في بعيد الأسفار، ويردف قائلاً: أما البحريون صيادوا اللؤلؤ فقد كانوا على شهرة واسعة في العالم الملاحي). ^(١٥)

(ج) الأسواق:

كانت الأسواق، وبخاصة أسواق البحرين مصدراً من مصادر التأثير الأجنبي، ومن هذه الأسواق سوق هجر، وتقع في جنوب الخليج العربي، وهي على اتصال دائم ببلاد الهند وفارس، ومن أهم موانئها العقير، يسكنها العرب منبني محارب، وهي فرضة الصين وعمان والبصرة واليمن على ساحل البحر، وهي دهليز الاحساء، ومصب الخيرات منها وإليها، ونظراً لأنها فرضة فقد كانت أكبر مكانة من سوق دومة الجندي ^(١٦) وتقوم في المشرق سوق تستغرق شهر جمادي الآخر، يقصدها أخلاقط من جميع العرب والفرس، وكانت لا تقدمها لطيبة إلا تخلف منها ناس، ويجاورها من قبائل العرب تميم وعبد القيس، وكانت تحت نفوذ الفرس ^(١٧) ومن أسواقهم الزيارة وهي فرضة من فرض البحر، وساكنها عبد القيس. ومن أسواقهم المعروفة سوق دارين المشهورة بالعطر، وجواشي ^(١٨)، وسماهيج. وفي الجملة تكاد تكون مدن عبد القيس جميعها مراكز تجارية.

(١٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧٨٣/٨

(١٤) عمران العمران: ابن المقرب ٣٨ مطبع الرياض

(١٥) قري قلعي: الخليج العربي: ٤٢ ط ١٣٧٩

(١٦) سعيد الأفغاني: أسواق العرب: ٢٥ - دار الفكر بدمشق ط ١٣٧٩

(١٧) نفسه: ٢٤١

(١٨) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي: ٧٢ رسالة ماجستير مخطوطة، وحمد الجاسر: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ٢/٢، ٨٦٨/٢، ٨٠٢/٤ - دار اليمامة بالرياض

وهكذا نجد أن هذه الأسواق تجمع إلى جانب الأعداد الجمة من العرب طوائف من مختلف الجنسيات وبخاصة من الهند والفرس، من أهل الحضارات القديمة، كما يفديها القسس والرهبان المبشرون، فهي أشبه ما تكون بمعارض دولية ومؤتمرات أدبية، تجد فيها عبد القيس وغيرها أمشاجا من الثقافات، أضف إلى ذلك تلك الأسواق العربية الكبيرة التي كانت تقصدها عبد القيس وغيرها من القبائل العربية. يقول د قدرى قلعي عن أهل الخليج عامة: وقد لعبوا في مختلف العصور دوراً كبيراً في ميدان التجارة العالمية الممتدة الشرايين ما بين الشرق والغرب، وكانوا في ذلك مرهوبي الجانب لا يتزدرون في الإغارة على غير أنفسهم من فرس وبabilian.^(١٩)

(د) الرحلات والهجرات:

قام كثير من عبد القيس برحلات متعددة في الجاهلية والإسلام، ففي العصر الجاهلي سافر فريق منهم من البحرين إلى أطراف العراق، وساهموا في بناء الحيرة ذات المركز الحضاري ^(٢٠) كما رحل عدد من شعراءبني عبد القيس إلى عاصمة المناذرة واتصلوا بملوكها، وعلى رأس هؤلاء المتقدب العبدى، الذي اتصل بالنعمان بن المنذر سفيراً لقومه وشفعوا لهم عنده، وقد مدحه بقصيدة يتجلى فيها تأثر الشاعر ببعض العادات الفارسية فقد جاء فيها قوله:

فديما كما بذ النجوم سعوها وجدت زند الصالحين نمينه

فالمتقدب بامتداده للنعمان بأنه كان أكرم المكرمين يجعل تفوق زند المدوح على جميع زند الصالحين شبيها بتفوق سعوها على سواها. وسعود النجوم في علم الفلك هي الكواكب التي يقال لكل منها سعد كذا، وهي عشرة أنجم، أربعة منها منازل ينزل بها القمر وهي سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعوض وسعد الأخبية. وستة لا ينزل بها القمر وهي سعد ناشره وسعد الملك وسعد البهائم وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر. إن المدوح في تحدره

(١٩) الخليج العربي: ٤٢

(٢٠) السهيلي: الروض الأنف ٥٣/١ - مطبعة الجمالية ، مصر ١٩١٤م.

من عائلة مشهورة لم يولد في أبراج مشؤومه فطالعه طالع سعد ويمن، وباختصار فان الملك قد صار وكأنه موضع تأملات فلكية ومحال اهتمامات لعلم النجوم. والصورة في هذا الاطار تحمل - لا شك - الطابع الخاص لعادة فارسية ينفعل الشاعر بها انها عادة التجيم، ولقد كانت قراءة الطالع من الاعمال التي يقوم بها المغان (المجوس) فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة، وكانوا يحضرون الطالع بما لهم من معرفة بعلم النجوم. ولهؤلاء المغان بما لهم من معرفة ذات طابع خاص بأسرار النجوم قيمة لا تقدر، حيث أنهم مستشاروا الملك في جميع الأحوال التي تمس الحرب، فالملك لا يحارب مطلقاً من غير أن يصحبه المغان وبيوت النار. (٢١)

كما قامت طوائف من عبد القيس في فجر الاسلام برحلات أو هجرات إلى البصرة والكوفة وفارس وخراسان، واستوطنت في هذه الديار الاسلامية. وامتنعوا بسكنها الأصليين، ونبغ فيها شعراء وخطباء وعلماء ومفكرون.

يقول د عبد الحميد المعيني: (وفي ميدان الفكر والمعارف القديمة فإن المتبع للحياة الفكرية على أرض عبد القيس قبل الاسلام يدرك بأنها أخذت بحظ وافر منها، وبلغت مدى بعيداً، ويعود ذلك لعدة أسباب:

- ١ - الموقع الممتاز بين حضارات قديمة، والبيئة الطبيعية الجميلة على امتداد الخليج العربي.
- ٢ - الأجناس العديدة التي سكنت المنطقة وحملت إليها ثقافتها وحضارتها.
- ٣ - كانت بلاد عبد القيس ملتقى الديانات الوافدة والمهاجرة كال المسيحية واليهودية والمجوسية.
- ٤ - المركز الاقتصادي وخاصة النشاط التجاري). (٢٢)

وقد ظل المنبع الأجنبي رافداً لمؤلفات عبد القيس في العصور الاسلامية، ففي كتاب (العفو والاعتذار) للرقم العبد يستعين المؤلف ببعض المصادر الفارسية، ويدرك طرفاً من أخبارهم ومن ذلك قوله: وفي بعض كتب فارس أن كسرى قال ليوسف المغنى حين

(٢١) عمر شرف الدين: الشعر في ظلال المنادرة والغساسنة ٢٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢٢) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي قسم الدراسة من ٣٢.

قتل فلهود، حين فاقه في الغناء وكان تلميذه: كنت أستريح منه إليك ومنك إليه، فأذهب شطر تمعي حسدك ونغل صدرك، ثم أمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة، فقال له أيها الملك اذا قتلت أنا شطر طربك وأبطلته وقتلت أنت شطره الآخر، أليس تكون جناتك على طربك كجناياتي عليه؟ قال كسرى دعوه ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من مدة البقاء.^(٢٣) كما يذكر ابن الرقان في موضع آخر من كتابه قول بعض ملوك فارس: إنما أملك الأجساد لا النبات، وأحكم بالعدل لا بالرضى، وأ Finch عن الأعمال لا عن السرائر.^(٢٤)

وهكذا نجد أدباء القيس يتبعون الحكمة وياخذونها ألى وجوهها. وعلى الرغم من كثرة احتكاك عبد القيس بالعنصر الأجنبي منذ عصورهم الأولى ولا سيما سكان الحواضر منها، فإن هذا المنبع لم يكن قويا، بل محدودا على الصعيد المباشر الظاهري، وإذا كان له من تأثير أبعد فهو في تشكيل العقلية العبدية والتفكير الذي أعطى شعر عبد القيس قدرة أكبر على التأمل وطول النظر.

(٢٣) الرقان العبدى : العفو والاعتذار ١٧٧/١ - الرياض ١٤٠١ هـ.

(٢٤) نفسه: ٨٨/١

رابعا

التجربة الذاتية

كانت التجربة الذاتية أكبر اليابيع التي أستمد منها شعراء عبد القيس حكمتهم، وقد مكّنهم من التعبير عنها دقة الملاحظة وقوّة الاصحاح، ولها جاءت هذه الحكم صادقة موجزة، كما حملت في طياتها وجهات نظر أصحابها التي قد لا يكون بعضها مسلماً به من قبل الجميع، والتجربة تعني التمرس بأحداث الحياة وصروف الزمان، وتعتبر خلاصة اجتماعية مركزة لواقع مر بالانسان فكان له فيه عبرة ودروس، وهي فيما بعد تمثل مدرسة تعليمية لها طابع النصح والحشمة والوقار^(١). وقد أوضح المتنقب العبدى دور التجربة في تربية الخبرات وتنوير العقول. يقول: ^(٢)

اذا لم يثبت للأمر الا بقائد
وللموت خير للفتي من حياته
هبيت الفؤاد همه للوسائل
فالعلاج جسيمات الأمور ولا تكن

كما بين الأعور الشنی أثر السن والتجربة في حنكة الانسان وتهذيبه، فقال: ^(٣)

عليه الأربعون من الرجال فليس بلاحق أخرى الليلي بلوت من الأمور إلى سؤال وما حلت الرجال دوي المحال	اذا ما المرء قصر ثم مرت ولم يلحق بصالحهم فدعه لقد أصبحت لا أحتاج فيما ونذلك أني أديت نفسي
---	--

ويشير مسعود العبدى إلى أثر التجارب في صقل شخصية الانسان ونضجه العقلي. يقول:

عرفت الليلي بؤسها ونعمتها
وحنكي صرف الزمان وأدبا

وقد تعددت تجارب شعراء عبد القيس وتنوعت، فشملت كثيراً من تجارب الحياة في جوانبها المختلفة، الا أن أكثرها كان مجاله العلاقات الاجتماعية، العامة منها والخاصة. فتجربة الشاعر عمرو بن هبيرة العبدى في ظل الجوار كشفت له أن تمنع المرء

(١) عمران العمران: ابن المقرب ص ١٢٣ - مطباع الرياض.

(٢) بيونه: ٢٦٧ - جامعة الدول العربية ١٣٩١ هـ.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢ / ٦٤٠ - دار المعارف بمصر.

بالعزّة والكرامة مرهون بوجوده بين قومه، فإذا اغترّ بعنهم فلن يجد غير الذل والهوان،
يقول: ^(٤)

يغضّب فتبرد غير مرضي مغاضبه
يُغَضِّبُ فَتَبَرَّدُ غَيْرُ مَرْضِيٍّ مَغَاضِبَه
ولا يوجّبوا منه الذي هو واجبه
وَلَا يَوْجِبُوا مِنْهُ الَّذِي هُوَ وَاجِبَه
ولا يستطيع تكير ما هو رائبه
وَلَا يُسْتَطِعُ تَكِيرُ مَا هُوَ رَائِبَه
ويورد عليه غيره وشاربه
وَلَيْسَ وَانْ آتَوْا عَلَيْهِ بِمَؤْنَبِي

أما ابن المقرب العيوني، فان تجربته المرة بين قومه وما تجرّعه منهم من ظلم
وقسّوة واسعة جعلته يؤثّر الرحيل إلى أي بلد آخر، فالوطن في نظره ليس الأرض
والدور وإنما الناس الذين يعيشون فيه، وهو يختلف عن هؤلاء، وإن كان من بلدتهم، كما
يختلف الذهب عن التراب وان كان منه. يقول: ^(٥)

ما بين حر وبين الدار من نسب
ما كل دار مناخ الويل وال الحرب
التراب ترب وفيه منبت الذهب

في كل أرض اذا يممتها وطن
لي عن ديار الأذى والهون متسع
لا تتسبوني إلى منشأي بينكم

وفي موضع آخر يكرر الدعوة إلى الرحّلة عن الأهل والوطن بسبب الذل والهوان
معطلاً ذلك بأن الناس كثيراً ما وجدوا في الارتحال من العزة والنعمّة، ما لم يجدوه في
الإقامة من المهانة والنّقمة، يقول: ^(٦)

وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما
فالحر يرحل عن ذار الأذى كرما
شوس الرجال وكم قد أورثت نعما
حتقا وساقت إلى ساحاته النّقما

قم فاشدّد العيس للرّحال معزّما
ولا تلتفت إلى أهل ولا وطن
كم رحلة وهبت عزّاتين له
وكم اقامة مغرور له جلبت

(٤) البحيري: الحماسة: ١٠٧ - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧.

(٥) ديوانه: ٧٥

(٦) نفسه: ٥٢٦

ورغم ما لاقاه الشاعر من ظلم عشيرته له، فإنه لم يدخل عليها بالنصيحة، والمعروف أن قوم ابن المقرب هم الأسرة الحاكمة للبحرين في القرن السادس الهجري، فنراه يوجه النصيحة الخالصة إلى حاكمها، فيدعوه إلى العطف على قومه والاحسان إليهم، وعمل كل ما يؤدي إلى لم شمل العشيرة وتقويتها، والحذر من كيد الوشاة والمغرضين، مبرزاً أهمية التكمل والتآزر في صورة مادية محسوسة، لينتهي إلى أن الإنسان مهما كان كبيراً فإنه لا يستغنى عن الصغير، حين يكون من جلدته ودمه ولحمه. يقول:

عني السلام وقل له ببيان
ذنب المسىء وكاف بالاحسان
قول الوشاة فكل شيء فان
 حيناً فيقعده عن الطيران
 حتى يحوز مواطن الغربان
 مغضودة وتزين بالأغصان
 منهم فكلهم أخو كيسان

أبلغ هديت أبا علي ذا العلى
 اعطف على أحياء قومك واحتمل
 واعمل لما يحيي العشيرة واطرح
 واعلم بأن النسر يسقط ريشه
 والصاعون ينهضه وفور جناحه
 والدوحة القنوا أشين ما ترى
 واحذر أصحاب النصائح واحترس

ولا ينفك الشاعر من تحذير ولـي الأمر من كيد الوشاة والحاقدين الذين يتظاهرون بالصدقـة والنـصـحـ، وـهمـ فيـ الحـقـيقـةـ يـعـمـلـونـ فيـ الخـفـاءـ عـلـيـ تـقـويـضـ السـلـطـةـ وـسـلـبـهــ، مـؤـكـداـ ضـرـورـةـ التـمـسـكـ بـحـبـ العـشـيرـةـ المـتـنـيـنـ وـالـاعـتـمـادـ عـلـيـهاـ وـاعـطـائـهاـ حـقـهاـ مـنـ التـقـدـيرـ.ـ يقولـ(٧)ـ

أصيـبـ كـمـاـ شـاءـ المـعـادـيـ مـقـاتـلـهـ
 كـمـاـ لـيـسـ كـلـ البرـقـ يـصـدـقـ خـائـلـهـ
 وـأـوـهـاقـهـ مـبـثـوـثـةـ وـمـنـاجـلـهـ
 أـتـاهـ مـنـ الأـعـدـاءـ مـاـ لـاـ يـقـابـلـهـ

وـمـنـ يـسـتـمـعـ فـيـ قـوـمـهـ قـوـلـ كـاـشـ
 وـمـاـ كـلـ مـنـ يـبـدـيـ المـوـدـةـ نـاـصـحـ
 وـقـدـ يـظـهـرـ المـقـهـورـ أـقـصـيـ مـوـدـةـ
 وـمـنـ لـمـ يـقـابـلـ بـالـجـلـالـةـ قـوـمـهـ

اما العلاقات الخاصة فain تجربة الشعراء الذاتية أو قفتهم منها على طرفي نقىض،
في بينما نجد عبد الصمد بن المعتز يدعو إلى مواصلة الصديق القاطع، ولا سيما اذا كان من
أهل الثقة والمرؤة، لما في تركه من خسارة للطرفين، إذ يقول: ^(٨)

لم يستقدك و تستفده	من لم يرتك و لم ترده
وزد التقارب و استزده	قرب صديقك ما ناي
من أخي ثقة فشده	و اذا و هت أركان ود

نرى ابن المقرب يقف موقفا مباينا، فهو لا يتسامح مع الأخ القاطع، ولا يحترم من لا
يحترمه مهما كان عظيم القدر، ولا يمنح وده لمن يبغضه. يقول: ^(٩)

اذا ما عق خير من ما تداني	وبعد عن اخ لأب وأم
أحن إلى غوان أو مغاني	فلا يتوجه السفهاء أني
بعين جلاله من لا يراني	ولا أني أري والموت حتم
اذا بالمقلة الخوصاراني	عظيم الناس في عيني حقير
وأسمح بالوداد لمن قلاني	محال أن او اصل من جفاني

وأثمرت تجربة الفقر التي عانها شعراء عبد القيس حكما في شعرهم، ويشير الأعلم
العبي إلى هوان قدر الفقير بين قومه، وقلة حيلته وان كان أعقلاهم وأقواهم. يقول في ذلك
داعيا إلى السعي والمخاطنة في طلب المال والغنى: ^(١٠)

وإن كان فيهم ما جد العم مخولا	ومن يفتر في قومه يحمد الغني
وإن كان أقوى من رجال وأحيلاء	ويزري بعقل المرء قلة ماله
جواشن هذا الليل كي يتمولا	فان الفتى ذا العزم رام بنفسه

على أن الشاعر العبي لا ينظر إلى المال بوصفه غاية، بل يراه وسيلة يتوصل بها
إلى المكرمات، ومساعدة المحتاجين وأرباب الحقوق من الأقارب، فلا قيمة للمرء العاجز
عن الوفاء بمثل ذلك. يقول زيد بن خذاق العبي: ^(١١)

(٨) ديوانه: ٨٨ - مطبعة النعمان بالنجف.

(٩) ديوانه: ٦٢٤.

(١٠) تالينو: تاريخ الأدب العربية: ٢٦٩ - دار المعارف بمصر.

(١١) المرزباني: معجم الشعراء: ٤٨١ - مطبعة الطيب بالقاهرة ١٩٦٠.

أفيد غني فيه لذى الحق محمل
تلم به الأيام فالموت أجمل
وليس علينا في الحقوق معول

ذرینی أسير في البلاد لعلني
فإن نحن لم نملك دفاعاً لحادث
الليس عظيماً أن تلم ملامة

ويدعو جمال العبدى إلى مقابلة الأمور الصعبة المخيفة بالقوة والشدة إلى تلين
وتتيسر، ويستمد دعوته تلك من خلال تجربته الناجحة، يقول: (١٢)

فأصعب به حتى تذل مراكبه
فكان بحمد الله خيراً عواقبه

إذا خفت في أمر عليك صعوبة
وأمر على مكروهه قد ركبته

ويقدم ابن المقرب العبدى عدة تعریفات لطائفة من الأمور كالعز والمال والجود
والعزم والجبن، وهي تعطى تصوراً لوجهة نظر الشاعر التي قد تختلف عن آراء الآخرين،
لأنها صادرة عن تجربة شخصية بحثه. يقول: (١٣)

وأقام بالفكر الملوك وأقعدوا
علياك أو أبقي لقومك سؤدداً
أوليت ذا أمل أعدك مقصداً
كالذئب لم ير عدو إلا عدا
والخيل حسري والوشيج مقصداً
أو وفياً مستتجداً أو منجداً
ذلاً وجهم كف ذا جهل هدى

العز ما خضعت لهببته العدي
والمال ما وقاك ذما أو بني
والجود ما بلت به برحمة وما
واللؤم أكرام اللثيم لأنه
والعزم ما ترك الحديد مفللاً
والنبل فتك بالأعداء غادراً
غدر يعز ولا وفاء معقب

وفي عينيه التي مطلعها:

وأنفق العمر بين اليأس والطمع
إلى م أورد عتاباً غير مستمع

يعبر الشاعر عن طموحه وتطلّعه إلى الرياسة في الحل والترحال، فإذا لم يجد بين قومه هذه
المكانة العالية التي يؤمن بأنها حقه فإنه سيبحث عنها في أي مكان، انه يريد أن يكون في
وضع يتّاسب مع ما خلق له من زعامة وقيادة، ومجده وسؤدده، فهو ليس رجلاً بلا

(١٢) البحترى: الحماسة: ٤٠

(١٣) ديوان: ١٦٧

همه يعيش ليأكل ويشرب فحسب، بل لديه من قوة العزيمة وكبر النفس، ما يستطيع ان يحقق بهما أسمى المنازل وأبعد الآمال. وكم نصح قومه آمرا وناهيا، ولكنهم لم يسمعوا ولم يعوا، فتأخروا وتضيئوا. وهو يعلن الرحلة عنهم، مقررا ألا يعود اليهم الا عندما يعرفوا قدره كموجة، وزعيم. يقول^(٤)

أو أن تقول لي الأمال خذ ودع
مراتب العزل و في ناظر السبع
لو داس عرنين أنف الموت لم يرع
والبيت في المجد ذو مراي ومستمع
هولا وما يحفظ الرحمن لم يضع
ومنتهي سعيه للري والشعب
خصمي وجارى بقربى غير منتقع
لو ضمها صدر هذا الدهر لم يسع
سما لمستنكاف غيثا لمنتزع
اذ ليس يوجد صبر العود في الجذع
أمر في الطعم من صاب ومن سلع
أسوا وأقبح منه العز باللکع
ومنكب الأرض ذو مناي ومتسع
وكل قوم اذا صاحبتهم شيعي
منا ومن ضياع البازي باللوصع
بحسم داء العدا فيهم فلم اطع
عنهم لهم أسليةه ومتدع
والريع خير ومن للعمي بالرسع

و معاناة مسعود بن سلمة لمرارة فراق اخوته وأصدقائه و هلاكهم أمام ناظريه جعلته كثيرة المغامرة غير هبّاب من الموت . يقول : (١٥)

۲۷۳ (۱۴) دیونه:

٢٠٥) البحترى: الحماسة:

أقلی على اللوم اني صائر
إلى جدث تسفی عليه الأعاصر
او حش من خلف الفتی وأمامه
اذا سار من حداثه فهو سائر

والتجربة الذاتية تجربة شخصية إلى حد كبير، ومن ثم تأتي نتائجها متباينة في بعض الأحوال، وقد يصل التباين إلى حد التناقض لا بين الشعراء فحسب بل عند الشاعر الواحد نفسه، وهذا التباين والتناقض أمر طبيعي، لأن الشاعر يخضع لتجربة في موقف يختلف في ظروفه وملابساته عن موقف تجربة أخرى، وهذا الموقف يكون طبيعيا في بعض المواقف^(١٦) - فمثلا - بينما رأينا ابن المقرب يتشدد في موقفه من الأخ القاطع، نجده في موقف آخر بتخذه العكس، فيصل من قطعه ويغضي على عيوبه، ويحفظ وده وإن أساء إليه أو أجرم في حقه. يقول: ^(١٧)

وصلت وذو العليا أبر وأرحم
وأنقطعوا أرحاماً بيني وبينهم
لأبصر منهم لو شاء وأعلم
وأغضي على أدواء قومي وأنني
إلي بلا جرم أساوا وأجرموا
وأحفظ ود الأصدقاء وإن هم

يقول د. محمد عويس عن التجارب الذاتية (وهي في نظرنا أرقى مظاهر الحياة العقلية لهؤلاء القوم، ومنها استطاع الشعراء أن ينفذوا إلى خطرات فلسفية، وهذه الخطرات لا تصل إلى حد تكوين مذهب فلسفى، ذلك أن هناك فرقاً بين مذهب فلسفى وخطرة فلسفية، فالذهب الفلسفى نتيجة البحث المنظم، وهو يتطلب توضيحاً للرأى، وبرهنة عليه، ونفضاً للمخالفين، وهكذا). ^(١٨) أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنها لا تتطلب إلا التفاتات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد. ^(١٩) فتجاربهم الذاتية كانت خير معين للشعراء على الوصول إلى الخطرات الفلسفية المتمثلة في شعرهم، والتي تكون حكمتهم بمعناها الواسع، فهذه التجارب شملت كل مناحي حياتهم، ومن ثم كانت حكمتهم منوعة شاملة لكل مناحي حياتهم). ^(٢٠)

(١٦) محمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ٣٨/١

(١٧) ديوانه: ٤٥٠

(١٨) الحكمة في الشعر العربي: ٤١ / ١ - مكتبة الطليعة بسيوط - مصر

(١٩) أحمد أمين: فجر الإسلام ٦١

(٢٠) محمد عويس: الحكمة في الشعر العربي ٤٢/١

إِلْفَضِيلُ الْثَّانِي

الحكمة وقضايا الإنسان

أولاً

قضية الحياة والموت

كانت هذه القضية الكبرى أولى القضايا التي احتلت من تفكير الشاعر العبدى أوفى نصيب. وقد سطّر المتنبّع العبدى في نونيته آراءه في هذه المسألة، وهي النونية التي وصفها طه حسين بانها من أروع ما قال الشعراء، لا في اللغة العربية وحدها بل في سائر لغات العالم^(١)، وفي هذه القصيدة تمثلت فلسفة الشاعر تجاه الحياة والناس وسر الوجود، فاسمعه يقول في لوحة الظعائن: ^(٢)

فما خرجت من الوادي لحين
بحجب الصحصhan إلى الوجين
ونكben الـذرانـج بالـليمـين
كـأنـ حـدوـجـهـنـ عـلـيـ سـفـينـ
وـثـقـبـنـ الـوـصـاـوـصـ^(*)ـ لـلـعـيـونـ
مـنـ الـدـيـبـاجـ وـالـبـشـرـ المـصـونـ
فـلـمـ يـرـجـعـنـ قـائـلـةـ لـحـينـ

لـمـ ضـعـنـ تـلـعـبـ مـنـ ضـبـبـ
تـبـصـرـ هـلـ تـرـىـ ظـعـنـ عـجـالـ
مـرـنـ عـلـىـ شـرـافـ فـذـاتـ هـجـلـ
وـهـنـ كـذـاكـ حـينـ قـطـعـنـ فـلـجاـ
ظـهـرـنـ بـكـلـةـ وـسـدـلـنـ رـقـماـ
أـرـيـنـ مـحـاسـنـاـ وـكـنـ أـخـرـيـ
عـلـونـ رـبـأـوـةـ وـهـبـطـنـ غـيـبـاـ

(يعبر أسلوب الاستفهام المكرر في لوحة الظعائن عن تلهف الشاعر وحدة افعاله ويعكس الفعل (تبصر) شدة اهتمام الشاعر بالظعائن وتعلقه القوي بها، فالبصـرـ في هذا المقام من أعمال القـلـبـ، ولكن القـلـبـ لا يـنـشـطـ بـمـعـزـلـ عـنـ عـاطـفـةـ مـهـمـوـمـةـ أـقـرـبـ إـلـىـ الشـعـورـ بـمـسـؤـلـيـةـ المـوـقـفـ الـذـيـ يـعـالـجـهـ، وـانـ تـتـبـعـ الشـاعـرـ الدـقـيقـ لـحـرـكـةـ الـظـعـانـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ أـنـ يـذـكـرـ أـمـاـكـنـ كـثـيـرـةـ، وـهـيـ أـمـاـكـنـ لـاـ تـفـصـلـ عـنـ تـجـربـتـهـ، بلـ تـرـتـبـطـ اـرـتـبـاطـاـ وـثـيقـاـ بـهـاـ، وـانـ استـحـضـارـ العـنـصـرـ الـمـكـانـيـ فـيـ لـوـحـةـ الـظـعـانـ مـقـرـنـاـ بـالـحـرـكـةـ الـمـوـصـوـفـةـ بـدـقـةـ مـتـاهـيـةـ يـشـيرـ إـلـىـ حـدـةـ الـمـعـاـيـنـةـ الـتـيـ كـانـ الشـاعـرـ يـعـاـيـنـهـاـ، وـيـظـهـرـ الشـاعـرـ كـيـفـ أـنـ السـكـونـ وـالـهـدـوـءـ يـمـكـنـ

(١) حديث الأربعاء: ١٦٤ دار المعرف بالقاهرة ١٩٦٢

(٢) ديوانه ١٤٢

(*) الوصاوص : البراقع.

أن يؤدي إلى القتل، ولذلك يبدو أن الأثر الجمالي لهذه النسوة قادر على أن يبرز انتصار الجمال على النفس الإنسانية الشجاعة، وقد كان الشعراء الجاهليون يحتفلون احتفالاً كبيراً بتصوير جمال النساء والهواجر بصور تبعث الأمل والبهجة في النفوس، حتى أن هذه الصور تحولت إلى طقوس تمارس في كل لوحة من لوحات الظعائن، وهذا يقود إلى الاعتقاد بأن وراء هذه الطقوسية سعياً حثيثاً للوصول إلى الحقيقة، ولكنها الحقيقة التي لا تدرك، ولذلك يرتحل الشاعر نفسه من أجل الحقيقة، وفي نهاية مشهد الظعائن يصور الشاعر احساسه بعدم القدرة على امتلاك المرأة من جديد، وإن تتبع الشاعر الدقيق لحركة الظعائن ما هو إلا إبراز لصورة الظعائن التي تصبح صورة من صور البحث عن المعبود الذي ألقى الشاعر الجاهلي وأحزنه، الكل يبحث عن الحقيقة ويسعى إليها، تطلق الظعائن بتجوال بظهر الغيب، تطوف بالأماكن، وتتنكب الجبال، وتتعثر في الرمال، وتجتاز الوديان، في بحث مستمر وتطواف لا يهدأ ويقظة دائمة ... الشعراء لا يحدثوننا بأن الظاعنين قد عرسوا في رحلتهم أو ناموا أثناء السير، وهل ينام الباحث عن الحقيقة، ولكن الشاعر لا يطمئن إلى رحلة الظعائن، وإنما يواصل البحث عن الهدف، ولذلك يقدم مقدمات يشير من خلالها إلى أنه هو الذي يشق الطريق بنفسه، ولذلك يقول في نهاية حديثه عن الظعائن. ^(٣)

لهاجرة عصبت لها جبني
لعلك ان صرمت الحبل مني
أكون كذلك مصبحتي قروني
فقلت لبعضهن وشد رحلي

(يوجه الحديث إلى الحبيبة المخالفة، فهو يحاذثها في داخله، أن نفسه تتشطر شطرين، لذلك يحاول التوحيد في داخله (مصححتي قروني) فإذا كانت محبوبته العنية تريد أن تنفصل عنه، فإن نفسه لا تطاوئه في أن يظل متعلقاً بها، وتقوده إلى الابتعاد عنها، ويعود العنف في نهاية لوحة الظعائن من جديد، إذ أن الكلمات التي يستخدمها الشاعر هي كلمات تجسد هذا العنف، لتسجم مع (هاجرة وعصبت)، وتتبئ هاتان الكلمتان أن أمام الشاعر رحلة شاقة وطويلة في هذا العالم الإنساني الذي يراه قد فقد انسانيته، وبذلك تأتي الرحلة لتكون رمزاً لكافح الإنسان ضد كل المغالطات التي لا تنسجم مع موقفه، فالرحلة

(٣) موسى رباعي: قراءة في نونية المتنبب العبدى - مجلة جامعة الملك سعود للآداب ٢ - ١٤١٢ ص ٦٠

هي بحث عن آثار آفاق جديدة يحاول فيها الشاعر أن يضيء من خلالها جوانب ذاته ويشرح رؤيته التي يؤمن بها. ثم يتحدث المتنب عن الناقة عبر لوحة الرحلة^(٤) فيقول:

عذفراة كمطرقة القبون	فسل الهم عنك بذات لوث
أمام الزور من قلق الوضين	اذا قلقت أشد لها سناها
به صوت أبح من الرئين	تصك الجانبين بمشفتر
تاوه آهة الرجل الحزين	اذا ما قمت أرحلها بليل
أهذا دينـه أبداً ودينـي	تقول اذ درأت لها وضينـي
اما يبقي علىـي وما يقينـي	أكلـ الدهـر حلـ وارتحـال
أريدـ الخـيرـ أيـهاـ يـلينـي	ومـا أـدرـي اذاـ يـمتـ وجـهاـ
أمـ الشـرـ الـذـيـ هوـ يـبتـغـينـي	الـخـيرـ الـذـيـ أناـ أـبـتـغـيهـ
ولـكـنـ بالـمعـيـبـ نـبـئـنـيـ	دـعـيـ ماـذـاـ عـلـمـتـ سـاقـتـيـهـ

تبرز الناقة في مخيلـةـ الشـاعـرـ وـسـيـلـةـ لـلـتـطـهـيرـ منـ الـأـلـمـ، فـهـيـ المـخـلـصـ منـ الـهـمـومـ النـاصـبـةـ وـالـأـلـامـ الـمـبـرـحـةـ، وـالـمـخـاـفـ الـمـتـرـاكـمـةـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ يـنـسـيـ الشـاعـرـ الذـكـرـيـاتـ الـمـؤـلـمـةـ وـالـقـلـقـ وـالـسـامـ (وـحـضـورـ الـهـمـ)ـ تـعـبـيرـ مـكـثـ، وـذـلـكـ أـنـ الـحـقـيقـةـ الـزـائـفـةـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ إـلـيـاـ رـحـلـةـ الـطـعـائـنـ، تـبـعـثـ فـيـ النـفـسـ الـهـمـ وـالـيـأسـ وـالـقـنـوـطـ، وـتـظـهـرـ النـاقـةـ وـحـدـهـاـ فـيـ الـمـوـقـفـ، فـهـيـ كـاـشـفـ الـهـمـ وـبـاعـثـةـ السـلـوـيـ وـمـطـهـرـ الـأـلـمـ، فـيـ الـلـحـظـاتـ الـعـصـيـبـةـ دـائـمـاـ يـتـجـهـ إـلـيـ مـصـادـرـ الـقـوـيـ يـحـتـمـيـ بـهـاـ وـيـلـوـذـ بـكـفـهـاـ، عـنـدـمـاـ يـشـعـرـ بـالـضـعـفـ وـالـعـجـزـ. وـإـذـاـ كـانـ اـسـتـحـضـارـ النـاقـةـ قـدـ اـرـتـبـطـ بـغـاـيـةـ فـيـ ذـهـنـ الشـاعـرـ، وـهـوـ الـأـرـتـحـالـ وـالـأـنـتـقـالـ وـتـجـاـزـ الـرـاهـنـ الـمـلـيـءـ بـالـظـلـمـ وـالـصـدـمـاتـ، فـانـ هـذـهـ الـغـاـيـةـ تـحـوـلـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـقـصـيـدـةـ لـتـصـبـ جـزـءـاـ مـنـ ذـاتـ الشـاعـرـ، وـفـيـ الـأـبـيـاتـ الـتـيـ وـصـفـ الشـاعـرـ بـهـاـ نـاقـتـهـ اـشـارـاتـ وـاـضـحـةـ الـارـتـبـاطـ بـحـالـتـهـ الـنـفـسـيـةـ. اـنـ تـقـاعـلـ الشـاعـرـ مـعـ مـوـضـوـعـهـ هـوـ السـبـبـ الـأـسـاسـيـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـسـتـطـقـ النـاقـةـ، فـهـوـ يـتـوـحـدـ مـعـ نـاقـتـهـ فـيـ لـحـظـاتـ الـمـشـقـةـ وـالـكـلـامـ وـالـشـكـوـيـ مـنـ الزـمـنـ (أـكـلـ الـدـهـرـ حلـ وـارـتـحـالـ)، فـكـانـ الشـاعـرـ وـالـنـاقـةـ الـتـيـ يـتـوـحـدـ مـعـهـاـ يـقـانـ مـنـ الزـمـنـ مـوـقـفـ الـمـتـذـمـرـ فـالـزـمـنـ يـشـكـلـ لـهـمـاـ هـمـاـ لـاـ يـمـنـحـهـمـاـ الـرـاحـةـ وـالـطـمـائـنـيـةـ، بـلـ هـوـ ذـلـكـ الـقـضـاءـ الـمـقـدـرـ عـلـيـهـمـاـ، وـبـذـلـكـ

يتساوى الشاعر مع ناقته بالاحساس أن الحياة فضاء منتهاء، وأن الانسان عليه أن يدور في ذلك الفضاء حتى النهاية، يقول (موسي رباعه). وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة يعود الشاعر إلى لب المشكلة الأساسية التي كانت تقلق الشاعر الجاهلي بصورة عامة وهي مشكلة المستقبل الغامض، فالشاعر كما يظهر يبحث عن الخير والسمو، ولكن تجربته القاسية مع بعض الناس جعلته يطل على العالم بأسره، ذلك العالم الذي يحمل وجهين متلاقيين، وجهاً للخير ووجهاً للشر، وتظل هذه الثانية تلعب دوراً مهماً بارزاً، فالشاعر يعيش بين هذين النقيضين، وبذلك فان منح الشاعر صفة الجهل (وما أدرى) و(الغيب) يصبح اشارات جهل الشاعر بالمستقبل، فتجارب الشاعر الجاهلي القاسية مع الزمن قد (حددت) كثيراً من مواقفه ووسمت حياته بطابع مميز، فقد عاش الشاعر الجاهلي حاضراً قلقاً نتيجة المستقبل الغامض^(٥).

وتحدى الشعراء العبديون عن شبابهم ولهوهم في سياق حديثهم عن شيخوختهم الذي كان يدفعهم إليه غوايدهم ونسائهم، وقد كانت صورة المرأة في هذا الحديث شابة خالدة الشباب تسرخ من الشاعر الشيخ وتهزأ من ضعفه وتعرض عنه، فتستثير كلامه عن فتوته الماضية، ذلك مع ان الشاعر يذكر لنا بعض ذكريات شبابه مع هذه الفتاه ذاتها، فكان شاب رأسه وبقيت حبيبته في صباها خارج نطاق الزمن^(٦). يقول عبد الله بن جنح النكري^(٧):

أن قد كبرت وأدبرت حاجاتي
مذ كم كذا سنة أخذت قناتي
أغشى الحروب وما تشيب لداتي

زعم الغواني أن أردن صريمتي
وضحكن مني ساعة وسألنني
ماشبت من كبر ولكنني امرؤ

وتأتي قضية الموت في مقدمة مشكلات الانسان الفلسفية التي أرقته منذ أقدم الفلسفات حتى اليوم، وقد قال أفلاطون بأن الفلسفة هي تأمل الموت. وهي عبارة توحى بأن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي تثير لدى الفيلسوف شتي ضروب التأمل، فتدفعه إلى أن النظر في أسرار هذا الوجود والبحث عما قد يكون وراء ظواهر الحس.^(٨)

(٥) انظر الدراسة السابقة: ٤٦٩ و ٤٧٠

(٦) مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢١٢ وزارة الاعلام العراقية - سلسلة الدراسات ١٢٣

(٧) الأصماعيات: الأصماعية ٣٠ ص ١١٤ دار المعارف بمصر.

(٨) زكريا ابراهيم: تأملات وجودية: ٦٦ - الأدب بيروت ١٩٦٣

والشعر وهو نتاج انساني كان لابد أن يكون ذات قرابة حميمة بالفلسفة، ثم ان هذه القرابة تتمثل أيضا فيما يجمع بينهما من الاهتمام المشترك بمصير الانسان، وموافقه البشرية، وقيمه الأخلاقية، وصراعه. بل ان الفلسفة برغم أنها نتاج عقلي يستند إلى الفهم والتركيب والتأويل لا يخلو من خيال عقلي تصورى، كما أن الشعر برغم كونه نتاجا فنيا قائما على الاحساس والانفعال والتأثير لا يخلو من تفكير ميتا فيزيقي غير مباشر.^(٩)

وفد شغلت قضية الموت تفكير الشاعر العبدى الجاهلى أكثر مما شغلت معاصريه من سائرون الشعراء، ولعل يزيد بن الخذاق العبدى أول من عنى بتسجيل عادة الجاهليين في دفن موتاهم، ويدرك أبو عمرو بن العلاء أن ما قاله هذا الشاعر في ذم الدنيا هو أول شعر قيل في هذا المعنى، وفي أبيات رثى فيها نفسه فصل الشاعر مراسم الدفن بكمالها من غسل الميت وتكفينه وتشييعه وتأبينه حتى وضعه في لحده واغلاق قبره عليه، والعظة الحكيمية في هذا النص لا تقتصر على تصوير طقوس الدفن، وإنما تظهر منذ البداية في هذا الاستئناري الذي استهل به أبياته، والذي يدل على عجز الانسان عن الوقاية من مصائب الدهر، ولا سيما الموت الذي لا تدفعه رقية راق ولا وقایة واق، كما تتبدي العظة في ذلك البيت الذي يشير فيه الشاعر إلى اقبال الورثة على تقسيم ماله وانشغالهم عنه بما شقي في جمعه، وهذا هو ذا يموت دون أن يأخذ منه شيئا. ان احساس الشاعر بالحياة والموت يستبطن النص كله حتى في الجزء الذي يحمل في ظاهره الجمال ويدل على القوة والحيوية والشباب، كترجميل الشعر ولبس الجديد فذلك الترجميل واللباس ليس لحفلة ترفيهية، وإنما لحالة تأبين جنائزية، بعد أن صار كطى المخراق (وهو العمامة البالية التي يلعب بها الصبيان). يقول:^(١٠)

أم هل له من حمام الموت من راق
وألبسوني ثيابا غير أخلاق
وأدرجوني كأني طي مخراق
ليسندوا في ضريح التراب أطباقي

هل للفتى من بنات الدهر من واق
قد رجلوني وما رجلت من شعث
ورفعوني وقالوا أيمار جل
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا

(٩) انظر لزكريا ابراهيم: مشكلة الفلسفة ٢٠٠٠، ١٦٤، ١٧١، ١٦٥، ٣٠٨، ٣٠٠ - مكتبة مصر

(١٠) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١/ ٣٨٦

فانما ماننا للوارث الباقي
بنا فذات بلا ريش وأفواق

هون عليك ولا تولع باشفارق
كأني قد راماني الدهر عن عرض

ويبدأ منفذ بن هلال الشني أبياته بالتعجب من ظلم المنية له وحقدها عليه، وكأنها تنتقم منه أو تثار، فقد انتشرت نارها في قومة حتى أكلت الأخضر واليابس، فلا الغني نجا منها بثروته، ولا الفقير سلم منها لعدمه، لقد أدمت حصدتهم ولم تتوقف أو تشبّع، والأعجب أن هذه المنية تنتزع أقرب الناس إليه، وأحبهم إلى قلبه، وكأنها تفعل ذلك عن قصد وعمد. ونلاحظ أن كل كلمة من الأبيات تشي بحالة التوتر التي يعانيها الشاعر، بما تشمل عليه من تكثيف للمعنى، تمثل في مثل لفظة (غشم) الدالة على الظلم ولفظة (شعواه) الدالة على الانتشار الواسع، وغيرهما من الألفاظ الموحية والمعبرة عن حدة المأساة التي أرقت الشاعر العبدى. يقول: ^(١١)

ما غشمها اي اي كالغشم
شعواه مدمنة على هضم
تدع الفقر لشدة العدم
إلا تخيرهم على علم
فكانما تختار عن فهم

هل للمنية عندنا جرم
دربت فما تنفك تأكلنا
لا ترتشي مال الغني ولا
ما ان تري أهلي بمغبطة
تختار منهم من أضن به

وقد يستدلون في مقام البرهنة على حتمية الموت بمن رحل من أشقارهم وأصدقائهم المحيطين بهم، مستهدفين من ذلك اقناع من يلومهم على المخاطرة أو الارساف. يقول مسعود بن سلامة العبدى: ^(١٢)

إلى جدث تسفي عليه الأعاصر
جميعا واخواني الذين أعاشر
وأوحش من حداثة فهو سائر

أقلي على اللوم لني صائر
ألم تعلمي أن قد ترحل أخوتي
إذا سار من خلف الفتى وأمامه

(١١) البحترى: الحماسة: ١٠٦

(١٢) نفسه: ٢٠٥

وربما استمدوا برهانهم علي نفاذ الموت من الحيوانات القوية الضاربة الممتعة في الغابات وأعلى الجبال وأجواز الفضاء، كالأسود والوعول والنسور، كما نرى في قول جندل بن أشمسط العبدى مصورا جبروت الموت وسلطانه القاهر لكل الأحياء قويهم وضعيفهم أينما حلوا وحيثما تقووا: (١٣)

لا ينفع الهارب الفرار من الـ
تغدو المنايا على أسامة في الـ
وتصرع الطائر المدوم في الجوـ
موت اذا ما تقارب الأجلـ
خيس عليه الطرفاء والأسلـ
ويشقى بريئة الوعـ

وقد يتخذون من القصور المشيدة ذات الحراس الأشداء دليلا آخر على عجزهم عن التحرز من الموت وعدم النجاة منه بأي حال من الأحوال، وصولا إلى فلسفة المغامرة وترك الحذر، يقول ثعلبة بن عمرو العبدى: (١٤)

أرجيل أحبوش وأسود آلف
يُخْبَرُ بِهَا هَادِ لَاثْرِيْ قَائِف
وأَيْةُ أَرْضِ لَيْسَ فِيهَا مَتَّالِف
وَلَوْ كُنْتَ فِي غَمْدَانٍ يَحْرُسُ بَابَه
اذن لَأَتَنْزِيْ حَيْثُ كُنْتَ مُنْتَيِّ
أَمْنٌ حَذَرَ أَتَيَ الْمُهَالِكَ سَادِرَا

وقد يلتقطون إلى التاريخ فيستمدون منه الدليل على سرعة الفناء وأنقلاب الحال، وربما فعلوا ذلك مع الملاهين والمتربفين عليهم يتعظون بذلك، كما صنع نشبة بن عمرو العبيدي حين اتّخذ من بنى النعمان بن المنذر العبرة، على زوال ذوي الشأن والقوّة والعدة والكثرة. يقول: ^(١٥)

يأيها المحتفي بالدهر يمدحه
كم كان عند بني النعمان من جن
ومن جياد تغالي في شكائمهها
بادوا فلم يك أولاهم كآخرهم

١٠٠ المصدّر الساقي: ١٢)

٢٨٣) المفضلية ٧٤ ص (١٤)

٢١٥ (١٥) البحري: الحماسه

ويلفت مويلاك بن قابس العبدى نظر المخدوع بحال المنعدين في هذه الحياة إلى ما يزيل عنه غشاوة الخداع بأن يكل أمره للزمن الهادم للملذات المبيد للأحياء، يقول مصورة حياة الإنسان القصيرة الفانية في هذه الصور الحسية: (١٦)

فدعه ووكل حاله والليلالي
وان لم يكن فيما ترى العين آليا
وأن الفتى يسعى بحبليه عانيا
ولا بد يوماً أن يلاقى الدواهيا
صروف الليلالي يقتلعن الرواسيا

اذا اعجبتكم الدهر حال امرئ
يغيرن ما ابصرت من صالح به
الم تر ان الدهر يوم وليلة
يروح ويغدو والمنية قصده
ضلال لمن يرجو الخلود وقد رأى

فالدهر يمد الانسان بالحياة عن طريق حبليه (الليل والنهر) وهو يسعى بهما او فيهما بمشقة و عناء، والموت يتوجه إليه عامدا، ولا بد أن يقطع ذلكما الحبلين في يوم من الأيام، إذ لا دوام لأحد مهما كان، فالذى يظن الخلود في ضلال بعيد، وهم يعلمون علم اليقين أن الموت لا رقية له ولا علاج، ويرددون هذا المعنى، فيذكر الممزق العبدى بأنه مهما فعل من الاستعانة بالكهان والأطباء واستخدم التمام والتوعيدات، فلن ينجو من الموت. يقول: ^(١٧)

وعلق أنحاسا على المنحني
يُخب بها هاد إلى معقرس

لو کان عندي حازيان وکاهن
اذن لأنتني حيث كنت منيتي

وهكذا نجد أن شعرهم الكثير هو الذي يتحدث عن قضية الموت، فالموت أمامهم قضية مائلة ويقين قائم لا مفر منه ولا مهرب، وهو مفزع ومخيف، والأيام والليالي باقية ثابتة، لكن نوائبها وصروفها تتغير وتتبدل، فمن صالح إلى طالح، ومن مسرة إلى اساءة، ومن نعيم إلى زوال، والانسان لا يدوم على حال واحدة مهما كانت صولته وسلطانه. وذكر شعراء هذا الاتجاه ما يلحق بالموت من قبور وما يستعان به من وقاية وحماية فالمرء أبداً حذر متربص يفزع إلى الكهنة والراقيين ويسرع إلى الرقية، والتلميحة ولكن هيئات، فالموت أقوى وأعظم من كل المحسنات، ولم ينطرقوا إلى ما بعد الموت وإلي حياة القبر

١٦) المصدر السابق:

۱۷ (۱۷) نفسم

وعذاب الانسان. وأغلب الظن أنهم كانوا واقعيين لا يدركون ما يحدث للجسد بعد الانتهاء والموت، فحياتهم جل معتقداتهم، لذلك لم نجد عند عم تعليلاً خاصاً أو فلسفية معينة ولم يكن لديهم دين واضح يأترون بأمره ويجبونه نهيه، فتلك معارفهم ومفاهيمهم. ^(١٨)

لقد استطاع شعراء عبد القيس الجاهليون أن يعبروا عن نظراتهم في الحياة والموت تعبيراً صادقاً، فذكروا الدهر وهو عندهم يوم وليلة، يفرق بين الأخوان، ويقسم الآجال والأعمار، فتفنى الأمم والدهر ماثل لا يفنى، والزمان قائم يتجدد، وأحداثه تغير من واقع الناس وحياتهم، ولهذا تأملوا وتشاءموا وشتم بعضهم الزمان. ^(١٩)

أما موقف شعراء عبد القيس الاسلاميين من قضية الموت والحياة فقد سلك اتجاهها آخر، بسبب التأثر الواضح بالعقيدة الدينية، فقد شمل هذا التأثير جميع الشعراء حتى الذين حاولوا تقليد الجاهليين في بعض المبادئ الفلسفية المتصلة بهذه القضية كعبد العبدي الذي ذهب مذهب طرفة بن العبد في أبياته التي منها:

فلا ولا ثلث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

فإنه يضع على رأس ما يصله بالحياة. تقوى الله عز وجل لسلام الناس من لسانه ويده، ثم حبه لحياة الفروسية وقيادة الجيوش الجرار، وأخيراً ميله لشرب الراح الصافية، يقول: ^(٢٠)

معالي هذا الدهر غير ثمان
رهينة ما تجني يدي ولساني
إلى حفل يوماً فيلتقيان
من الخمر لم تمزج بماء شنان

الم ترى كعباً كعب غورين قد قلا
فمنهن تقوى الله بالغيب انها
ومنهن جري حفلاً لجب الوعي
ومنهن شرب الكأس وهي لذيدة

وفي دعوة عبد الحميد الخطبي النائم إلى الصحو الباكر للتمتع بجمال الطبيعة ومباهج الحياة نلمس شفافية واتساع نظره الشاعر العبدي إلى الحياة، فهي لا تقتصر على الاستمتاع

(١٨) عبد الحميد العيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ١٨٩/١ - رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة ١٨٩

(١٩) نفسه: ١٩١/١

(٢٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٢١٨ - دار احياء التراث العربي - بيروت.

بالأشياء التي لم يك الشاعر الجاهلي يتجاوزها، بل تمتد إلى كل شيء جميل في الطبيعة من صباح وشاطئ وربوة وبطحاء وشجر وزهر. يقول: ^(٢١)

قد صاح مؤذنا بالصباح	أيها النائم استيق ان ديك الفجر
لا تنم والصباح ملء النواحي	هاتفا بالنؤوم هب خفيفا
في الشواطئ وفي الربا والبطاح	متع العين بالصباح مشاعا
بين عود يشدو وأقداح راح	خير أوقاتك التي تتقضي
حول زهر غض وخدود رداع	وعلي صفتني غدير طروب
وسوء ذwo الخن والصلاح	كل أبناء آدم لتراب

وهذه الدعوة وان تناولت ملذات حسية تقليدية كالشراب والنغم والخضرة والوجه الحسن، الا أن أثر الاسلام يبدو واضحا في كشف الزهاد المزيفين الذين لم يلبسو الزهد عن قناعة وبيقين، وانما اضطرهم اليه فشلهم في الحياة وكسلهم وقلة حيلتهم. يقول:

غفلات الزمان والنصاح	فانفق العمر في اللذادة وانهب
متنقل بالهموم والأتراح	وابتعد ما استطعت عن وعظ غر
وزهد الضعيف شر سلاح	خاب في العيش فاطمأن إلى الزهد
قائم اللون كاللالي القباح	يبرز الغادة الكعب بشكل
لتredi علي فم المصباح	ولو اسطاع نهزة من نعيم

وتحدث شعراء عبد القيس عن الشيب على طريقة الجاهليين، الا أنهم كانوا أبعد نظرا وأكثر عمقا، فالطابع الاسلامي ظاهر في حديثهم القائم على الجدلية المنطقية والتركيب القرآنية. ففي قصيدة لابن المقرب نراه يدير في ابيات منها حوارا بينه وبين احدى الحسان، فقد استتكرت منه تعلقه بالنساء وهو في سن الشيخوخة، حيث شاب رأسه وتحول سواده إلى بياض، ولكن الشاعر يرد على استتكرارها ردا مؤيدا بالحججة المنطقية القائمة على المغالطة الطريفة، فإذا كان شعر رأسه قد تحول من السواد إلى البياض، فان اللون الأبيض أفضل عند أكثر الناس من اللون الأسود، كما أن كل الناس متتفقون على ان

(٢١) سعود الفرج: شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج ٨٥/١ القطيف ط ١٤١٧ هـ

الصبح ببياضة أجمل من الليل بسواده، ولكن هذه الحجة المرتكزة على المكر والحيلة لم تتحقق الهدف، ولم تُنطلي على المرأة، التي سخرت من الشاعر وخطبته بأسلوبه الماكر، ولاعبته بمثل حجته، فإذا كان البياض حسنا في الشعر الأسود، فإن السواد حسن في الأسنان البيضاء. يقول: (٢٢)

بياض مشيب جلته المسائح	وقائلة شبة الملام وراعها
لوصل الحسان البيض أم أنت مازح	أبعد اشتعال الرأس شيباً تعرض
وابهيء من الظلماء والليل جانح	فقلت أليس الصبح أحسن منظراً
وقالت لهذا فلتزن حك النوائج	فمالت لهزل القول ثم تصاحت
فيما حسن ثغر سودته الفوادح	إذا شيب رأس المرء مما يزينه

وفي مقدمة غزالية أخرى يتحدث ابن المقرب عن حبه، وهو في سن الشيخوخة وحرسه على كتمانه، تحاشياً لكلام الناس، وعدم تمكّنه من ذلك، لقوته وظهور علاماته في نظراته وأنفاسه المتصاعدة، ويقول لنفسه إن أخفاءه لحبه يضر بصحته ويحرق قلبه، وإن هذا الأخفاء من قبيل الكبر الذي لا يليق بعاشق، وأن الأولى أن يعلنه ويعترف به. ويقدم الشاعر جملة من الأمثل والحكم ليقنع بها من ينكر عليه حبه ويعييه عليه، وبعض هذه الأمثل لا يزال حياً على الألسنة حتى الآن، يقول: (٢٢)

وتظهر الرزء بين الناس تمويها	تخفي الصباية والألحاظ تبديها
شيخاً فتعلنه الأنفاس تنويها	وستر الحب كيلاً لا يقال صبا
كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها	يا عاشقاً تلتفت في العشق مهجه
ما أحمق العاشق المستصحب التيها	واضرب عن التي صفاً والغ صحبته
ووجهة هو عن قصد مولىها	فإن لحوك فقل كل له شجن
(لا تحرق النار إلا رجل واطيها)	ولا تلتفت إلى قول يزيد ضني
ولا يحس الحمي غير حاسيها)	(ليس الخلي بياك للشجي أسي

ويتحدث الصلتان العبدية عن أثر السنين في الإنسان، وما يكابده في حياته من جهد وعناء، وانشغال بمطالب الحياة اليومية، التي لا تنتهي حتى يأتي الموت فيسلب المرء حياته بكل صورها. يقول الصلتان العبدية: (٢٣)

كر الغداة ومر العشي
أتي بعد ذلك يوم فتى
وحاجة من عاش لا تنقضي
وتبقى له حاجة ما بقي
ويمنعه الموت ما يشتهي

أشاب الصغير وأفني الكبير
اذا ليلة هرأت يومها
نروح ونغدو الحاجاتنا
تموت مع المرء حاجاته
ويسلبه الموت أشوابه

يقول د. الزيز: فالصلتان العبدية يلقي بمسؤولية فناء الإنسان على مرور الزمن فالصغير والكبير ليسا سوي ضحية لهذا التكرار والتعاقب الزمني الذي صير الطفل شيئاً هرماً كبيراً، ويلاحظ أن الصغير يصير كبيراً، وهو حين يصير كبيراً يصير إلى الموت، اذن فالزمن يميت هذا الصغير في الوقت الذي يميت فيه الكبير وحينئذ يصبح (أشاب) يحمل معنى (أفني) فكأنه يقول (أفني الصغير وأفني الكبير)، ونلاحظ أيضاً هذه الحركة المتعاقبة في البيت باستعمال الأفعال المترافقه "أشاب - أفني" ثم اعاقابها بالمصدر المفید للحركة المطلقة "كر - مر" ثم في البيت الثاني "هرأت ليلة يومها" أتي بعد ذلك "يوم فتى". أنه زمن متحرك نشيط فتى مناضل كما يوحى بذلك المصدر "كر" الذي يعبر عن العزم والتصميم على عراك الإنسان. (٢٤) ومن الموضوعات القديمة التي طرقوها تتبه الغافل المغتر بالدنيا الذي لم يتذوق بعد مراتتها فعاش في نعيمها آمناً من تقلباتها وأذاتها. يقول ابن المقرب العيوني محذراً هذه الفئة من حوادث الأيام: (٢٥)

أمضى من الذكر الصمصامة الخدم
أن المقادير أعطاه عري السلم
وكل غاية موجود إلى عدم
له تصارييفه من صفوه النقم

أيدي الحوادث في الأيام والأمم
فلا يظنن من طالت سلامته
كل بما تحدث الأيام مرتهن
من سره الدهر صرفاً سوف تمزجه

(٢٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٥٠٢/١

(٢٤) محمد الزيز: الحياة والموت في الشعر الأموي: ١٥٠ - دار أمية للنشر والتوزيع - الرياض

(٢٥) ديوانه: ٤٨٣

ولو حبتك بخير الخيل والنعيم
خف العواقب واحذر زلة القدم

فلا تغرنك الدنيا وزينتها
يا غافلا لشعب الظن الكذوب به

ويمضي الشاعر في موعظه، فيقدم طائفة من الاستدلالات، يستمدّها من تفاصيـة
التاريخـية الواسـعة، مذكـراً هـذا الغـافـلـ المـتـرـفـ بما جـريـ لـلـأـمـ وـالـمـلـوـكـ الغـابـرـينـ منـ هـلـاـكـ
رـغـمـ قـوـتـهـمـ وـسـلـطـانـهـمـ.ـ فـيـقـوـلـ:

سـادـ القـبـائـلـ مـنـ عـادـ وـمـنـ اـرـمـ
أـوـلـادـ حـمـيرـ وـالـسـادـاتـ مـنـ عـجمـ
مـنـ جـرـهـمـ سـاـكـنـيـ بـحـبـوـحـةـ الـحـرـمـ
فـيـ وـائـلـ فـسـقـاـهـاـ غـيـرـ مـحـتـشـمـ
عـقـدـ الرـئـاسـةـ عـنـ آـبـائـهـ الـقـدـمـ
سـهـمـ الـمـنـونـ عـلـىـ عـمـدـ فـلـمـ يـرـمـ
بـكـرـ سـقـاهـ بـكـاسـاتـ مـنـ النـقـمـ
بـسـطـامـ مـدـ الـيـهـ كـفـ مـخـتـرـمـ
فـوـقـ التـرـابـ عـقـيرـ الـخـدـ وـالـقـسـمـ
بـهـ الـأـعـارـيـبـ وـاسـتـولـتـ عـلـىـ الـعـجـمـ
بـجـحـدـ فـارـسـ التـحـلـاقـ لـلـمـ
فـيـهـ بـنـوـهـ وـلـمـ يـكـرـثـ بـهـ
بـنـاهـ وـالـدـهـ اـذـ كـانـ ذـاـ هـمـ
عـنـ رـأـسـهـ التـاجـ عـمـداـ غـيـرـ مـحـتـشـمـ
مـنـهـ الـحـمـامـ فـلـمـ يـطـلـبـ لـهـ بـدـمـ
أـعـنـيـ كـلـيـاـ قـرـيـعـ الـعـرـبـ وـالـعـجـمـ
عـنـهـ الـمـنـيـةـ اـذـ جـاءـتـ بـنـوـ جـشـ
مـنـهـ وـكـانـ عـدـيـ أـيـ مـعـتـصـمـ
يـتـرـكـ لـهـمـ مـنـ حـمـىـ حـامـ وـلـاـ حـرـمـ
أـهـلـ النـهـيـ وـالـلـهـيـ وـالـعـهـدـ وـالـذـمـ

أـيـنـ الـمـلـوـكـ وـأـرـدـافـ الـمـلـوـكـ وـمـنـ
وـأـيـنـ طـسـمـ وـأـلـادـ التـبـابـعـ مـنـ
وـأـيـنـ آلـ مـضـاضـ فـيـ قـبـائـلـهـ
أـفـنـاهـمـ وـأـدـارـ الـكـأسـ مـتـرـعـةـ
أـوـدـيـ اـبـنـ مـرـةـ هـمـاماـ وـكـانـ لـهـ
وـمـانـعـ الـجـارـ جـسـاسـاـ أـتـيـحـ لـهـ
وـالـحـوـفـزـانـ الـذـيـ كـانـتـ تـنـوـءـ بـهـ
وـفـارـسـ الـعـرـبـ الـعـرـباءـ اـنـ ذـكـرـتـ
فـابـتـزـهـ مـلـكـهـ غـصـبـاـ وـأـنـزـلـهـ
وـلـمـ تـدـعـ هـاـنـنـاـ وـهـوـ الـذـيـ اـنـتـصـفـتـ
وـالـحـارـثـ بـنـ عـبـادـ غـالـهـ وـسـطـاـ
وـالـحـارـثـ بـنـ سـدـوـسـ لـمـ يـهـبـ عـدـداـ
وـالـجـعـدـ مـسـلـمـةـ لـمـ يـحـمـهـ فـدـنـ
وـهـوـذـةـ بـنـ عـلـيـ حـطـ مـنـزـعـاـ
وـشـيـخـ عـجـلـ أـبـاـ مـعـدـانـ عـاجـلـهـ
وـفـارـسـ الـعـرـبـ الـعـرـباءـ وـسـيـدـهـاـ
لـمـ يـحـمـهـ عـدـ بـحـرـ وـلـاـ دـفـعـتـ
لـمـ يـكـنـ لـعـدـيـ بـعـدـ عـصـمـ
وـآلـ كـلـثـومـ سـادـاتـ الـأـرـاقـمـ لـمـ
أـوـلـنـكـ الـغـرـ مـنـ سـادـاتـ قـوـمـكـماـ

وهذه شيم الدنيا وعادتها
فيمن مضي أو بقي من سائر الأمم

ثم يعرج علي ذكر بعض الأقوياء من المسلمين، فيذكر بطل القادسية المتنبي بن حارثة الشيباني وشبيب بن يزيد الشيباني الخارجي الذي هزم جيش الحجاج في موقع كثيرة، وأولاد مزيد الشيباني ومنهم يزيد بن مزيد كان شجاعاً كريماً تولى أرمينية وأذربيجان، ومنهم معن بن زائدة الشيباني أحد أجواد العرب وشجاعتهم وفصحائهم ولاه المنصور اليمن ثم سجستان، يقول:

سقاه كأس الردي صرفاً بغير فم
كأس الحتوف بلا سيف ولا سقم
واجتاحتهم مزبد في سيله العرم
وعاقد الفيل يوم القادسية قد
وقد أذاق شبيباً في شبيبته
والمرزيديين غالتهم غوائله

ويتناول ابن المقرب قضية الموت على طريقة فرسان الجاهلية، فادراكهم لحتمية الموت دفعهم للجرأة عليه، فإذا لم يكن تفادي الموت ممكناً، فالخوف منه عبث لا طائل تحته. يقول: ^(٢٦)

واقحامي المهالك وافتزاعي
رويدك لا شقيت فلن تطاعي
تصيره المنون إلى اندفاع
سينعاه إلى الأقوام ناع
تخوفني ابنة العبدى حتى
فقلت لها وقد أربت وزادت
أجل بالفراق وكل شعب
وأرهب أن أموت وكل حي

وإذا كانت نظرية الجاهلين إلى الحياة والموت متشائمة في عمومها، فإن نظرية المسلمين حيال ذلك مختلفة، فقد قدم الإسلام للإنسان حلاً مرضياً تجاه الحياة وما وراءها، وأشاع في نفسه راحة وطمأنينة، وخلصه من شوائب الطيرة والقلق من المجهول، يقول عبد الله بن سلام العبدى مبيناً أثر الإيمان بالله والتسليم بقضائه في تحقيق السكينة والصفاء للنفس الإنسانية، وانطلاقها من أسر الأفكار الخاطئة المضللة التي كانت تجتاحتها وتسلط عليها: ^(٢٧)

(٢٦) ديوانه: ٢٦٧
(٢٧) البصري: الحماسة البصرية: ٢٨/٢

اذا غدوت فلا أغدو على حذر
 من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل
 أخش البوائق من ثور ومن حمل
 الله يمضي الذي يقضي على فلم
 ويقول الأعور الشني مبينا أثر الایمان المطلق بالقدر الالهي في تهويين ما يمر على
 المرء من مصائب وخطوب، وما للصبر على ذلك من جراء وثواب: (٢٨)

وهون عليك فان الأمور
 بكاف الاله مقاديرها
 فليس يأتيك منها
 ولا قاصر عنك مامورها

وحل التفاؤل عبد الشاعر العبدى المسلم محل التشاؤم الجاهلى، فهذا عبد الواحد
 الخنizi العبدى يدعو إلى ترك اليأس والقطوط ليحل محله الابتسام والتفاؤل، فهما خير
 معين للانسان في تحقيق طموحاته وأماله، فأسباب الحياة السعيدة لا تتهيأ الا للطموح
 الجسور المستبشر الذي يرى الصعب سهلاً ويحول الليل إلى نهار، بعمله الدؤوب، والشوك
 إلى رياض بجده وكده، أما المتشائم الكسول الذي يعيش على الأماني الكاذبة والأحلام
 الزائفة دون أن يتحرك فليس له مكان في هذه الحياة التي لا يصل إلى مدارج الرقي فيها إلا
 المغامر المقدام. يقول (٢٩)

وتشكى الزمان والأقدار
 تبصر على الظلام نهارا
 لطموح ينمازى الأخطراء
 ويرى الشوك روضة معطارا
 ويرى الخصب فدفدا وقفارا
 حلام خمرا ويسكن الوهم دارا
 أو تروي من الصدى أوارا
 يركب الصعب سلما مختارا
 تزرع اليأس في طريق مساعديك
 ابتسنم للحياة في ظلمة الأحداث
 انما هذه الحياة أعدت
 ويرى الليل مشرقا بالمساعي
 لا لمن يبصر النهار ظلاما
 وهي ليست لكافل يشرب الأ
 يتمنى وهل تقيت الأماني
 ليس يرقى مدارج المجد من لم

(٢٨) المصدر السابق : ٢/٢

(٢٩) عبد العلي يوسف: القطييف، أضواء على شعرها المعاصر ١٩١ - مطبع الفرزدق

أما محمد سعيد الخنيري فعلى الرغم من رؤيته الواضحة للجانب السلبي من الحياة، وأنها تحمل من الشقاء ألواناً، وأن كل فرد لم يسلم من أذاتها، إلا أن هذه النظرة السالبة لا تثبت أن تحول إلى نظرة ايجابية مبنية على التفاؤل والابتسام تجاه الأحداث والخطوب، لأن الحياة كلها زائلة زوال الظل. يقول (٢٠)

اللالي لا تبتئس أيها الشا
أنت فيها كالزورق التائه المجر
لاتظل الحياة إلا شقيا
أي فرد لم يجرع السم فيها
فابتسم كالزهور كالليلة القراء
لا يغرنك عشر قدسوا البو
انما هذه الضفادع كالاصبا
عر منها ولا تضيق بالبلاء
داف في عاصف من الأهواء
انما الكون عالم الأشقياء
من كؤوس تفيض بالبراء
كالفجر مشرق الللاء
م و قالوا فيه هزار السماء
غ تمحي بالرياح دون ذكاء

أما القضايا الجديدة التي عالجها شعراء عبد القيس في هذا الجانب فأهمها قضية النفس، وهي من المسائل الفلسفية التي اهتم بها الفلسفه المتكلمون من العرب وغيرهم. ومن أصحاب الرأي في هذا الموضوع النظام الذي ذهب إلى أن النفس جسم لطيف متشالك للبدن مداخل فيه، وأن الروح هي جسم وهي النفس (٢١) وقد أخذ كثير من المتكلمين بمذهب النظام فقال امام الحرمين: والأظهر عنده أن الروح يقصد بها النفس، أجسام لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت متشابكة لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة. (٢٢) ومن أخذ بمذهب النظام أيضاً ابن حزم الذي قال إن النفس هي الروح وهمها أسمان لسمى واحد، ومعناهما واحد، وأن النفس عنده جسم طويل عريض عميق ذات مكانة عاقلة مميزة مصرفه للجسد، وهي بخلاف البدن أي الجسد. ويؤكد ابن حزم أن هذا هو مذهب أهل الاسلام والمسلمون المقرة بالمعياد (٢٣)، ويذهب ابن القيم إلى أن رأي جمهور المسلمين هو أن النفس والروح أسمان لسمى واحد وأن هذا هو مذهب الصحابة. وأكد ابن القيم أن النفس جسم لا باعتبار

(٢٠) ديوانه: النغم الجريح: ٩٤ — مكتبة الحياة — بيروت

(٢١) سهير فضل الله: الفلسفه الإنسانية في الاسلام ٦٢ - دار النهضة المصرية

(٢٢) نفسه: ٦٣

(٢٣) نفسه ٦٣ و ٦٤.

اللغة وأنما المقصود بجسميتها أنها تقبل الصفات والأفعال التي يدل عليها الشرع والعقل والحس والحركة والانتقال والصعود والهبوط والشعور بالعذاب وأنها تحبس في الجسم.^(٣٤)

ومن الفلاسفة من ذهب إلى الاتجاه الروحي القائل بأن النفس ليس بجسم له طول وعرض وعمق ومكان بل هي جوهر روحي،^(٣٥) ومنهم من رأى أنها عرض من الأعراض توجد في الجسم، وهي أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان علي الفعل كالصحة والسلامة وما أشبههما وأنها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام^(٣٦)، وقد مال الغزالي إلى أن النفس غير الروح وغير البدن، فالروح هو الجاري في العروق والشرايين أي الحرارة الغريزية المبنعة في العضلات والأعصاب، وهي التي موجودة في البهيمة وبها حياتها، ثم يأتي أمر النفس، وهي التي تفصل بين الآدمي والبهيمة، وهي الجانب العقلي من الإنسان. فالحيوان جسم وروح أما الإنسان فهو النفس والروح والبدن.^(٣٧)

وقد أشار الممزق العبدى إلى النفس المرادفة للروح في قوله:^(٣٨)

ألا من بعين قد نأها حميمها
وأرقى بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتي همومها
نفس تعزىها ونفس تلومها

وقد اختلف المسلمون في النفس الإنسانية، وهل هي قديمة أم حادثة؟ فالمتكلمون يرون أن النفس حادثة مخلوقة خلقها الله سبحانه وتعالى مثل خلقه لسائر مخلوقاته، لأنه تعالى خلق كل شيء، أما الفلاسفة المسلمين فذهبوا مذاهب مختلفة متأثرة بالفكر اليوناني، فقال بعضهم بالفيض، وقال بعضهم بالحدوث، وقال بعضهم أن النفس قديمة وليس حادثة، يقول ابن حزم أن النفس كانت قبل تركيب الجسد منذ أباد الدهور وأنها باقية بعد انحلاله.^(٣٩)

(٣٤) المصدر السابق: ٦٤، ٦٣

(٣٥) نفسه: ٦٤

(٣٦) نفسه: ٦٢

(٣٧) نفسه: ٦٧

(٣٨) المرتضى: أماله ٣٢٥/١ - دار الكتابي العربي - بيروت

(٣٩) سهير فضل الله: الفلسفة الإسلامية في الإسلام: ٧١

وقد ناقش ابن القيم هذه المسألة وذكر أن العلماء اختلفوا فيها فنزل من زل وضل من ضل، لكن الله سبحانه وتعالى قد هدى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحق والصواب، فقد أجمعوا أن النفس مخلوقة محدثة مصنوعة مدبرة، وهذا القول عندهم معلوم من الدين بالضرورة، وقد سار على هذا الرأي الصحابة والتابعون. (٤٠)

ولعل أكثر شعراء عبد القيس اهتماما بقضية النفس، وخلق الإنسان، محمد سعيد الخنيزي. والشاعر حين يتناول مسألة كهذا في شعره يعالجها بوصفه شاعرا لا بوصفه فيلسوفا، فيهتم بالناحية الفنية المستندة إلى العاطفة والخيال، لا بالتنظير والتحليل المعتمدين على العقل المجرد. ففي قصيدة تأملية للشاعر عنوانها (إلى نفسي) يجعل الشاعر موضوع قصidته - كما يبدو من عنوانها - النفس وخلق الإنسان، وهو يري أن الروح والنفس شيء واحد، وأن الحياة الإنسانية تكونت عن طريق اتحاد النفس والبدن، وبسبب ذلك الاتحاد أصبحت الروح حبيسة الجسد، وهو يري أن النفس أو الروح غير العقل أو القلب اللذين أرهقا الروح بالتفكير في مشاغل الحياة وشروعها. يقول: (٤١)

أنت لولا الحياة مثل الطيور	أسرتك الحياة أسر القبور
فألقتك في خضم الشرور	أجهدتك الحياة بالعقل والقلب
وفؤاد يجلو خفايا الصدور	بين عقل يحس كل خفي
عقل الحياة والتفكير	فمتأتى تحطم القيود وينفك
فتفتر مشرقات البدور	ومتنى ينجلي الظلم عن العين
ملك مصور من نور	أنت لولا الحياة يا نفس في الظهر

وفي قصيدة أخرى بعنوان (روح وهيكل) يجري الشاعر الفيلسوف حوارا بين النفس والجسد، وهو حوار يقوم على التأمل الفلسفى، فالهيكل يطرح عدة أسئلة، ويطلب من الروح أن تجيب عنها اجابات شافية، وهذه الأسئلة تدور حول نشأة خلق الإنسان وماهية النفس وغيرها من الأسئلة التي حيرت العقول منذ القدم. ان الهيكل يريد الاجابة عن هذه

(٤٠) المصدر السابق: ٧٧

(٤١) ديوانه: النغم الجريح: ٣٥

التساؤلات من عالم اللطف، فلعل فيها ما ينقذه من الضلالات التي يتخبط فيها العقل ويسير على غير هدى، وهو يطلب حلاً لهذه الأمور قبل أن يدركه الموت، يقول: ^(٤٢)

وكيف الحياة في الأرحام
أي يوم من فجرك البسام
حنان كهمسة الأنسام
أم خيال مجنح الأحلام
لعل الحديث يطفى أوامي
كل ما تنتقينه باحترام
وتاهت أنواره في الظلام
فلعلني أراك قبل حمامي

حدثني يا نفس عن أفق الروح
كيف يا نفس قد هبطت لجسمي
أي يوم هبطت فيه إلى الأرض
انت ماذًا في عالم الروح شخص
حدثني فانني ظامنٌ القلب
حدثني فانني أتلقى
أنذيني من حيرتي غرق العقل
أرسلني النور كي يضيء طريقي

ثم ينتقل الشاعر إلى الروح فتدل بفضلها علي الهيكل، فلو لاها لكان مثل الحجر الأصم، فهو السبب الأول فيما تتعرض له من سقم وبلاء وتعب ونصب، ولو لاها لكان مثل الطيور السابحة في الفضاء العريض، وهي نور من رحمة الله لهذا الجسم الخامد الذي ما ان حلت فيه حتى دبت فيه الحياة، وصار قادراً على السعي والحركة، مسترشداً في ذلك بسنا العقل ودهاده، والشاعر يضمن شعره رأيه في وجود الروح قبل اتصالها بالهيكل، من خلال اعترافها الصريح بأنها لا تذكر أمر الحياة التي عاشتها قبل حلولها في جسم الانسان، وأنها كانت اذ ذاك تتمتع بالطلقة والطهر والنقاء، وهي تتنمي لو أطلق سراحها منه لتعود حرّة تسرح في السماء مثل الكواكب والنجوم السيارة. يقول:

ت من الروح كنت كالأحجار
الأحداث مرمي وفتكة الأقدار
ح ولو لاك كنت كالأطياف
وسر الاشراق في الأقمار
سائراً في مدارج الأخطار
أم صباحاً لولا سنا الأفكار

أيها الهيكل الذي ان تجرد
أنت يا هيكلني إلى الخطب و
أنت أصل الشقاء والسم للرو
أنا نور من رحمة الله للجسم
جئت للجسم فانتشلي وتخطي
ليس يدرّي الطريق كان ظلاماً

على الروح في الفضاء العاري
بسجن الآلام والأوضار
وترتد للسماء كالدرازي

أنا لم أذكر الحياة التي مرت
غير أنني كنت الطليقة والآن
فمتي تطلق النفوس من الجسم

وتمضي الروح في مخاطبتها للهيكل، مجيبة عن تساو لاته عن أصلها وحقيقةها، بأنها لا تعرف من ذلك شيئاً سوى أنها فيض من نور الله على الجسم، أما كيف جاءت وكيف كانت قبل ذلك، فلا علم لها بشيء من ذلك، وكل ما تعرفه أنها حلت في الجسم بأمر من الله دون أن يكون لها رأي أو اختيار، سواء في ذلك النزول أم المفارقة، فكل شيء رهين بالقضاء والقدر، ولو لا العقل لأصبحت في ضلال بعيد عن نور الإيمان. يقول:

عن الروح في الفضاء السعيد
أم شذا عابقاً بكل الورود
أعرف الروح فيض باري الوجود
تعالى إلى أقصاصي الحدود
وكيف الحياة فوق الصعيد
وسأمضي رغماً لدنيا الوجود
أسيراً أنوء تحت القيد
أنا في الكون مرهق كالعبد
ضلالت الطريق للمعبد

أيها الهيكل الذي يسأل الروح
لست أدرى أكانت الروح نوراً
لست أدرى ما كهناها غير أنني
أنا فيض من السماء على الجسم
أنا لم أدر كيف جئت إلى الجسم
جئت للجسم مكرهاً لا اختياراً
انا رهن القضاء أمشي بـ كفيه
لم أخير في يوم موتي وبعثي
أنا أعمى لو لا بصيص من العقل

ثم يأتي دور الهيكل فيطلب من النفس أو الروح أن تحدثه عن قضية الموت، لأن العقل لا يستطيع أن يقدم الحل والجواب، ويعرض رأيه في هذه الدنيا وغربته فيها وزواله، وهل هو من أهل السعادة أم الشقاء، وهو يعلن أنه أعمى حائر في هذه الدنيا، ويقرر أن هذه النفس سر من الأسرار العميقة، بل سر الوجود كله. يقول:

أن أري الصبح مشرقاً الأضواء
يتمشي في حيرة عماء
كاشفاً عن حقيقة بيضاء
كون يطوي في لحظة كالرداة

حدثني فانني أتمنى
حدثني فالعقل زاد ظلاماً
حدثني إن استطعت حديثاً
حدثني عن الممات وكيف الـ

مرء فيها مصيره للفناء
أنا كالظاهر زائل بالمساء
أم أنا في غد من الأشقاء
حائز في الحياة كالظلاماء
أنت كل الحياة في الأشياء
أنت سر الظلام سر الضياء

هي دنيا الشقاء مهما تعالي الـ
أنا في هذه الحياة غريب
لست ادرى أكنت فيها سعيدا
أنا أعمى لم ادر كيف طريقي
أنت سر يا نفس جد عميق
أنت سر حامت عقول عليه

وأخيرا يعطي الكلام للروح فتختلط الهيكل معاتبة أية على الحاحه في السؤال عنها وعن عالمها المليء بالأسرار، معربة أمامه حقيقته بكل صراحة ووضوح، ومدللة بأثرها فيه، ومقرة في النهاية بأن سرها وسر كل شيء عند خالق الكون تعالى. يقول:

بحوثاً عن عالم الأرواح
بحياة الأرواح والأشباح
يتلاشى لدى هبوب الرياح
مرهق بالخطوب والأتراح
كنت بعضاً من هذه الألواح
منه كالزيت للصبح
سم كالصبح في الربا والبطاح
ت وسر الأتراح والأفراح
ن والنور فاللق الاصباح

أيها الهيكل الذي أجهد العقل
أجهد العقل بالبحوث ليحظى
لست مهما بلغت غير سحاب
أنت ما أنت ؟ أنت طين حقير
أنت لولا سنا العقول وروح
إنما الروح قوة يستمد الجسم
أنا نور يسري بذرات هذا الج
لست أدرى سر الحياة ولا المو
ذاك صنع الخالق مبدع هذا الكو

وفي قصيدة أخرى لسعيد الخنizi وهي بعنوان (من أنت) ينادي فيها الشاعر نفسه مناجاة تأملية يصور من خلالها تقلبات النفس وأطوارها الغريبة المتاقضة، ف فهي ملائكة حيناً وحياناً آخر شيطان، وتارة ضحوكه وتارة حزينة، وأحياناً فلسفية حزينة وأحياناً أخرى ملكرة، ومرة ثانية ومرة ثانية هادئة. وهكذا يجسد الشاعر خلجمات النفس وأحوالها المتباينة يقول (٤):

أَمْ أَنْتَ شَيْطَانٌ شَفِيْ قَاهِرٌ	مَنْ أَنْتَ يَا نَفْسِي مَلَكٌ طَاهِرٌ؟
فَكَانَكَ الصَّبَحُ الظَّرُوبُ الزَّاهِرُ	أَنِي أَرَاكَ مَعَ الظَّلَامِ ضَحْوَكَةً
فَكَانَكَ اللَّيلُ الدَّجِيْ الْكَافِرُ	وَأَرَاكَ فِي الصَّبَحِ الْجَمِيلِ حَزِينَةً
تَوْحِيُ الشَّعُورُ فَتَسْتَقِرُّ خَوَاطِرُ	وَأَرَاكَ أَحِيَانًا نَبِيَا مَلِهْمَا
فَتَصْبِيْخُ آذَانَ لَهَا وَمَشَاعِرُ	صَوْرُ تَحْرِكَ قَلْبُ شَعْبٍ جَامِدٍ
فِي عَشَكَ الْفَضْيِ مَلَكٌ بَاهِرٌ	وَأَرَاكَ فِي دُنْيَا الْخَيَالِ مَلِيْكَةً
فَكَانَكَ الْبَحْرُ الْخَضْمُ الْهَادِرُ	وَأَرَاكَ فِي أَفْقٍ اضْطَرَابٍ ثَائِرُ
وَسَمُوتُ بِالشِّعْرِ الَّذِي هُوَ طَائِرٌ	أَفْلَتَ مِنْ سَجْنِ الْهَمُومِ وَقِيْدَهَا
حَارُ الْبَبِبِ بِهَا وَضُلُّ الشَّاعِرِ	أَنِي أَرَاكَ مِنَ التَّاقْضِ صُورَةً

يقول د. محمد عويس: ولم تتطور تجربة من تجاربهم مثل تجربتهم في الحياة والموت اذ تظهر فيها الطوابع الاسلامية سواء من النواحي العقائدية حيث الایمان والبعث والنشور، أو من الناحية التصويرية حيث التوسيع في التدليل على هذه الحقيقة بصور مستحدثة. (٤٤)

ثانياً

قضية العلاقات الاجتماعية

أفرزت العلاقات الاجتماعية طائفة من الحكم تقمص جلها جلباب العتاب والشكوى، ولبس بعضها مسح النصح والمدح. وقد أبرز شعراء عبد القيس ما للإخوان من دور هام في حياة الإنسان، ويبدو هذا الدور أكثر أهمية في الشدائـن والملمات، ويبين هرم بن حيـان العـبـدي الفـرق بـيـن حـال الـمـرـء حـيـنـا يـقـفـ أـمـامـ الـأـعـدـاءـ معـ أـخـوـتـهـ، وـحـالـهـ حـيـنـ يـوـاجـهـ الـخـصـومـ وـحـيـداـ، يـقـولـ :^(١)

أـرـانـيـ مـتـىـ أـغـضـبـ مـنـ النـاسـ ذـاـ ثـرـيـ
وـلـاـ يـجـدـ المـكـسـورـ مـاـ دـامـ وـاحـداـ

وـيـقـولـ الـمـتـقـبـ الـعـبـديـ مـبـيـنـ دـورـ الـجـمـاعـةـ فـيـ حـمـاـيـةـ الـفـرـدـ وـوـقـوـفـهـ بـجـانـبـهـ فـيـ الـخـيـرـ
وـالـشـرـ^(٢)

وـلـاـ عـنـدـ خـيـرـ اـنـ رـجـاهـ بـوـاـحـدـ
عـظـامـ الـلـهـيـ مـنـ طـوـالـ السـوـاـعـدـ

وـلـهـذـاـ الشـاعـرـ مـذـهـبـ خـاصـ فـيـ الصـدـاقـةـ، فـهـوـ لـاـ يـقـرـ الوـسـطـيـةـ فـيـهـاـ، فـاـمـاـ صـدـاقـةـ خـالـصـةـ
وـاـمـاـ عـدـاـوـةـ ظـاهـرـةـ، وـهـوـ قـادـرـ عـلـىـ قـطـعـ الصـدـيقـ الـذـيـ لـاـ يـوـافـقـهـ، حـتـىـ اـنـ شـمـالـهـ لـوـ خـالـفـتـ
يـمـيـنـهـ لـقـطـعـهـاـ، يـقـولـ :^(٣)

فـأـعـرـفـ مـنـكـ غـتـيـ مـنـ سـمـيـنـيـ
عـدـوـاـ أـتـقـيـكـ وـتـقـنـيـ
خـلـافـكـ مـاـ وـصـلـتـ بـهـاـ يـمـيـنـيـ
كـذـكـ أـجـتوـيـ مـنـ يـجـتوـيـنـيـ

فـاـمـاـ أـنـ تـكـوـنـ أـخـيـ بـحـقـ
وـالـاـ فـاطـرـحـنـيـ وـاتـخـذـنـيـ
فـانـيـ لـوـ تـخـالـفـنـيـ شـمـالـيـ
اـذـنـ لـقـطـعـتـهـاـ وـلـقـلـتـ بـيـنـيـ

وـبـوـضـحـ عـبـدـ الصـمـدـ بـنـ الـمـعـذـلـ طـبـيـعـةـ الـنـفـسـ الـاـنـسـانـيـ فـيـ مـيـلـهـ إـلـىـ مـيـلـ إـلـيـهـاـ،
وـنـفـوـرـهـاـ مـنـ يـنـفـرـ مـنـهـاـ، مـشـيـرـاـ إـلـىـ أـنـ الـكـيـسـ هـوـ الـذـيـ يـرـعـيـ وـدـ الصـدـيقـ وـيـنـمـيـهـ بـتـبـادـلـ

(١) حماسة البختري : ١٠٦

(٢) ديوانه : ٢٦٧

(٣) نفسه : ٢١١

الود والمحافظة على الأسرار وسائر الحقوق، يقول ^(٤)

وان سمتها الهجران فالهجر دينها
فأهون مفقود عليها حبيبها
ومستودع الأسرار من لا يصونها
هي النفس تجزي الود بالود أهله
اذا ما خليل بت منها حباله
لبس معار الود من لا يربه

وفي تجربة شخصية له مع صديق قاطع، بين له منهجه القائم على المعاملة بالمثل،
وأن كلاً منها يجد في الناس العوض والبديل. يقول : ^(٥)

ولم ترع الذي سلفا
عليك ولم تمت أسفًا
مممن ملأه خلفا
صرفت هواك فانصرفا
وبنت فلم أمت كلفا
كلانا واجد في الناس

وهناك فتنان من الناس يعلن عبد الصمد بن المعدل ترفعه عن صحبتهما، وهم فئة
المغتابين الذي يصفهم بالحمق لكثره اغتيابهم له، ويقرر عدم مبالاته بهم واحتقاره لهم.

يقول ^(٦)

بـة هـجران التـقال
لـقـيل ولـقـال
وـهـو لـم يـخـطـر بـالـ
وـفـؤـادـي مـنـه خـالـ
قد هـجـرـنـا مـجـلـسـ الغـيـ
أـفـتـه عـصـبـةـ نـوـكـيـ
رـبـ منـ يـشـجـيـهـ أـمـرـيـ
قـلـبـهـ مـلـآنـ مـنـيـ

والفئة الثانية فئة الحمقى الحقيقيين الذين يري الشاعر رفع الحرج عنهم، وعدم
مطالبتهم بتقديم الأعذار، لأن تصرفاتهم لا تعرف القصد والاعتدال، فلا فائدة من معاذبتهم
أو تأنيبهم. يقول : ^(٧)

وـالـذـنـبـ عـنـ مـثـلـكـ مـحـطـوـطـ
كـلـ الـذـيـ يـفـعـلـ مـسـخـوـطـ
عـذـرـكـ عـنـدـيـ بـكـ مـبـسـوطـ
لـيـسـ بـمـسـخـوـطـ فـعـالـ اـمـرـيـ

(٤) شعر عبد الصمد بن المعدل : ١٧٧ - مكتبة الأندلس - بغداد

(٥) نفسه : ١٢٩

(٦) نفسه : ١٥٦

(٧) نفسه : ١٦٦

قد كان حظاك مسترجحاً لو كان في أمرك تخلط

وفي أبيات أخرى يعبر الشاعر عن مشاعره القوية تجاه الفتاة التي يحبها، وهو يرى أن فراقه لمن يحب يتساوى في مرارته مع الموت الزؤام، يقول :^(٨)

ق كلاهما ما لا يطاق	الموت عندي والفرا
س فذا الحسام وذا السياق	يتعاونان على النفو
ما قليل موت أو فراق	لو لم يكن هذا كذا

أما أبو بكر الخالدي فان تجربته مع هذا الصنف الملوء من الأصدقاء جعلته يعتقد ندرة الخل الوفي، وان كان الشاعر لا يخلو نفسه من المسئولية في ذلك، ويعزوها إلى الافراط في التذلل لذلك الصديق الجافي حتى هان عليه. يقول :^(٩)

والمرء مملول اذا ما يرخص	وأخ رخصت عليه حتى ملني
فيمن يزيد عليه لا من ينقص	يا ليته إذ باع ودي باعه
ان رمته إلا صديق مخلص	ما في زمانك من يعز وجوده

أما تجربة الشاعر الذاتية المخففة في مجال الصداقة فانه يعزوها إلى الجفاء المفاجيء لذلك الصديق، الذي لا مبرر له سوى ظلمه، وملله، على الرغم من أن صداقتهما كانت نموذجاً يحتذى به في القوة والصفاء، ولكن الشاعر لا يندهش من هذا التغير، معللاً ذلك بتحول الأشياء إلى أضدادها، كتحول الخمر من الراح أو المدام إلى الخل، يقول :^(١٠)

فقنا الأنام مودة ونداما	وأخ جفا ظلماً ومل وطالما
للدهر أن جعل الكرام لئاما	فلسلوت عنه وقلت ليس بمنكر
خلا وكانت قبل ذاك مداما	فالخمر وهي الراح ربما غدت

ولأبي سعيد الخالدي تجربة فاشلة مع صديق، وهي تكشف صدق مشاعر الشاعر وصراحته في عواطفه، فهذا الصديق غدر بالصداقة وخانها حتى حول صفاتها إلى كدر،

(٨) المصدر السابق : ١٨٣

(٩) ديوان الخالديين : ٦٥/١ - مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٠) نفسه : ٩٣

ومع ذلك فان الشاعر لم يألوا جهدا في تقويمه، ولكن دون جدوى، ولهذا يعلن له بكل
وضوح أن علاقتهما الرثة لم يعد يمسكها سوى التكلف والمصانعة، يقول: (١١)

وقد أدت تجارب الشاعر الفاشلة في ميدان الصداقة إلى سوء الظن بالناس، والتشدد في الدعوة إلى الحذر من الصديق على وجه الخصوص، رغم عدم اطمئنانه إلى نتيجة هذا التحوط، وكأنه يدعو إلى نبذ الصداقة على الأطلاق، بعد أن تكشفت له حقيقة الناس. يقول (١٢)

كَنْ مَنْ صَدِيقُكَ لَا مَنْ غَيْرَهُ حَذْرَا
مَا أَطْمَنُ إِلَيْ خَلْ فَأَخْبَرَهُ
إِنْ كَانَ يَنْجِيْكَ مِنْهُ شَدَّةُ الْحَذْرَ
إِلَّا تَكْشِفُ لَيْ عَنْ لَوْمِ مُخْتَبِرَهُ

وفي عتاب أحمد بن المعدل صديقه عبد الله بن سوار يوضح الشاعر منهجه في الصدقة فهو لا يرضي من صديقه الا أن يكون مثله في رعاية حقوق المودة والحفظ على حرمتها، ويرى فيما سوى ذلك انتقادا لحقه ومساسا بكرامته، يستدعي اعلان الغضب والاحتجاج، وان لم يفعل ذلك فما هو بشيء، يقول : (١٣)

أمن حق المودة أن نقضي
لقد قال الحكيم مقال صدق
إذا أكرمتكم وأهتموني
ذمامكم ولا تقضوا الذماما
رآه الأولون لهم اماما
ولم أغضب لذلكم فذاما ؟

ويستمد أحمد بن المعتزل من تجربته الشخصية في علاقته بأخيه عبد الصمد المضطربة حكمة مفادها أن لعداوة القريب أربع نتائج سيئة هي أنها تقصد العقل وتنقص الدين وتؤذى النفس وتنهك الجسد. ثم يقدم الاستدلال الطبي على تحول القريب الذي يفترض فيه النفع

(١١) المصدر الساقي : ١٢٧/٢

١٣٠/٢ (١٢) نفسه :

^(١٣) ابن منظور: مختار الأغاني: ١٣٧/٥ - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

إلى عدو يجلب الضر بتحول الدواء إلى داء. حيث لا أمل في الشفاء ولا الالئام في
الجراح. يقول : (١٤)

عداوة ذي القربى تميق ذوى النهى
وتؤثم ذا التقوى وتؤذى وتنعب
إذا ما أتاك الداء من قبل الدوا
أتاك بأمر صدّعه ليس يرأب

أما على بن المقرب العيوني فإن علاقته المتواترة بأقاربه أنتجت زخما من الحكم في
إطار معتتبه لهم، وشكواه منهم. ففي داليته التي عاتب فيها ابن عمّه الأمير فضل بن محمد
والي مطلعها : (١٥)

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد
و هب لصروف الدهر ما أنت واجد

يبدي الشاعر تعجبه من مسالمة البداء له في الوقت الذي يكيد له الأقربون، ويحذر من
بث الشكوى لأي أحد، لأن الناس لا يخرجون عن اثنين، اما حاسد حقد، أو معاند لجوج.

ويستمد الشاعر من البيئة الطبيعية المثل الذي يقوى به وجهة نظره في اختيار النوع
المريح من الناس، فمنهل الماء المشوب بالشوائب تعافه النفس الكريمة، حفاظا على صحة
الجسد، وربما تركه الإنسان وهو ظمان دون أن يبل صداه بقطرة من مائه الكدر الغزير
الكثير، كذلك فان الصحة النفسية تقضى الرحيل عن القوم الذين لا يجني مخالطتهم منهم
سوى الأذية والنكد، يقول :

فواعجبنا ان سالمتك الأبعاد
فذا الناس اما حاسد او معاند
بصف فما تعمى عليك الموارد
على ظما وانصعت والريق جامد
يبل الصدي منها وتوكي المزاود
بلغته والموج جار وراكد
فدعه فما يغضي على النقص ماجد
اذا لم يرد كل الذي أنت وارد

اذا خانك الأدنتى الذي أنت حزبه
ولا تشک أحداث الليلى إلى امرئه
 وعد عن الماء الذي ليس ورده
وكم منهـل طامي النواحي ورـدـه
فلا تحسبـن كلـ المـيـاهـ شـرـيـعـهـ
فـكمـ مـاتـ فيـ الـبـحـرـ المـحـيـطـ أـخـوـ ظـماـ
وـانـ وـطـنـ سـاعـتـكـ أـخـلـاقـ أـهـلـهـ
فـبـتـ حـيـالـ الـوـصـلـ مـمـنـ تـوـدـهـ

(١٤) الصفدي : الوافي بالوفيات : ٣٣٠/٨
(١٥) ديوانه : ١٤٠ - مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء

وفي هذه القصيدة يمدح الشاعر فتية من قيس بأبيات منها قوله :

هم الناس لا يدرى الخنى أين دار هم ولا عرفت جير انهم ما الشدائ

ويعاتب بعضهم عتاباً رقيقاً يمتح من قلب سمح صفوح، ويستمد من التاريخ والمنطق المبرر لمن أساء اليه منهم. يقول:

وأصبح من تلقائهم ما أكابد	فإن ساعني منهم على القرب معشر
ببخس وكل منهم فيه زاهم	فقد باعت الأسباط قبلي أخاهم
مراراً وتتبوا الباترات البوارد	وقد يخطئ الرأي السيد ذوو النهى

ويعاتب ابن المقرب بنى عمه حكام البحرين على اقصائهم له وتقريب من لا يعرف،
ويعاتبهم على اختيارهم بعده تشبيهات، يتذمرون تارة وسيلة للاقناع، فهو لاء المقربون تارة
كالعمي المضيعين لمن يهتم بهم، وتارة كالمعز التي تحتاج إلى من يرعاها بدلاً من أن
تكون الراعية لغيرها، وهم أحياناً كالسيف المصنوع من الرصاص الرخو الذي يعد عذق
النخيل أقوى منه وأمضى، وأحياناً أخرى هم كالقط الذي يتذمرون الصيد بدلاً من الكلب، ثم
يعلن تذمره من طول مداراته لهؤلاء اللئام، معتبراً ذلك سفهاً وحيناً، ويستمد من واقعه
المؤلم وسط هؤلاء القوم طائفة من الحكم تحت كلها على رفض الذل والجور وترك الاقامة
في دار الهوان، وتردفه تقاوته بما يسليه عن حاله مع قومه. يقول :^(١٦)

جلاء لهمي لا على ولا ليا	فليت أخلاقني الذين أدخلتهم
بني المجد من أيام عاد وعاديا	لقد قدموا (هي بن بي) وأخرروا
وقد ضل من يرجو من المعز راعيا	لقد ضل من يبغى من العمى هاديا
رصاصاً يجد سيف العراجين ماضيا	ومن يتذمرون غراره
يرى عاويات الليل أسدًا عواديا	ومن يجعل السنور كلبالصيده
سفاه لاثلي أن يكون المداريا	وطالت مداراتي اللئام وإنما
يروح ويغدو موجع القلب باكيا	ومن لم يفارق منزل الضييم لم يزل
أخاً مرضض لا يبرح الدهر شاكيا	ومن يثو في دار الهوان يعش بها

فليس بمعقول اذا كنت نائيا
وما كنت ادرى (لابن أفصي) مساويا

فان عقلت قومي لساني بارضها
فقد ضياعت قبلي رباب بنيتها
وفي ميمية لابن المقرب مطلعها :^(١٧)

وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

قم فاشد العيس للترحال معترما

تظهر سياسة الشاعر المتشددة في معاملة الناس، فهو من أنصار مبدأ القوة القائم على المقوله الشائعة (اذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئب) ولعل مرد هذا التوجه المتطرف يرجع إلى ظروف الشاعر الخاصة وبينته، فقد اضطهد الرجل وظلم منبني عمه أمراء - البحرين في القرن السادس الهجري - فتعقدت نفسيته من الناس وصار مفرط الحساسية، وعاش في عصر مضطرب انقلب فيه كثير من القيم والموازين، فجاءت حكمه في كثير من الأحيان تدعوا إلى الصرامة والحدة والتحفظ، وتنطوي على حساسية وشعور بالعزوة والكرامة إلى درجة مبالغ فيها أحياناً. وفي هذه القصيدة نراه يدعوا صراحة إلى ترك موادعة الناس ومعاملتهم بالقسوة للنجاة من أذاهم، وأن الرجل النابه يجاهه من ينتقصه بمنتهي العنف والحزم، حتى لو اضطر لشهر السلاح وأطراف الرماح. وهذا الموقف يذكرنا بما نسب إلى أجداده بنى عبد القيس فقد قيل عنهم أنهم كانوا في الجاهلية اذا شتموا لطموا وإذا لطموا قتلوا من لطمههم، ويذكر هذا المعنى بأسلوب المقابلة فيذكر أن الدنى والعاجز هما اللذان يقبلان الذل، وأن الكريم هو الذي يعتبر الذل عاراً ويرى الشرارة الضئيلة منه مثل القصر في عظمها، ويواصل ابن المقرب سلسلة حكمه الداعية إلى القوة فيري أن الملك والأمجاد لا ينهضان إلا على أساس البأس والشدة، وإن من يعتلي سدة الملك والقيادة لا بد وأن يكون قوياً فالبيوت لا تقوم إلا على أعمدة قوية، والعدو لا يخضع إلا بالسيف، ومن حكم بالسيف في عدوه استحق أن تحتفل به الألسنة والأقلام. ثم ينتقل الشاعر إلى معانٍ أخرى حكمية، كاستشارة أهل الناقة. وحيث أنبني عمه الأمراء العيونيين صادروا أمواله وكانت سياستهم ممالئة أعدائهم بالمال، فقد انتقدتهم في هذه السياسة ورأى أن البخل مع هؤلاء الأعداء الحساد أفضل من الكرم، لأن المال الذي سيذهب إليهم يقويه ويطمعهم، ثم يحذر الشاعر

من الاستهانة بذوي الشأن وأصحاب النفوذ الكبيرة، ويلتمس من التاريخ الشاهد على تحذيره، ويعود ويؤكد أن أسرة الإنسان هم الحصن الحقيقي له وأنه لا يستغنى عنها مهما كان قوياً أو سخياً، كعمران بن معد يكرب المعروف بشجاعته، وهرم بن سنان المعروف بجوده، ثم يدعوا إلى الحفاظ على كرامة الصديق وعدم المساس بها، ويحذر الحاكم من طاعة النساء والخدم. يقول :

منهم ومن عاث فيهم بالأذى سلما
إذا رأى الشر تغلي قدره وجما
لو لم يجد غير أطراف القنا عصما
 بشفرة الضيم لم يحس لها الما
 شراره منه الا خالها أطما
 بالباس نقره الأعداء فانهدا
 ليس البغاث يساوي أجد لا قطما
 لا خروع جعلت يوما ولا عنما
 من حكم السيف في أعدائه حكما
 للمجد حق له أن يرعن القلما
 لا يصدر القوم من لا يورد العلما
 تمسى وتصبح في اعدائه ديمى
 أبرهم بك من أغرى ومن شتما
 كمودع الذئب في بريه غنما
 وسامها السخف أدمى كفه ندما
 جسas هل كان الا أن حمي فرمي
 لو كان في الباس عمرا والندى هرما
 فلن تري غير جار الذل مهنتما
 أطاع في أمره النسوان والخدما

من سالم الناس لم تسلم مقاتله
 لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
 ذو النسباهة لا يرضى بمنقصه
 ذو الدناءة لو مزقت جلته
 ومن راي الضيم عارا لم تمر به
 وكل مجد اذا لم يبن محتده
 لا يضبط الأمر من في عوده خور
 وللبيوت سطاعات تقوم بها
 ما كل ساع إلى العلياء يدركها
 من أرعن السيف من هام العدى غضبا
 لاتطلب الرأي إلا من أخي ثقة
 ولا يعد كريما من موهابه
 والبخل خير من الاحسان في نفر
 وواضع الجود في أعداء نعمته
 من استخف بأرباب العلاسفها
 الا فسل عن كليب كيف جدله
 ولا يعز الفتى الا بأسرته
 لا ترض بالهـون في خل تعاشره
 وأخر الناس سعيارب مملكة

وفي لامية ابن المقرب التي استهلها بقوله: ^(١٨)

أمير لا تذكرني حلي ومرتحلي

ان الفتى لم يزل كلا على الابل

يحاول الشاعر أن يعزي نفسه، ويبرر لها كثرة أسفاره وارتحاله عن وطنه، مستمدًا الحكمة والعزاء من التشبيهات والأمثال التي يتخذ منها دليلاً وشاهداً يؤيد به رأيه ومسلكه. فهو لا يقنع إلا بالعلاقة السليمة القائمة على الصدق والأخلاق، فالماء المشوب بالأكدرار لا يرده ولا يشرب منه، وهو لا يتكلف الاقامة في بلاده وبين قومه، لأن جوهر السيف لا يظهر إلا عندما يخرج من غمده، وحده لا يؤثر إلا بعد أن يسل من جفه، وتنقل الفتى يجلب له العزة والشهرة، فالقرن لا يصير بدرًا كاملاً إلا بتنقله من منزل إلى آخر، وفضل الرجل لا يبين في أهله لأن العود في أرضه نوع من الحطب، وهو لا يرغب في العودة إلى وطنه، لأن من وجد الماء مراً أول مرة لا يكرره مرة ثانية. وقد أحسن كثيراً لقومه إلا أن ذلك ذهب هباءً منثوراً، فكان حاله كحال من يغرس نباتاً في أرض صخرية صلدة لا تنبت، وان الصديق المؤذن لاخوانه هو شر الأخلاء، لأن الذي لا يبطن إلا الحقد والغل لا خير فيه، وقد كان في حالة الغنى باذلاً، وفي حالة الفقر عفيفاً، وهو يتمنى لو كان بنو عمه أوفياء معه شأن الكرام، ولكن سلوته في نفورهم منه أن الجعل وهو الدويبة التي تعيش في الروث يغمي عليها عند قربها من الورد. يقول :

ولا أقول لمعوج الوصال صل
وليس يبدو فرنز السيف في الخل
فما يبين لها في المهام من عمل
لم يكمل البدر لو لا كثرة النقل
وقد يقوم في الأسفار بالجمل
فنهلة الطرف مجزاة عن العلل
لو يثمر الغرس في صفواه من جبل
لا خير في آدام يطوي على نغل
وقل مالا فلم يضرع ولم يسل
حال اللثيم وفي طبعاً ولم يحل
الورد من قربه يغمي على الجعل
لا يستطيع شعاع الشمس ذو السبل

لا أشرب الماء ما لم يصف مورده
تكلفيني مقاماً بين أظهركم
ما دامت البيض في الأجفان مغمدة
وفي التنقل عز للفتى وعلا
والمندل الرطب في أوطانه حطب
ان أترك العود في أمر اغتنائكم
كم قد غرست من الاحسان عندكم
شر الأخلاء من تسري عقاربه
أثرى زماناً فلم يذمه سائله
ما ضركم لو وفيتم فالكريم اذا
ان يمس مقكم حظي فحق لكم
ان يخف ما بينكم فضلي فلا عجب

ويسجن عبد الله بن الجارود في حبس الامام على بتهمة التصرف في المال العام، فيشفع له صعصعه بن صوحان، ويقبل الامام على الشفاعة فيه، شريطة أن يخلف ابن الجارود على براءته من التهمة، ثم يخرج من السجن بعد أداء القسم، وينشئ الأعور الشنلي أبياتا حول هذه المناسبة يستشف منها أن ابن الجارود أساء معاملته لابن صوحان ولم يصن جميله، فيقول محذرا من هذه الفتنة :^(١٩)

عند الشفاعة والباب ابن صوحانا
عقت فلم تجز بالاحسان احسانا
ان من الناس ذا وجهين خوانا

الا سألت بني الجارود اي فتى
هل كان الا كأم ارضعت ولدا
لا تأمنن امرءا خان امرءا ابدا

ويبدعو السكوني العبدى - وهو من شعراء القرن السادس الهجري - إلى الحذر الشديد من أهل زمانه والابتعاد عنهم معللا دعوته تلك بعجمتهم، وضياع الأديب فيهم، وتقديرهم للغنى، وإن كان جاهلا، فهم كالبهائم التي لا تميز بين الغث والسمين، وطبيعي من هؤلاء إلا يتذوقوا الشعر، وأن يهجروا ناظمه هجرا غير جميل، يقول :^(٢٠)

وكن معنا منهم في الهرب
لجهلهم بكلام العرب
ولا يعباون بأهل الأدب
ما الفرق بين الحصي والذهب
فصيح بكى شعره وأنتحب

خذ الحذر من أهل هذا الزمان
فاني رأيتهم في عمي
يرون غنيهم عالما
فمثل البهائم لا يعرفون
اذ انظم الشعر في مثالم

وتتصح أم النحيف العبدية ابنها سعد رغم عصيائه لها بتزوج امرأته التي سرعان ما ندم على الزواج بها، تتصح الأم ولدها إلا يفك في طلاقها، وتدعوه إلى مسامحتها، والعفو عنها، وأن يصبر على حمقها وطيشها، فلعل الأيام تخلصه منها فيرتاح. تقول:^(٢١)

فحزت بعصياني الندامة فاصبر
القرينة وافعل فعل حر مشهر
فدع عنك ما قد قلت يا سعد واحذر

لعمري لقد أخلفت ظني وسوءتي
ولا تك مطلاقا ملولا وسامح
فقد حزت بالورهاء أثبت خبئة

(١٩) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٦٣٩/٢ - دار المعرف بمصر

(٢٠) عماد الدين الأصفهاني : تكملة خريدة القصر : ٨٨٥ - قسم شعراء العراق - مطبوعات المجمع العراقي

(٢١) أبو تمام : الحماسة : ٣٧٨/٢ - مطبعة محمد على صبيح الكتبى

ترقص بها الأيام على صروفها

سترمي بها في جاحم متسرع

ويمدح أبو بكر الخالدي الوزير المهلبي بإكرامه للشعراء على مدحهم له، وكأنهم المستفيدون الوحيدون من علم الكيمياء الذي يحول الأشياء من حال إلى حال، فالشعراء يعطون المدوح قصائدهم في قراتيس، فتحتول إلى أكياس مليئة بالدنانير. فيقول : (٢٢)

في مأمن بك من وقوع الباس
فيمن عرفنا من جميع الناس
حملوا الكلام اليك في قرطاس

وتيقن الشعراء أن رجاءهم
ما صاح علم الكيمياء لغيرهم
تعطيهم الأموال في بدر اذا

وربما جمع أحد الناس من الفضائل وطيب الخصال، ما يبعث على الحسد، ويخاطب أبو البحر الخطي مدوحه بقوله : إنك جمعت في شخصك كل الفضائل والمكرمات، ولم تترك لآخرين شيئاً منها، فهلا تنازلت عن بعضها لهم، لتذهب السخيمة من نفوسهم مع أنك لن تصل إلى رضاهما، لأن المعالي والأمجاد لا توهب، وإنما تكتسب بالجد والكافح.
يقول : (٢٣)

تطب أنفس حرى عليك تغضبا
لتعطي ولا كان الفخار ليوهبا

حنانيك هب للقوم شيئاً من العلا
ولست بمرضيهم فما كانت العلا

وفي موضع آخر يشير الشاعر إلى أن الحسد علامة على علو قدر المحسود، وأن عيون الحسد تدل الناس على فضائل المحسودين. يقول : (٢٤)

مجد وما قدر أمرى لم يحسد
أفيت أنجمها عيون الحسد

لا زلت محسوداً على ما فيك من
ان العلا أفق متى استجليتها

ويتناول ابن عبد الأعلى العبدى معنى الشماتة، و موقفه من الشامتين حين رأوه شديد الحزن على موت صديقه أىوب بن سليمان بن عبد الملك، وأظهروا الشماتة والفرح

(٢٢) ديوان الخالديين : ٦٤

(٢٣) ديوانه : ١٠ - مطبعة الحيدري بطهران ط ١٣٧٣

(٢٤) نفسه : ٢٩

والسخرية به، فنراه يرد عليهم ردا حكيمًا يبين سنة الله في خلقه، وأن كل انسان معرض لما مر على الشاعر من تجربة مرأة، سيتجرعها من يعيش منهم، أو يتجرعها أحبتهم بفقدهم،
يقول: (٢٥)

جز عي من يذق الحوادث يجزع
وأفرح بمرورتك التي لم تقرع
أو يفجعوا بك ان بهم لم تقع

ولقد أقول لذى الشماتة اذا رأى
أبشر فقد قرع الحوادث مروتي
ان عشت تقع بالأحبة كلهم

ثالثاً

قضية القيم الأخلاقية

قضية الأخلاق وان كانت في عمومها ولية العلاقات الاجتماعية ومتصلة بها، إلا أن لها خصوصيتها التي تجعلنا نفردها بحيز مستقل. وقد صالح شعراء عبد القيس في هذا المجال وجالوا. ومع أن هذه الحكمة تدور في مجملها حول مكارم الأخلاق، إلا أنها تتفرع إلى معانٍ جزئية تناولها شعراء عبد القيس، بطريق الإيجاب حيناً، وبطريق السلب حيناً آخر، فتحذثوا عن الوفاء بالوعد وعن تجنب الغيبة، وعن عزة النفس وعن الجار والرفيق وعن الصفح والحلم وعن صيانة الأمانة وعن حفظ السر وعن الكف عن الظلم وعن السخاء وعن الطموح وعن العلم المدمر وعن قضية الأخلاق وعن الشجاعة .

وقد بين حكيم بن جبلة مكانة ذوي الأخلاق العالية، والخسارة الكبرى التي يمني المجتمع حين يفقد هم، وأن خسارة الدرهم والدينار لا تعد شيئاً بالقياس إلى فقد أهل العلم والحكم وذوي العفاف والجود. يقول في رثائه للامام علي : ^(١)

ليس الرزية بالدينار نفقه
بل الرزية فقد العلم والحكم
و ان أشرف من أودي الزمان به
أهل العفاف وأهل الجود والكرم
ويشير ابن المقرب العيوني إلى أن قيمة المرء تكمن فيما يقدمه بنفسه من عمل محمود،
لا فيما قدمه آباؤه وأجداده من مهاد. يقول ^(٢)

فلا تتكل يا فضل في الفضل والندي
على سالف أسداء جد ووالد
فلا حمد الا بالذي يفعل الفتى
ولو كثرت في أولييه المحامد

ويكشف المتنبّع العبدى عن اهتمام شديد بالوفاء بالوعد حين يدعو إلى عدم التسرع في وعد أحد إلا بشيء مؤكد التحقيق، لما في خلف الوعود من عيب وقبح، يقول : ^(٣)

أن تتم الوعود في شيء نعم
وقيبح قول لا بعد نعم
فبلا فابداً اذا خفت الندم
بنجاح الوعود ان الخلف ذم
لا تقولن اذا ما لم ترد
حسن قول نعم من بعد لا
ان لا بعد نعم فاحشة
فاما قلت نعم فاصبر لها

(١) العقد الشفرين : ٧٢

(٢) ديوانه : ١٤٨

(٣) ديوانه : ٢٢٧

ثم نراه يفخر باكرامه لجاره، ورعايته لحقه، وتجنبه الغيبة الذميمة، لأنه يعتقد أن من يتخلق بهذه الصفة شر الناس، وهو ذو الوجهين الذي يخاطب الآخرين بلسان معسول، ويغتابهم بلسان مسموم. يقول : ^(٤)

ان عرفان الفتى الحق كرم
في لحوم الناس كالسبع الضرم
حين يلقاني وان غبت شتم

أكرم الجار وأرعى حقه
لا تراني رائعا في مجلس
ان شر الناس من يكرش لي

ويتخذ الشاعر من السفهاء موقفا يدل على سمو وحلم وتحضر، فهو يتظاهر بعدم سماعه الكلمة السيئة، ويصبر على أذاهما، ويترفع عن الرد على قائلها لكي يبقي على حسن العلاقة معه وان كان ظالما. يقول : ^(٥)

عنه أذناني وما بي من صمم
جاهل أني كما كان زعم
ذى الخنا أبقي وان كان ظلم

وكلام سيء قد وقرت
فتعززت خشأة أن يري
ولبعض الصفح والاعراض عن

ويقف الأعور الموقف ذاته من صاحب الكلمة الخبيثة مع اختلاف يسير، وهو أنها اذا وقعت من صديق فإنه يرد عليها بكلمة طيبة تتضمن معنى العتاب، ثم يتركه أملأ في عودته إلى الرشد والاعتذار، فإذا ما صنع ذلك، غفر له الامساء وصفا له، ولم يتعاهد غرته ليوقع به، كما يصنع اللئام، أما اذا صدرت الكلمة السيئة ممن لا تربطه بهم رابطة فإنه لا يرد عليهم احتقارا لهم. يقول : ^(٦)

بسالم العينين طالبة عذرا
ولم أغتفرها أورث بيننا غمرا
لعل غدا يبدي لمنتظر أمرا
ولم أخذ ما فات من حلمه قمرا
لأدفع ما قالوا من حتهم حقرا

وعوراء جاءت من أخ فرددتها
ولو أنه إذ قالها قلت مثلها
فأعرضت عنه وانتظرت به غدا
وقلت له عد بالأخوة بيننا
اذا صحبتنني من أناس قوارص

(٤) المصدر السابق : ٢٩٩

(٥) نفسه : ٢٣٠

(٦) البحيري : الحماسة : ١٧١

ويرى الأعور الشنقي أن الأخلاق تورث عندما يشير إلى ما ورثه عن أبيه وجده من صفات سامية، كالتجمل والتعفف في حالة الفقر، وعدم الجشع والبطر في حالة الغنى، يقول: ^(٧)

خلافاً قد تعدد من المعالي
إذا ما قل في الأزمات مالي
ويجمل عند أهل الرأي حالي
ولم أخصص بجفوتي المولالي

وحدث أبي قد أورثه أبوه
فاكرم ما تكون علىّ نفسي
فتحسن سيرتي وأصون عرضي
فإن نلت الغني لم أغفل فيه

ويخر ببعض خصالة النبيلة كأكرام الجار وابن العم ومناصرتهم، والوفاء بالوعد،

يقول:

إذا ضن المثمر من عالي
بنصري في الخطوب ولا نوالي
بوعد لا يصدقه فعالى

لقد علمت عميرة أن جاري
واني لا أضن على ابن عمي
ولست بقائل قول لا لأحظى

وبخر عمرو بن أسوى العبدى بوفاته للصديق، وثباته الدائم على عهد الصداقة، فهو لا ينساه أبد الدهر، ولا ينسى ولجباته نحوه، وهو يكرم رفقة، يقول: ^(٨)

تغير ان طال الزمان خلائقه
ببر ولا مستخدم من أرافقه

وما أنا بالناسي الخليل ولا الذي
ولست بمنان على ما أوده

ويتمدح نفيل بن مرة العبدى بتحليه بحفظه للأمانة، ورعايتها لها، في كل حال، فيقول ^(٩)

خليل في زيال واجتماع
لكل أمانة بالغيب راعي

و ان أمانتي لا يجتوبها
سارعاها وان هو غاب عنى

ويوصي ابنه أن يرث عنه هذه الصفة النبيلة، لكي يحظى بحسن السمعة. يقول ^(١٠)

ولا تك عنها مدة الدهر ساهيا
فأوف بها ان مت سميته وافيا

بني استمع مني هديت وصاتينا
اذا ما أمرؤ أسدى إليك أمانة

(٧) الخالديان : المختار من شعر بشار ١٩١ - لجنة التأليف والترجمة والنشر

(٨) البحترى الحماسة ٦٧

(٩) نفسه : ٧٤

(١٠) نفسه : ٧٤

كما يوصي الصلطان العبدى ابنه بحفظ السر، وعدم اشراك ثالث فيه، حتى لا يظهر
وينتشر. يقول :^(١١)

ألم تر لقمان أوصي ابنه
بنى غدا خباء نجوى الرجال
وسرك ما كان عند امرء
وسرك خباء غير الخفي

وفي موضع آخر يدعى الشاعر إلى مواجهة الأمور بالحزم والقوة، ويغلوا في ذلك حين
يدعوا إلى الظلم في سبيل الانتقام، وهو في هذا الغلو يصدر عن خلق جاهلي، على الرغم
من أنه يعيش في العصر الإسلامي. يقول :^(١٢)

اغش الأمور بحزماها
حتى تكون الأحزما
و اظلم فلست بمدرك الـ
أوتار حتى تظلمـا

ويوصي يموت بن المزرع ابنه المهلل بالسعى في طلب العلم، والارتحال إليه في أي
مكان، وعدم الانشغال عنه بأي شيء كمنصب أو جاه أو مال، وان يوجد بعلمه على
الآخرين، ولا يدخل عليهم بشيء منه، متخذـا من أبيه القدوة والمثل، مفـاخرا بـنشر أبيه للعلوم
وأفادـة الناس منها، فـذلك لا يـنـازـعـهـ فـيـهـ منـازـعـ.ـ يقول^(١٣)

فـجبـ فيـ الـأـرـضـ وـابـغـ بـهـ عـلـوـمـاـ
وـقـلـ بـالـعـلـمـ كـانـ أـبـيـ جـوـادـاـ
يـقـرـ لـكـ الـأـبـاعـدـ وـالـأـدـانـيـ
وـلـ تـأـفـتـكـ عـنـ هـذـاـ الدـسوـتـ
يـقـالـ وـمـنـ أـبـوـكـ فـقـلـ يـمـوتـ
بـعـلـمـ لـيـسـ يـجـحـدـهـ الـبـهـوـتـ

ولم تنس الأم ابنتها ليلة هـدائـهاـ، فـنـرـاـهـاـ تـقـدـمـ لـهـاـ الـوـصـيـةـ الـتـيـ تـعـيـنـهاـ عـلـىـ النـجـاحـ فـيـ
حيـاتـهاـ الـزـوـجـيـةـ،ـ كـالـتـلـطـفـ فـيـ مـخـاطـبـةـ الـزـوـجـ،ـ وـتـجـنـبـ أـيـ سـبـبـ يـؤـدـيـ إـلـىـ اـثـارـةـ عـضـبـهـ
مـهـمـاـ كـانـ يـسـيـرـاـ،ـ لـأـنـ أـوـلـ الشـرـ يـكـوـنـ صـغـيرـاـ ثـمـ يـكـبـرـ.ـ كـمـ تـحـذـرـ الـأـمـ اـبـنـتـهاـ مـنـ التـجـسـسـ
عـلـىـ زـوـجـهـاـ،ـ لـمـ فـيـ ذـكـرـ عـلـىـ الـعـلـاقـةـ الـزـوـجـيـةـ.ـ تـقـوـلـ^(١٤)

(١١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٥٠٢/١ - دار المارف - مصر

(١٢) أحمد قبش : مجمع الحكم والأمثال : ١٠١ - دار الجيل - بيروت

(١٣) ابن خلkan : وفيات الأعيان : ٥٨٤/٤ دار صادر - بيروت

(١٤) الوشاء : القاضل في صفة الأدب الكامل : ٩٠/٢ - منشورات وزارة الاعلام العراقية

تغريه بالشر اذا ما أقبل
محقرا ثم يكون معضلا
فتكتشفي من أمره ما جهلا

لا تجهر بالقول للبعل ولا
فأول الشر يكون جلا
ولا تبثن عليه نجلا

وتحذر ألم النحيف العبدية ابنها من الظلم، ونتائجه الوخيمة التي تعود على صاحبه
باليويل والشر، وأن يحافظ على نقاء عرضه، حتى لا يتعرض للذم والانتقاد، يقول (١٥)

حذار فإن البغي وخم عوافبه
ووجدت مضيئ العرض تلحي طبائعه
منزلة ضاقت عليه مطالعه

حذار بنبي البغي لا تقر بنه
وعرضك لا تذهب بعرضك أنتي
وكم قد رأينا الدهر غادرا باغيا

ويرجع السكوني العبدى فعل الشر إلى الجهل، واقتراح الظلم إلى نقص العقل،
ويدعى إلى القناعة وعدم الشر، لأن العمر قصير. يقول (١٦)

وحسن الذكر بالفعل الجميل
إليه غير نقصان العقول
فإنك هالك عما قليل

طلب الشر من فعل الجهول
وإن الظلم شيء ما دعانا
ألا فاقع من الدنيا بقوت

ويعلن مسلم بن عياض العبدى رفضه التام لظلم بنى عمه البكريين لقبيلته عبد القيس،
وذلك بانكار مأثرهم وأمجادهم السالفة، أو الاستهانة بها، ويدركهم بسبقهم للاسلام،
ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، ومشاركتهم في الفتوحات، ورئاستهم
للحربين وغيرها، يقول (١٧)

إذا ما ظلمنا لا نقر لظالمها
مكارمنا نخلف سواها مكارمنا
وسنسنا الأمور واحتلمنا العظائما

بني عمنا لا تظلمونا فاننا
فان تدعوا فيما مضى أو تخلوا
وفدنا فباعتنا الرسول عليكم

ومن مظاهر التعليق بالعدل عند الجاهلي أنه لا يغيب عن ذهن المحارب أحيانا، فهو
يذعيم أن حربه كانت عادلة وأنه أخذ بها حقا من حقوقه. يقول المتقب العبدى (١٨)

(١٥) المرزباني: أشعار النساء : ٩٠ - تحقيق سامي العاني وهلال ناجي

(١٦) العمد الأصفهاني: تكملة خريدة القصر : ٨٥٧ - قسم شعراء العراق

(١٧) ابن حجر: الاصابة : ٨٩/٦

(١٨) ديوانه : ٢٥٣

ونحمي عن الشغور المخوف ويتنقى بغارتنا كيد العدا وضيومها

وقد عرف عرب الجاهلية الحق وهو عند حكمائهم قيمة لا ينبغي التلاعيب بها، بأن يشتبه صاحبه ويغالي، وأن يحتال الذي عليه الحق ليبطله ويبلغه كما يبطل اللغز اذا كشف عن غموضه. وقد جاء استعمال الحق بمعنى الواجب من حيث أن الواجب حق على الإنسان لغيره، وهو بهذا الاستعمال في قول المتقب (١٩)

أكرم الجار وأرعي حقه
إن عرفان القوى الحق كرم

والحق بهذا المعنى يتسع حتى يشمل مثالمهم التي مجدوها من كرم ووفاء وحمل للمكارم وغيرها. يقول يزيد الشنني (٢٠)

ذرني أسير في البلاد لعلني
أفيد غني فيه لذى الحق محمل
وليس علينا في الحقوق معول

ومن معاني الحق عندهم الصدق. يقول المتقب (٢١)

فاما أن تكون أخي بحق
فأعرف منك غثى من سمياني
عدوا أنقيك واتخذني

ويعبر المحضون القيسي عن كرمه المتمثل في تقديم لحوم وألبان ابله للضيوف، دفاعا عن حسنه وعن شرف آبائه، شأن كرام الناس، ويقرر أن هذا الصنيع يتمشى مع أخلاقه الطبيعية، وأنه مهما حاول أن يعدل عن هذا السلوك الحميد فلن يستطيع، لأن الإنسان أسير طباعه. يقول (٢٢)

إذا هي لم تمنع برسل لحومها
ندافع عن أحسابنا بلحومها
من السيف لاقت حده وهو قاطع
وألبانها ان الكريم يدافع
يدعه وترجعه إليه الرراجع

وتخر شاعرة عبدية بشجاعةبني قومها من عبد القيس، وصبرهم على مواجهة الموت، رغم امكانهم الفرار، وأذارهم في ذلك لكثرة عدوهم. تقول (٢٣)

(١٩) مصطفى عبد الطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٣١ منشورات وزارة الاعلام العراقية

(٢٠) المرزباني : معجم الشعراء : ٤٨١

(٢١) ديوانه : ٢١١

(٢٢) المرزوقي : شرح الحماسة الهاشمي : ١٦٩٣

(٢٣) البحترى : الحماسة : ٣٧

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم
ولو أنهم فروا كانوا أعزه

والمنتقب العبد لا يزهد في المال شاكا في قيمته، ولكنه يحب المال، ويريد الانتفاع به قبل ذهابه، بالجود به على ذوي الحقوق، وانفاقه في سبيل العرض الذي يراه أهم شيء في الحياة. يقول (٢٤)

ان خير المال ما أدي النعم
ان بذل المال في العرض ألم
عطب المال إذا العرض سلم

اجعل المال لعرضي جنة
يجعل المال عطايا جمة
لا يبالى طيب النفس به

ويصدر الصلطان العبد في كرمه العظيم عن خلق اسلامي قائم على التوكل على الله
والثقة التامة بتكلفه بالرزق. يقول في رده على زوجته أمامه، حين أكثرت من لومه على
الانفاق (٢٥)

وما بنا سرف فيها ولا خرق
ظللت إلى طرق الخيرات تستيقظ
سبب الذي بالغنى من عنده نثق
ومن سوانا ولسنا نحن نرثى

قالت أمامه ما تبقي دراهمنا
إنا اذا اجتمعنا يوما دراهمنا
فلا تخافي علينا الفقر وانتظري
ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا

ويذهب عبد الصمد بن المعتزل في الجود إلى أقصي غاياته عندما لا يجد لنفسه عذرا
لطارق أو عان، وهو يملك ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها. يقول (٢٦)

حفظ البخل من المال مضيع
طرق الطارق والناس هجوع
إنما العذر لمن لا يستطيع

زعمت عاذلتي أني لاما
كلفتني عذرية البخل اذ
ليس لي عذر وعندني بلغة

(٢٤) ديوانه : ٢٣٣، ٢٢٦، ٢٢٤

(٢٥) الخالديان : الأشباء والنظائر ٨٣/١ و ٨٤

(٢٦) ديوانه : ١١٩

ويصدر هذا الشاعر العباسي المسلم في كرمه عن خلق جاهلي، يقوم على الرغبة في طيب الذكر، وحسن الأحداث، وبدل المال لتطويق الأعناق بالمن، الا أنه لا يبطل مكارمه بالمن والأذى، مبرراً مسلكه السخى بسرعة الزوال والفناء، يقول (٢٧)

أبغ جنتي بالمن	أعادلتني أقصري
حاما فنعم الثمن	ذريني أجد بالثرا
فكوني حديثاً حسن	أري الناس أحداثه
وما أتبغ المن من	أمن على المجتدي
وما قد مضي لم يكن	كان لم يزل ما أتى
إلى أمد مرتهن	وكل امرئ بالردي

ويشكو المعدل بن غيلان العبدى من عدم قدرته على معونة ذوى الحاجات من قرابته وبني رحمة، ويتمني لو استطاع بلوغ هذه المكرمات، والأعمال الصالحة، عن طريق اليسر والغنى. يقول (٢٨)

أرى صالح الأعمال لا أستطيعها	إلى الله أشكو لا إلى الناس أنتني
وذى رحم ما كان مثلى يضيعها	أرى خلة في أخوة وقرابة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها	فلو ساعدتني في المكرام قدرة

وهو كلف بالمعالي يميل إليها حيث تكون، وربما فضل من أجلها الفقر على الغنى، حين يقترن الأول بالصبر والتعفف، ويقترن الثاني بالشح والبطر، يقول (٢٩)

إذا كانت العلية في جانب الفقر	ولست بميل إلى جانب الغنى
وحسبك أن الله أثني على الصبر	ولاني لصبار على ما ينوبني

وينهج أبو عثمان الخالدي المنهج ذاته من ناحية سروره بالفقر خشية الكبر والبطر الذي قد يصاحب الغنى، معللاً ذلك بأن الإنسان قد يفضل العمى على العور الباعث على التشاؤم، وهو لا يرى في الفقر عاراً، كما لا يعيي العين بأن تكون بلا حور. يقول (٣٠)

(٢٧) المصدر السابق : ١٧٦

(٢٨) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٤٦٣/٤ - تهذيب ابن واصل الحموي - شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة

(٢٩) نفسه : ١٤٦٤

(٣٠) ديوان الخالديين : ١٣٠/٢

لقد فرحت بما عانيت من عدم
وربما ابتهج الأعمى بحاليه
لا عار يلتحقني أني بلا نشب

خوف القبيحين من كبر ومن بطر
لأنه قد نجا من طيرة العور
وأي عار على عين بلا حور

وليس معنى ذلك حب الشاعر العبدى لحياة الفقر والفاقة، بل ربما كان على النقيض من ذلك، فهو يكره هذه الحياة أشد الكره، وقد يؤثر الموت عليها، ولا سيما حين تضطر صاحبها إلى ذل الحاجة، فإذا لم يكن من الفقر بد، فالصبر هو رداوه الأمثل. يقول يحيى العبدى^(٣١)

وللموت خير من حياة زهيدة
فعش مثريا أو مقترا من عطية

وللمنع خير من عطاء مكرر
تن وala فاسأله الله واصبر

والصبر الذي يعنيه الشاعر هو الجميل الايجابي أي الذي يأتي بعد أن يستفاد الانسان كل ما لديه من حيلة وقوه. وينصح أبو بكر الخالدي من يعثر به حظه أن يلجا إلى الترحال في طلب المال والغنى، وأن يقتحم الصعب في سبيل ذلك، وألا يركن إلى الأحلام المضللة والأمانى الكاذبة، فانهما لا يحققان شيئا. يقول^(٣٢)

ان خانك الدهر فكن عائدا
ولا تكن عبد المنى فالمنى

بالييد والظلماء والعيس
رؤوس أموال المفاليص

لكن شاعر عبد القيس لا يتفق مع من يرى أن الفضل محصور في الغنى، وأن الفاضل الممجد هو مجرد الغنى. يقول الصلطان العبدى^(٣٣)

إذا قلت يوما لمن قد تري
أروني السري أروك الغنى!

وهو كثير الاعتزاز بنفسه والحفاظ على كرامته، ويتمدح الأعور الشنني بأنه لا يرترق بشعره، ولا ينكسب به، لكي لا يكون تابعا ذليلا لمدحه، وعبدالاحسانه عليه، بل لا يقف على باب عليه حاجب. يقول^(٣٤)

(٣١) المرزباني : الشعر والشعراء : ٤٤٩

(٣٢) ديوان الخالديين : ٦٣/١

(٣٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٥٠٢/١

(٣٤) الخالديان : الأشباء والنظائر : ٢٣/٢

يا أم عقبة إني أيمارجل
لا مدح المرء أبغى فضل نائله
ولا يراني على بباب أرقبه

اذا النفوس أدر عن الرعب والرها
ولا أظل أداعيه اذا غضبا
أبغى الدخول اذا ما بابه حجا

وينحو ابن المقرب العيوني المنحي ذاته، فيعلن ترفعه عن مدح التكسب، وينذكر
مبررات ذلك، المتمثلة في محظاه الكريم، وجذوره العريقة، ثم نفسه الممتلأة شجاعة وعزّة.
يقول (٣٥)

ولست بمادح سفاسف قوم
أبي لي ذاك أني من قروم
ونفس لا تريع لورد سوء

وان قالوا له مال ركام
صهاميم تسيم ولا تسام
ولو بلغ الفناء بها الحيام

ويدعو أبو المياح العبدى إلى الترحل عن دار الهوان، وعدم الاستسلام للهموم
والاحزان. يقول (٣٦)

اذا خفت من دار هوان فولها
و لا تك ممن يغلق الهم بابه

سواك وعن دار الأذى فتحول
عليه بغلاق من العجز متقل

ويضرب ابن المقرب العبدى على هذا الوتر ضربا متتابعا، فيدعو بالهلاك على من
يرضى بالذل، وهو يعلم أن الموت آت لا محالة، لا يفرق بين القاعد والقائم، وبين الجبان
والشجاع، فالكل ميت سواء في الحرب أم في السلم، والذليل لا يتمتع بلذة السيادة، ولا
يتذوق طعم الفوز والنجاح، كما تذوقها وحازها حسان بن أسعد الحميري الذي انتهى
بجيشه إلى سمرقند، وأمتلك دمشق، وعاد إلى اليمن، مارا بالحجاز، فقصد مكة وكسا
الكعبة، وقاوم الوثنية في اليمن، أفلأ يكون مثل هذا الملك العربي الجاهلي العظيم القدوة
والمثل في الاباء والعزّة والطموح، أما الذي يعيش كل حياته على المرارة والمصائب فانه
يحيا في غصة ونكد حتى لو كان مخلدا فإنه سوف يخلد في الشقاء، وليس أشق على الكريم
من أن يقع تحت امرة لئيم عاش في خير ذلك الكريم حتى شبع فتمرد عليه وأنكر
فضله. يقول (٣٧)

(٣٥) ديوانه : ٥٦٧

(٣٦) البصري: الحماسة ٢٢/٢

(٣٧) ديوانه : ١٤٩

على خطأ يغتاله أو تعمدا
جبانا على مر الليلاني مخدلا
فتى لوطيس الحرب ما زال مفندنا
وهل فاز راض مورد الذل موردا
ملك تمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخلد وأغندى
لئيم اذا مانسال شبعا تمردا

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردي
ولا عاش من يرضى الدنيا أهل رأي
وهل مات من خوض الردي قبل موته
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمداراة أو صفا
وأشقى بنى الدنيا كريم يسومه

ويدعو ابن المقرب إلى الطموح، فيرى أن الفقر يعرض صاحبه إلى نيل الأعداء
وكراهية الأقرباء، وأن هذا الفقر لا يحالف إلا القاعد العاجز عن السعي والحركة، وأن
الغني لا يتاح إلا لمن يخوض الأهوال ويركب الصعب، فالسيف مهمما كان حادا ماضيا لا
ي فعل فعله إلا إذا خرج من غده، والأسد لا يدرك فريسته إلا إذا ترك غابته، والبدر لم
يشرف ويفضل على سائر النجوم إلا بتقليه. يقول (٣٨)

رمته عداه واجتوته أقاربه
يمر عليه الدهر والفقير صاحبه
أفاد الغني بالمركب الصعب راكبه
عن الغم لو كانت حدادا مضاربه
فإن حراما أن تدمي مخالفه
عن النقص لا استعملت عليه كواكبه

إذا المرء لم يملك من المال ثروة
ومن يجعل العجز المطية لم ينزل
فقم واركب الأهوال جدا فطالما
فما يقطع الصمصام إلا إذا انتهي
و ما دام ليث الغاب في الغاب كامنا
كذا البدر لولا سيره وانتقاله

وفي موضع آخر يشير إلى أن المطالب لا تزال بالتنبي، وإنما بالسعي والكافح وأن
على الإنسان أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح. يقول (٣٩)

فهو بحر ليس يروي منه صاد
لا يلام المرء بعد الاجتهد
بمسير أو طعن أو جلاد

واتركاني من أباطيل المني
وابذلا في العز مجهد كما
إنما تدرك غایات المني

رابعاً

قضية الشؤون السياسية

القضية السياسية من القضايا الهامة التي لقيت عناية مبكرة من شعراء عبد القيس، وترددت أصواتها في شعرهم منذ العصر الجاهلي. وللمنقب العبداني قصيدة ميمية بلغت تسعه عشر بيتاً، أنشأها بعد غزو النعمان بن المنذر لقبيلته، ولكن الشاعر ارتفع فوق الجراح، رغم أن ضربة النعمان كانت قاسية، وأن مصاب العبدان كان أليماً. فلم يثر ثورة الشنبين ولم يهاجم الملوك، وإنما راح يداوي الجراح ويرأب الصدع، ويتخذ من الصبر ومكارم الأخلاق سبيلاً، يدفع عن قبيلته استمرار السوء والأذى، فإذا أصاب العبدان هذا الخطب الجلل فإنهم كانوا يحمون ديارهم، ويردون غارات أعدائهم. هذا هو موضوعها الأساسي^(١) وفيها يقول منكراً على بعض جماعته انهزامهم النفسي، وداعياً إلى التماسک والثقة بالنفس عبر هذا الفخر القبلي والشخصي، حيث كان جده سيداً خطيراً حكيمًا، وكان يقال له المصلح لصلحه بين بكر وتغلب من ربعة، وبين عوف وعامر من عبد القيس:^(٢)

يجوز بها مستضعف وحليمها ديار فقد كنا بدار نقيمهها بغارتنا كيد العدا وضيومها وفنا لنا أسلابها وعظيمها فعالاً وأعراضها صحيحاً أديمها وقد أرعشت بكر وخف حلومها	أرى بداعاً مستحدثات ترييني فان تلك أموال أصيابت وحولت ونحني عن الثغر المخوف ويتقى صبرنا لها حتى تخرج بأسنا نعد لأيام الحفاظ مكارماً أبي أصلح الحيين بكر وتحلباً
--	--

وتنتمي نونية المتنقب العبداني - إلى الأرجح - إلى اللون السياسي، ففاطمة التي خاطبها

الشاعر في قوله :

ومنك ما سألك أن تبني	أفاطم قبل بينك متعيني
----------------------	-----------------------

(١) المعيني: شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي (قسم الدراسة): ١٧٧

(٢) ديوانه: ٢٥٣

ليست امرأة كأي امرأة تأتي في مقدمات القصائد الجاهلية، وإنما هي امرأة متميزة، وتميزها نابع من ارتباط وثيق بشخصية أخرى في القصيدة، وهي شخصية عمرو بن هند، وقد احتوي البيت الأخير في القصيدة على قرينة أساسية تبرز ارتباط مقدمة القصيدة بخاتمتها، وقد تمثل هذا في مخاطبة الشاعر للمرأة من جديد، وذلك من خلال قوله: ^(٣)

دعني ماذا علمت سائقه ولكن بالغريب نبئيني

وحين نجمع بين أبيات مقدمة القصيدة، وخاتمتها، فنقرأها على النحو التالي :

دعني ماذا علمت سائقه	ولكن بالغريب نبئيني
فلا تعدي مواعيد كاذبات	تمر بها رياح الصيف دوني
فاني لو تختلفني شمالي	خلافك ما وصلت بها يميني
إذن لقطعتها ولقلت بيني	كذلك أجتوي من يجتوني
إلى عمرو ومن عمرو أنتي	أخي النجادات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخي بحق	فأعرف منك غثي من سمياني
وإلا فاطر حني واتخذني	عدوا أنقيك وتنقيني

نشرع بقوة التواضح بين معاني الأبيات، وتكشف هذه الأبيات عن علاقة متوتة بين الشاعر ومخاطبيه، فهو يريد التمتع بقرب الحبيب ويشعر بالقلق لزوال هذه المتعة برحيله، ويعاتبه بشدة على مخالفته له، ويتخذ من الصور الحسية القوية أداة للتعبير عن حدة انفعاله وتوتره، فمواعيد الحبيب الكاذبة تشبه رياح الصيف في سموها وأذاتها، وشدة مخالفة فاطمة للشاعر، تبلغ به من الضيق والحدة مبلغ من يرغلب في التخلص من بعض أعضائه، لو عاندته، ولم تطأوه على ما يريد، وعمرو بن هند الملك حيث أنه صاحب شجاعه في القتال، وسرعة في الإغاثة، كما أنه صاحب حلم ثابت محكم، يطلب منه الشاعر أن يكون على بيته من حقيقة علاقة كل منهما بالآخر، فيما أن يكون صحيح الاخاء لتسود صلاتهما المودة الصافية، أو يكون صريح العداوة ليتخد كل منهما حذره من الآخر.

(٣) موسى ربابعه : قراءه في نونية المتنب المتبقي العبدى ص ٤٦٨ - مجلة جامعة الملك سعود المجلد الرابع - الأداب

ويكشف كل من أسلوب النداء وأسلوب النهي الذي افتتح به الشاعر البيت الثاني عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر نتيجة لقرار فاطمة بالانفصال عنه، ويبدو أن الشاعر كان شغوفاً بالبحث عن الود والصفاء، ولكن هذا لم يتحقق له، ولذلك تعمق الهوة بين الشاعر وفاطمة، كلما مضي في مخاطبتها، ولذلك فهو يأمرها وينهاها عن أن تكون مواعيدها باطلة وكاذبة. ويرفض أن يكون شخصاً هامشياً. ويبرز صوت الذات الشاعرة لمواجهة هذه الأزمة المتمثلة في كذب مواعيده فاطمة وزيفها، ولقد جاء هذا الصوت حاداً أو غاضباً لمواجهة موقف فاطمة السلبي، ولذلك يؤكد الشاعر (فاني) الانفصال عن فاطمة، ويضرب لذلك مثلاً فيه نوع من الاستحالة، ويصور الشاعر كيف أن بعض جسمه يلفظ بعضه الآخر، وحدة مثل هذه الصورة تتبئ عن طبيعة النفس الهائجة، ومن هنا فقد جاءت هذه الصورة لتعكس وضعاً نفسياً متازماً، وهذا التأزم سببته أزمة نفسية ضاغطة وملحة على الشاعر. إن الصورة التي اختارها الشاعر لتكون على هذه الشاكلة تشير انفعالاً عنيفاً ينسجم مع حالة الشاعر النفسية، إن موقف فاطمة الذي يراه الشاعر سلبياً قد جعل احساسه بضرورة الانفصال عن فاطمة يتامى بصورة لافتة، وهذا يظهر في قوله "ولقلت بيوني" و"كذلك أجتوى من يجتويني" وإن مقوله الشاعر "كذلك أجتوى من يجتويني" تبرز موقف الشاعر من الآخر، وهو موقف يجسد ضرورة المعاملة بالمثل وهذا موقف عظيم يكشف عن طريقته في معاملة الآخرين، كذلك يبرز رؤية يمكن لها أن تستمر في وعي الإنسان في كل زمان ومكان، وإن الذي حدا بالشاعر إلى أن يؤكد هذه الرؤية هو العالم النقيض والمضاد الذي يعيشه، فالعالم الراهن المتمثل في فاطمة هو عالم لا يوفر الانسجام والطمأنينة، بل أنه يبعث على القلق والتوتر. كما أن الهزة العنيفة التي أحدثتها المعاناة النفسية العميقية الناتجة عن علاقة الشاعر بعمرو بن هند دعت الشاعر إلى انتقاء بعض الكلمات التي تعبّر عن العنف، فوقع كلمة "فاطر حني" يحمل بين ثنياه معنى عنيفاً يتساوى مع ذلك العنف الذي افتتح به الشاعر التصيدة، كما أن قوله "أنقيك وتنقيني" يتلاقى من جديد مع قوله "كذلك أجتوى من يجتويني" وبذلك يكون الشاعر قد رسم مبدأً عظيماً للتعامل مع الآخرين، وهو مبدأ يسعى إلى تحقيق الأخوة والمحبة.⁽⁴⁾ ويدرك ابن قتيبة أن عمرو المعنى هو عمرو بن هند، أما الأصمعي فقد قال أراه غير الملك لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام.

(4) انظر الدراسة السابقة.

ولكنني أرجح القول الأول وذلك للأسباب التالية :

- ١ - ما ذكر من قوة صلة الشاعر بعمرو بن هند، ومدائنه المتعددة له .
- ٢ - مكانة الشاعر بين قبيلته كزعيم فكري لها، وككبير لشعرائها وتاريخه المجيد فيها حيث كان جده يلقب بالمصلح، وكان مجال فخر الشعراة، وكان المتقب يرأس وفودها عند الكباراء والملوك .
- ٣ - ما عرف عن الجاهليين من صرامة وصراحه في علاقاتهم الشخصية
- ٤ - لم يكن الفارق بين ملوك عرب الجاهلية بالحدة التي كانت موجودة عند الأمم الأخرى.
- ٥ - وصف الشاعر للملك بأخي النجدات، والحلم الرصين، وهم صفتان تليق بالملوك .

ومن نونية المتقب العبدى هذه يقول أبو عمرو بن العلاء : لو كان الشعر مثل هذا الواجب على الناس أن يتعلموه . ^(٥)

وليزيد بن خذاق الشنوي أبيات سياسية وجهها للنعمان بن المنذر، وبين فيها أن قلب الإنسان لا يتسع لحب أحد وكرهه في وقت واحد، ضاربا المثل الحسي على ذلك بغمد السيف الذي لا يجتمع فيه اثنان، ويوضح الشاعر للملك أنهم أقوى مما يظن، وأن غزوهم لهم ليس هينا، ويختبر مثلًا حسياً لذلك، فهم ليسوا لقمة يسهل التهامها، كاللحم المنشور على حصير والمكشوف أمام كل أحد، ويبين للملك أن طريق الحق واضح المنهاج، وأن الأولى أن يسلكه ويسير على هداه. يقول : ^(٦)

أو يجمع السيفان في غمد لم خلتني في البأس لا نجدي سبل المسالك والهدي يعدي	لن تجمعوا ودي ومحبتي احسبتنا لحاما على وضم و لقد اضاء لك الطريق وانهت
--	---

ويغتاب الجمال العبدى قبيلته عبد القيس حين خالفت نصيحته، وأسلمت قيادها لأحمق جبان، فكانت النتيجة أن حاقت بها الهزيمة والذل، وهرب القائد الرعيرد على حصانه الضخم السريع. يقول مشيرًا إلى أثر الحكمة القائلة (لا رأي لمن لا يطاع) في تقويت فرص النجاح والتوفيق : ^(٧)

(٥) التويري : نهاية الأرب : ٩/٣ - دار الكتب المصرية

(٦) المفضليات : المفضلية - ٧٨ - دار المعرف - مصر

(٧) ابن الشجري : حماسته : ١٩٦/١ - منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠.

وما خير نصح قيل لا يتقبل
بمنزلة فيه عن الشر مزحل
جبان اذا ما صار للحرب قسطل
تولي به نهد المراكيل هيكل

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها
فلو أن قومي طاوعني لأصبحوا
ولكن قومي طاوعوا أمر عاجز
فأوردتهم حتى اذا اختلف القنا

ولأنس بن مساحق أبيات في الحكمة السياسية وجهها إلى خليله راشد الذي تربطه به
صلة نسب قديم وقوى، وفيها بين أن صغير الشر يقود إلى كبيره، وأن العزيز اذا جانب
الحكمة يصبح ذليلا، وأن سياسة الحزم تفرض عليه أن يوجه تهديده للأعداء الأبعدين،
ويصوب اليهم رؤوس رماحه، بدلا من أصدقائه الذين تجمعهم به أصره الدم والنسب، إذا
أراد أن يحتفظ بمكانه كسيد وزعيم في قومه. يقول منذرا : ^(٨)

وصنوي قدِيما اذا ما اتصل
وأن العزيز اذا شاء ذل
لحي سوانا صدور الأسل
وان كنت للخال فاذهب فخل

ألا أبلغا خلتي راشدا
بأن الدقيق يهيج الجليل
وأن الحزامة أن تصرفوا
فإن كنت سيدنا سدتنا

أما في عصرِي صدر الإسلام والأموي فاننا لا نكاد نقع على شعر لعبد القيس في
الحكمة السياسية، الا في القليل النادر، ومن أمثلته قوله الأعور الشني يحرض الإمام علي
على حرب خصمه بعد أن فرغ من معركة الجمل، يقول ناصحاً ومشيراً عبر هذه الصورة
الحسية القوية : ^(٩)

وتمت بذلك النعماء
العهد وبالشام حية صماء
- فارمها قبل أن تعص - شفاء

أي هذا الإمام قد خبت الحرب
وفرغنا من حرب من نكث
تنفث السم ما لم من نهشته

ويعد ابن المقرب العيوني فارس الحلبة في هذا الميدان، فقد تمثلت حكمته السياسية في
عتابه لقومه ونصحه لهم، وقد بلغت أبياته في ذلك أربعينات وسبعين بيبيا جاء أكثرها في
شايا قصائد المدح، ولا سيما في مدائحه في أمراء أسرته باستثناء الأمير محمد بن أبي

(٨) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٩٥ - قسم الدراسة.

(٩) الدينوري : الأخبار الطوال : ١٤٤ ط حنفي

الحسين. وتعود هذه الكثرة إلى مكانة ابن المقرب بين قومه، وما خصه الله به من تعقل وفصاحة وحكمة وحسن مرهف، يضاف إليها الظروف الصعبة التي كانت تمر بها دولتهم. ومع كل هذا وذاك فقد اندفع ابن المقرب إلى هذا الميدان، وسمح لنفسه بأن ينصب نفسه شفيفاً يحدد الداء ويصف الدواء على حد تعبير د. أحمد الخطيب، وعلى الرغم من محاولات الحكام المستمرة بهدف ابعاده وحجبه عن الظهور على مسرح الأحداث السياسية، إلا أنه لم يألوا جهداً في الزج بنفسه في معرك الأحداث السياسية منتقداً سياستهم عاتباً عليهم، فاتحاً أعينهم على الحقيقة المرة من حولهم، وأضاعوا أيديهم على موضع ضعفهم. فمن قصيدة له يمدح فيها أمير الاحساء أبا منصور على بن محمد، يقول ناصحاً :^(١٠)

بطل لعلياه يغار ويغضب	أيها أبا المنصور يقطنة ثائر
أراء من في حبل غيرك يحطب	لا تركن إلى العدو ولا تطبع
في الكائنات بكل من تستصحب	وأعص الذليل اذا أشار ولا تثق
فإذا صحيح الود منهم عقرب	وأعلم بأن الناس قد جربتهم
عنكم لضعف الرأي وهو الأقرب	وأقبل نصيحة ماجد باعدته

وقد عاتب في شعره بعض أمراء بيته الذي أبعدوه وأسلموا مقاليد الأمور إلى حثالات الناس من أتباعهم وحاشياتهم، الأمر الذي عاد بأوخر العواقب، وكان سبباً من أسباب سقوط دولتهم فيما بعد، فقد عمل هؤلاء على هدم الدولة العيونية، ونسج الدسائس والمؤامرات لهذه الغاية، مع أنهم كانوا أصحاب الحظوة فيها والمستفيدين منها، ولكنهم مع ذلك لم يصونوها بل جعلوها هدفاً للأعداء ونهباً للطامعين من البدو والأجلال الضاربين حواليها، وكان هؤلاء الخونة قد اتفقوا مع المغافرين على توزيع أملاك الدولة عليهم وحسنوا للحكام المغافلين قبول ذلك بحجة دفع شرهم والنجاة منهم. وقد حاول ابن المقرب تنبيه قومه ونصحهم، ولكن لم يسمعوا له، أو يقبلوا نصيحته، ظناً منهم أنه يطمع في الحكم وينافسهم عليه، فعملوا على مضايقته واستولوا على أمواله، وحبسوه وقد سجل ابن المقرب ذلك في قوله :^(١١)

(١٠) ديوانه : ٩٠
(١١) نفسه : ٤٥

لدي كل حين لا يجف انسكا بها
أبى ونصابي حين أعزى نصابها
عصا بينها أو أن يرجى اعتتابها
تملقها في لفظها واحتلابها
وأوهن عظم الأقربين أصطلاحها
وأنجح فاشي دعوة مستجابها
فلم يتحطم بعد صاح اهابها
على الغمر حتى يصبح الفيل لابها
زعانف لا ينهي العدو احتسابها
وتغدوا وفي حبل العدو احتطابها
وهل يتساوى تبرها وترابها
كداوية لا يلحق الضب جابها
تمر علينا كالثرات كلابها
وعهدي بها تسطوا عليها ذئابها

ومما شجاني يا لقومي فعبرتني
تضاعن أملاك أبوها اذا اعتزت
أبى أن يلم الدهر فيما يلمه
أطاعت مقالات المعادي وغراها
قأنحت على أرحامها بشفارها
ولو قبلت نصحي وأصغت لدعوتني
لداوينت كلماها وأبرأت داءها
وقدت إلى الليث السندي ولم أنم
ولكن لأمر آخروني وقدموا
تصيب وما تدرى وتخطي وما درت
في صفة الخسران فيما تبدلوا
وهل قيست الخيل العراب بعنة
لذا طمعت فينا البلايا وأصبحت
وشالت لنا أذنابها مقتذرة

ويضع ابن المقرب أمام قومه طائفة من الحكم والنصائح الكفيلة في حالة التطبيق بتحقيق القوة والغلبة والانتصار، مركزاً على أهمية الاعتماد على النفس في مواجهة الخصوم والأعداء، وانجاز الأهبة المادية والمعنوية الكافية لمجاهمتهم. يقول : (١٢)

وسابعة فليبس الذل مشملا
فذاك الذي يدعى العديم المثلا
رأي الموت مرأى عاجلاً ومؤجلاً
أخيف وأضحى بالجنایات مبلاً
أضاع وأبدى للمرامين مقتلاً

ولا يخفي ما لمن الشرطية المكررة من تأثير ايقاعي ونفسي جميل وقوى .

ومن يعط خصماً درعه وحسامه
ومن ملك الأعداء تدبر أمره
ومن رام طول العمر بالذل والغبا
ومن لم تكن أنصاره من رجاله
ومن لم يقدم للأمور مقدماً

(١٢) ديوانه : ٣٦٩
(*) أبسنه : اسلم للهلكة.

وَحْذَرُ ابْنُ الْمَقْرَبِ زُعْمَاءَ الْأَهْسَاءِ مِنَ الْوُشَاةِ وَمَا يَزِينُونَهُ لَهُمْ بِهَدْفٍ إِبْعَادُ النَّابِيْبِينَ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهِمْ. فَفِي قَصِيْدَةِ لَهُ يَمْدُحُ ابْنَ أَبِي جَرْوَانَ. يَقُولُ نَاصِحًا إِيَّاهُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ لِقَوْمِهِ وَرِعَايَتِهِ لِحَقْهِمْ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ (١٢)

ما أقرب الواشين منك وأبعدا
سيفا عليهم بالهلاك مجرد
لعدوك استشرى عليك وعربدا
لتكون في بعض الأمور مسددا
تغنى ومن سقى المدامنة غردا

أهلكت قومك في رضا الواشي بها
فاستيق قومك للخطوب ولا تكن
فالن لذى القربى جنابك لينه
وأعرف على حام لسام فضلته
فاتن ومن ولات حين ندامه

وفي خطابه للأمير محمد الفضلي - حاكم البلاد - نراه ينصحه برعاية جنده واعدادهم بكل أسباب القوة ليكونوا قادرين على حماية الوطن، فيقول : (١٤)

وَانْغَافَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ مُّتَغَافِلُوْا
غَوَّاْنِيْلِيْ او عَدُوا مَصَاوِلُوا

و جندك رشم ما استطعت ولا تكن
فما الحند الا جنة ينقى بها

ولم يزل الشاعر يلح على قومه أن يأخذوا بسياسة الحزم والقوة مع أعدائهم، وألا يرضاً التهديدات حتى لا يطمعوهم فيهم. يقول : (١٥)

عجائب يأتي فذها وتوامها
ل濂 أذاهما زاد منا انتقامها
لها حطب ما زاد زاد اضطرابها
غدت ضللة لم يبق الا ملامها

و من أعجب الأشياء والدهر كله
اذا نحن زدنا من عطائنا قبيلة
هي النار ان شـبـهـتـها و عـطـاؤـنـا
فـنـا ضـيـعـةـ المـسـعـ، وـ كـمـ منـ صـنـيـعـةـ

فهو يعرف جيداً أن سياسة الحكام المتهاونة مع هؤلاء الطامعين هي مصدر البلاء، وأن الحكمة هي في الوقف بصلابة في وجه الأعداء، فيقول :^(١٦)

۱۶۹ (۱۳) دیوانه:

٤٠٤ (١٤) نفسه :

٤٦٤ (١٥) نفسه :

٣١٨ : (١٦) نفسه

لكم يوم بأس يصدم الجهل بالجهل
وأنتم اذا كوثرتم عدد النمل
عبيديكم سوق الأحيمرة الهرل

ألا يا لقومي من ربعة هل أرى
لام تقاسون الهران مذلة
يسوّقكم كرها إلى ما يسوّكم

وظل ابن المقرب ينفخ في روح قومه الخامدة، ويبعث في نفوسهم الحمية، لينهضوا
من جديد للدفاع عن ملتهم، ويعجب كيف كانوا يواجهون الصعب والشدائـد بعزيمة
وثبات ثم يصبحون عاجزين عن حماية أنفسهم وكرامتهم. يقول : ^(١٧)

ودمع المأقي قد تداعت حوامله
ونكث لـيان^(*) العلي ونمطـله
تعـدي فـأنـسـي عـاجـلـ الشـرـ آـجـلهـ
ويـضـعـفـ عنـ حـمـلـ الـظـلـامـةـ كـاهـلـهـ
مـقـامـ وـزـادـ المـرـءـ لـابـدـ أـكـلـهـ
وـأـمـوـالـنـاـشـيـءـ مـنـ الـخـيـرـ نـأـمـلـهـ

أقول لـرهـطـ منـ سـرـةـ بـنـيـ أـبـيـ
لامـ بـنـيـ الـأـعـمـامـ نـفـضـيـ عـلـىـ الـقـذـىـ
هـلـ الشـرـ لـاـ مـاـ تـرـوـنـ وـرـبـمـاـ
وـهـلـ يـحـمـلـ الـعـزـمـ الـتـقـيلـ أـخـوـ الـعـلـىـ
وـمـاـ بـعـدـ سـلـبـ الـمـالـ وـالـعـزـ فـاعـلـمـوـاـ
وـلـاـ بـعـدـ تـحـكـيمـ الـعـدـاـ فـيـ نـفـوـسـنـاـ

ويشتـدـ الشـاعـرـ فـيـ عـتـابـ الـأـصـحـابـ السـلـطـةـ مـنـ بـنـيـ قـوـمـهـ عـلـىـ اـتـخـاذـهـمـ الـأـعـدـاءـ
وـالـأـرـذـالـ أـخـلـاءـ وـمـسـتـشـارـينـ، وـكـانـهـ فـيـ عـمـيـ عـنـ حـقـيقـةـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـظـهـرـونـ الـوـدـ
وـيـضـمـرـونـ الـحـقـدـ، وـيـحـذـرـهـ بـشـدـةـ مـنـ هـذـهـ الـفـتـةـ السـرـطـانـيـةـ، ضـارـبـاـ التـشـبـيـهـاتـ وـالـأـمـثـالـ،
لـتـوـعـيـتـهـمـ وـالـتـنـديـدـ بـتـصـرـفـاتـهـمـ الـخـرـقـاءـ الـتـيـ أـرـقـتـ مـضـجـعـهـ، لـمـ تـحـمـلـ فـيـ طـيـاتـهـاـ مـنـ وـيلـ
وـدـمـارـ، مـظـهـراـ اـشـمـئـازـهـ مـنـ الـحـيـاـةـ فـيـ ظـلـ هـذـهـ الـظـرـوفـ الـمـأسـوـيـةـ الـمـحـزـنـةـ الـتـيـ يـصـبـحـ
فـيـهـاـ الـأـنـذـالـ وـالـدـخـلـاءـ الـمـقـرـبـينـ وـالـمـشـارـكـينـ فـيـ اـتـخـاذـ الـقـرـارـ السـيـاسـيـ، مـكـرـراـ
وـمـؤـكـداـ أـنـ الدـوـاءـ النـافـعـ وـالـحـلـ الـحـاسـمـ هـوـ إـعـلـانـ الـحـرـبـ عـلـىـ الـفـسـادـ وـالـمـفـسـدـينـ،
يـقـولـ : ^(١٨)

بـمـسـيرـ أوـ طـعـانـ أوـ جـلـادـ
مـضـمـرـ الـبـغـضـاءـ مـبـدـ لـلـوـدـادـ
هـلـ يـلـاـقـيـ الـلـيـثـ سـرـحـ مـنـ نـقـادـ^(**)

أـنـمـاـ تـدـرـكـ غـائـيـاتـ الـمـنـيـ
أـعـمـيـ غـالـكـمـ أـمـ نـاصـحـ
فـهـبـوـاـ نـاصـحـكـ رـامـ الـوـفـاـ

(١٧) ديوانه : ٣٣٧.

(*) لـيـانـ الـعـلـىـ : مـطـلـهـ.

(١٨) نفسه : ١٧٦.

(**) سـرـحـ مـنـ نـقـادـ : جـنـسـ مـنـ الـغـنـمـ قـبـيـعـ الـشـكـلـ.

لمعان الآل عن حفظ المزاد
باسل الغارب من نسل الكداد^(*)
ليس عيش الذل يوما من مرادي
بشفا الضيم واسمات الأعادي
في حمي قومك فاذن ببعاد
ليس وادي الذل للحر بوادي
لامجري الماء رزقا للعباد
فلعمري ان قلبي في طراد
وهو في أطراقه حية واد
أنما طيب الكري بعد السهاد
سوق اقدام وطعن وجلا
لست من دون شبيب ومصاد
بالدان السمر والبيض الحداد

واللبيب الحر لا يخدعه
والقديم العنق لا يوفى به
جئت يا موت فان شئت فذر
قبح الله حياة قرنت
و اذا قرباك لم تتفع به
يا نديمي اتركانى واذهبوا
أحذار الموت أبقي هكذا
ان ترى شخصي لأمر ساكننا
رب ذي هم تراه مطرقا
يا جفوني طلقي عنك الكري
لأقين لأبناء الوغى
ان يكن عزا والا فردي
لا يطيب العز ما لم تجنه

فلقد أنسه هموم قومه السياسية همومه الشخصية المؤلمة، وهو يرى الأخطار تهدد
الدولة العيونية من كل جانب، وشقى بهذه الهموم الوطنية، فأخذ يبكي مجد بلاده ودولته،
وعزة أهله وقومه. يقول :

هم نفسي وطريفي وتلادي
شجوا أخوانني ورهطي وبلادي
ذات أعصار تصاهي ريح عاد
عاد منها بمضل غير هادي

كنت قبل اليوم أبكي بشجي
ثم قد أصبحت أبكي ناسيا
زوبعت في جوها عاصفة
ما نجا من نارها غير امرئ

وحين آلت سلطة البلاد إلى مقدم بن غرير، وهو رجل قد عاش في الباذية، ولم يكن ذا
درأة بأمور السياسة، ولا علم بأحوال أهل المدن، فضعفـتـ السـلـطـةـ فـيـ الـبـرـيـنـ، وـسـاءـ
تدبـيرـهـ، خـاصـةـ بـعـدـ أـنـ صـارـتـ بـطـانـةـ الـحـاـكـمـ مـنـ أـهـلـ الـخـدـعـ وـالـمـكـرـ، وـمـنـ لـيـسـواـ مـنـ أـهـلـ
الـشـرـفـ وـأـرـبـابـ الـدـوـلـةـ، وـلـاـ ذـوـيـ الـقـرـابـةـ، فـصـارـ أـمـيرـ الـبـلـادـ لـعـبـةـ فـيـ أـيـديـ هـؤـلـاءـ الـأـوـغـادـ

(*) الكداد : فعل تنسـبـ إـلـيـهـ الـحـمـرـ.

الذين أتاحوا للبدو فرص الاستيلاء على أموال الناس، وبيث الذعر في النفوس، وبلغ من نفوذ هؤلاء السفلة أن أخرجوا أهل الشرف والفضل من البلاد، واعتنوا بذهاب آل إبراهيم العيونيين، فأتي الشاعر الحاكم الصوري مقدم بن غرير، قائلًا هذه القصيدة قبل خروجه ولا مهـ في ذلك، وقبح عليه ذلك الفعل، بعد أن سـله : ما ذنب هؤلاء الرجال الذين قبضـ عليهم، فقال والله ما قبضـ عليهم، وإنما قبضـ عليهم أصحابـ فلان وفلان وعدهم، وقال مالي قدرة على مخالفـتهم، فقال هذه القصيدة عند وصولـه القطـيف وبعـث بها إلى أبي على إبراهـيم بن عبد الله بن غـرير بن إبراهـيم بن أبي جـروان، وكان يومـئـ من رؤـساء الـاحـسـاءـ.

وقد استـهلـ الشاعـرـ قصـيـدـتهـ التيـ بلـغـتـ مـائـةـ وـأـرـبـعـةـ أـبـيـاتـ بـقولـهـ : (١٩)

كمـ بالـنهـوضـ إـلـىـ الـعلاـ تـعـدـانـيـ نـامـاـ فـماـ لـكـمـ بـذـلـكـ يـدانـ

وقد خـاطـبـ الشـاعـرـ فـيـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ مـنـهـ رـجـالـ عـبـدـ الـقـيـسـ، وـأـشـارـ عـنـ طـرـيـقـ "ـكـمـ"ـ الـخـبـرـيـةـ إـلـىـ الـحـاجـةـ الـكـثـيرـةـ إـلـىـ دـعـوـةـ الـقـوـمـ إـلـىـ رـفـضـ الـوـاقـعـ الـمـؤـلـمـ الـذـيـ يـعـيشـونـهـ، ذـلـكـ الـوـاقـعـ الـمـلـىـءـ بـأـلـوـانـ الـهـوـانـ وـالـذـلـةـ وـأـصـنـافـ الـظـلـمـ، وـنـرـاهـ يـشـتـدـ فـيـ خـطـابـهـ لـهـمـ عـلـهـمـ يـتـحـرـكـونـ وـيـغـيـرـونـ مـنـ حـالـهـمـ السـيـءـ، فـقـدـ اسـتـخـدـمـ أـلـفـاظـ قـاسـيـةـ تـعـبـرـ عـنـ حـالـةـ التـوـتـرـ وـالـغـضـبـ الـتـيـ يـعـيـشـهـاـ بـسـبـبـ سـكـوتـهـمـ عـلـىـ الضـيـمـ، وـدـعـاـ عـلـيـهـمـ بـالـتـعـاسـةـ وـالـتـكـلـ اـنـ لـمـ يـتـحـرـكـواـ، وـسـخـرـ مـنـ جـمـودـهـمـ وـعـدـمـ اـحـسـاسـهـمـ. يـقـوـلـ :

فـيـ كـلـ حـيـنـ لـلـعـلـاـ وـأـلـوـانـ
خـلـقـتـ رـؤـوسـكـ بـلـاـ آـذـانـ
خـضـعـ الرـقـابـ تـطـامـنـ الـخـصـيـانـ
لـكـمـ فـلـيـسـ هـجـانـكـ بـهـجـانـ
بـمـذـرـبـاتـ الـبـغـيـ وـالـعـدـوـانـ
يـرـمـيـكـ كـتـهـدـفـ الـحـيـطـانـ
لـيـرـيـ سـهـامـ الـمـوـتـ رـأـيـ عـيـانـ
طـبـعـ الـجـمـادـ وـصـورـةـ الـحـيـوانـ
يـاـ غـصـةـ الـأـخـوـانـ وـالـجـيـرانـ

أـرـجـالـ عـبـدـ الـقـيـسـ كـمـ أـدـعـوكـمـ
فـتـرـاـكـمـ مـوـتـيـ فـأـسـكـتـ اـمـ تـرـيـ
كـمـ ذـاـتـسـامـونـ الـهـوـانـ وـأـنـتـمـ
تـعـسـاـ عـبـيـدـ الـظـالـمـيـنـ وـلـاـ لـعـاـ (*)
أـصـبـحـتـ غـرـضاـ تـنـاضـلـهـ الـعـدـاـ
مـتـهـدـفـيـنـ لـكـلـ رـامـ بـالـأـذـيـ
مـاـ مـنـكـمـ شـخـصـ يـرـوـعـ وـأـنـهـ
لـهـ دـرـكـمـاـ لـقـدـ أـحـرـزـتـمـاـ
ثـكـلـتـكـمـ الـأـعـدـاءـ ثـكـلـاـ عـاجـلاـ

(*) لـلـعـاـ : دـعـاءـ عـلـيـهـمـ أـلـاـ يـقـالـواـ مـنـ عـثـرـهـمـ.
(١٩) دـيـوـانـهـ : ٦٣٢ وـ ٦٣٣.

وأخذ يلومهم بشدة على تناقضهم، وانقسامهم، وخروج بعضهم على بعض، مبينا لهم أنهم بهذا التناقض والتدابر إنما يهدمون بيوتهم بأيديهم، وبمكرون عدوهم منهم، يقول مقابلًا بين حالهم مع أنفسهم، وحالهم مع الأعداء، ناعيًا عليهم هذه السياسة الفاشلة.

بعضاً كأنكم من الحيتان
شق العصا وتذكر الأضغان
بادي القطيعة ظاهر الخدلان
ومطيل عض أنامل وبنان
لمعزكم في السر والاعلان
سوده كي يرضي بما فلان
بنيان عزكم بلا أركان

ال القوم تأكلكم ويأكل بعضكم
من عز منكم كان أكبر همه
وتضافر المتضدون وكلكم
ما منكم الا مرد زفراة
أكرامكم لم ينكرون وهو انكم
لم يغضب البدوي الا قلم
شيدتم عز العدى وتركتم

وبعد أن شخص ابن المقرب داءهم، فيما سبق، نجده يحدد لهم العلاج، وهو بعث الحمية واليقطة فيهم، وترك الحسد والتنافس بينهم، وتحكيم ميزان العدل في معاملاتهم، ورأب صدع الشقاق والنزاع، وأن يتداركوا إصلاح ما فسد في علاقتهم، ويلمموا شعثهم ويوحدوا صفوفهم، أمام العدو المشترك. يقول :

لا خير في ماض بكاف جبان
هم الرجال وغيره الفتىـان
وعلت غواربه على القريـان
فكلاهما نزعـ من الشـيطـان
لفسادكم يـسـعـيـ بكل لـسانـ
ما دـمـتـمـ منـهـ عـلـىـ الـأـمـكـانـ
عـيـ بـفـرـقـةـ قـوـمـهـ بـمـعـانـ

أـيـهـ بـقـايـاـ عـبـدـ الـقـيـسـ آـنـهـ
لـاـ تـسـقـطـنـ مـنـ هـامـكـ وـأـنـوـفـكـ
وـأـسـتـيقـظـوـاـ فـالـسـيـلـ قـدـ بـلـغـ الزـبـيـ
وـذـرـواـ التـحـاسـدـ وـالـتـنـافـسـ بـيـنـكـمـ
وـأـسـتـعـمـلـوـاـ الـاـنـصـافـ وـأـعـصـوـاـ كـاـشـاـ
وـتـدـارـكـوـاـ اـصـلـاحـ مـاـ أـفـسـدـ
فـتـحـ دـثـوـافـيـ لـمـ شـعـثـكـ فـمـ السـاـ

ويمضي في وصف الدواء الناجح لقومه بعد أن وضع أيديهم على الداء، فيدعوهم إلى انتهاج سياسة حازمة مع العدو، تقوم على وحدة الصـفـ وـالـهـدـفـ، وـمـوـاجـهـةـ العـدـوـ بـالـسـيـفـ، مؤكداً بالقسم أن سياسة المصانعة مع هؤلاء الأعداء البداء الجهلة، لا تجلب لهم إلا الشـقاءـ والـتـعـاسـةـ فإـمـاـ أـنـ يـسـتـخـدـمـواـ كـلـ مـاـ لـيـهـمـ مـنـ قـوـةـ فـيـ حـمـاـيـةـ الـبـلـادـ التـيـ صـارـتـ لـهـمـ مـنـذـ

هاجروا إليها من تهامة، أو يرحلوا عنها قبل أن تصبح نساً لهم سبياً في أيدي عدوهم، ويصبحوا هم تحت رحمته وامرته، فيلقون منه مثلما لقي بنو العياش والعريان من القرامطة. يقول :

لدار معرة و هوان
و بواركم تجري بغير عنان
من حين مقتل عامر الضحيان
عنها لدار معرة و هوان
منكم متى يومي فما أشـقاني
عنكم مصانعة و حمل جفان
من دون سلب معاجز النسوان
لربيعة فيها ولا قحطان
لاـقى بنو العياش والعريان
بالسيف عن عرض وبالنيران

ثم يخاطب الشاعر في القسم الأخير من التصيدة أبا على ابراهيم بن عبد الله الجرواني، فيطلب منه أن يتدارك أمر السلطة المتداعية قبل انهيارها، ويثير فيه نخوته العربية وطبعه الأصيل، ويرسم له السياسة الناجحة، والمنهج السوي، كالاعطف على أفراد العشيرة والصفح عن مسيئهم ومكافأة محسنهم، ونبذ الوشاية بينهم، والحذر من صنائع المدخولين. ويطلب الشاعر من مخاطبه أن يوليبني مرة رعاية خاصة، فيواسني فقيرهم، ويفك أسيرهم، وينصف مظلومهم، وينهي نصائحه برجاء أخذ المدوح بها وتتفيدها، لأنه الأمل المتبقى لحفظ السلطة قبل أن تخرج من أيديهم إلى غير رجعة. يقول :

عني السلام وقل له ببيان
أو عالم من نازح أو دان
بعد العمار بنو أبي جروان
عربيبة شهدت بها التقلان
ذنب المسىء وكاف بالاحسان
قول الوشاة فكل شيء فان

أبلغ هديث أبا على ذا العلي
أتراك ترضي أن يحدث جاهل
فيقول كان خراب دار ربعة
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة
اعطف على أحياط قومك واحتمل
واعمل لما يحيى العشيرة واطرح

منهم فك لهم أخو كيسان
ففي الانتساب ومالك أخوان
غبنا وكن لأبرهم والعاني
بابا عليّ وعرين كل زمان
ملا يجوز على ذوي الأذهان
ففي طاعتي والغى في عصياني
لامارأى قلبي وقال لسانى

واحدر أصيحاب النصائح واحترس
واستبق مرة للعدو فمرة
وارفع خسيسة من تشكي منهم
فلأنت لو أنصفت عين زماننا
ودع احتجابك بالأمير فانه
واعلم بأن الرشد لو حاولته
والرأي عندي ما تقول وما ترى

ويوجه ابن المقرب إلى قومه نصيحته الداعية إلى القوة، ومحاربة الخصوم بقلوب متعطشة إلى دماء العدو تعطش الابل التي أظمئت خمس ليال، فهم يتدافعون إلى المعركة تدافع الابل للشرب بعد هذا الظما، وهو تدافع ينسيها فصلانها ويعرضها للهلاك. ويدعو الشاعر فرسان قومه إلى اقتحام الحرب ودخولها عنوة بدون ترث، ففي ذلك ما يضمن حسمها لصالحهم، ثم يحذرهم من الاعتماد على العدو أو الاطمئنان اليه مهما كان شأنه، لأن حبال الأعداء رثة ضعيفة سرعان ما تقطع بأيدي من يتمسك بها، فيسقط في الهاوية.
يقول : (٢٠)

خوامس يغتال الفصال ازدحامها
يكشف غماء الحروب اقتحامها
وان قيل هذا عقداها ونظمها
سرع بآيدي الماسكين انفصالتها

ردوا الحرب ورد الظامنات حياضها
وخطوا لظاها باقتحام فإسما
ولا تركنا يوما إلى ذي عداوة
فان عري الأعداء قد تعلمونها

ويكرر ابن المقرب تحذيره لقومه بـألا يستمعوا إلى نصيحة الصاحب المداعي الذي يظهر الصداقة ويضمّر العداوة، وأن يكونوا على مستوى من النباهة واليقظة ترضي الصديق الغاضب، وتغضّب العدو الراضي ويبدو أكثر لينا معهم فيقول انه لن يذمهم، وان لم يأخذوا بنصيحة، لكنه يعزّي نفسه أمامهم بأن كثريين من الناصحين المخلصين عدوا في نظر الناس خونه، وكثريين من الغادرين حسوا في أعين الناس أوفياه. يقول :

ألم يأن أن تعصوا النصيحة المداعجا
فترضى أخا سخط وتسخط راضيا
وفي السهو شرعا قد أجازوا لخلافها
فلست لكم فيما تحبون لاحيا
وكم غادر قد عد في الناس وافيا

الا يالقومي من على بن عبد
اما حان منكم يقظة وانتباهة
يقام بها كل امرئ في مقامه
فان انت لم تقبلوها نصيحة
فكم ناصح قد عد في الناس خائنا

ويبدو أن ابن المقرب قد سئم من نصحهم بعد أن علم ألا فائدة من ورائه، ولكنه ينادهم في نصائحه الأخيرة ألا يغتروا بالناصح الذي يضرم لهم العداوة، وأن يميزوا بين الصادق المخلص، وبين المنافق الغادر. وكان من نتائج عدم اصغاء قومه لنصائحه ازدياد ضعفهم، وفي المقابل زاد طمع الأعراب فيهم، وزاد استخفافهم بالسلطة الواهنة، فقد حدث في أيام الأمير أبي القاسم بن محمد العيوني أن قتل رجاله قاطع طريق من بنى عقيل، فجاءه بنو عقيل مطالبين بدمه امعانا منهم في اذلال القيادة الواهية التي استجابت لمطالبهم بتأثير من بطنائهم الفاسدة، وما ان يسمع ابن المقرب بما جري حتى يهرب إلى الأمير معاتبا وناصحا في قصيدة قوية جاء فيها :

وكم يعترينا ضيئها واهتضامها
بنات الوغى يتلو الروابي قتامها
خوامس يغتال الفصال ازحامها

الى كم مداراة العدى واحترامها
اما حان يا فرعى ربىعة ان اري
ردوا الحرب ورد الظامنات حياضها

ويشير الشاعر في دهشة إلى المفارقة العجيبة في دولة الورق التي بلغ من وهنها أن تدفع دية المجرمين والأنذال، ولا تأخذ دية للصالحين الشرفاء، يقول :

على ذا ويدني في حمانا مقامها
فتلغي لقد خبنا وفازت سهامها

فواسوأنا ان كان يودى قتيلها
ويقتل بالغدر الصرىح كرامنا

ويبدو أن اليأس من صلاح قومه قد أخذ يترجح عنده على الأمل، بعد أن بع صوته من كثرة النصح، ولكنهم لم يصغوا إليه ولم يعيروه اهتماما. يقول :

ففاك فأعيا كل شيء رجوعها
وهيون فخاض المباني رفوعها
لذاك فرفاع البرايا وضوعها

وان دولة ولت قفاتها فولها
ولا تتعبن في نصح من غاب رشده
لعل ذري تهوي فتعلو أسافل

ولما يئس ابن المقرب من صلاحهم، طالبهم أن يجيبوه ولو بوعد كاذب. يقول (٢١)

هل انتظاركم شيئاً سوي العطبه
لخير منقلب عن شر منقلب
قد صرت أرضي بوعد منكم كذب

يا ساكني الخط والأجزاء من هجر
بحرت مما أنا ديكم وأندبكم
فسكتوني بقول لا تفون به

وأخيراً بعد أن يبلغ به اليأس كل مبلغ، يعلن آهاته وحسراته على ضياع كل نصائحه التي تنم عن حبه لهم وخوفه عليهم، وكم كان يتمنى لو عرفا قدره وقدر أمثاله من قومه، أذن لـتغیر الحال، وهو في النهاية يدعوا الله بالفرج أو بـتـعـجـيلـ الـأـجـلـ قبلـ أنـ يـرـيـ زـوـالـ دولـتـهـ.ـ يـقـولـ (٢٢)ـ :

دروا ان فيه حازم الرأي فيصلا
ولا يزدهيني عنهم من تعجلوا
أقام مقام الا ضبط الورد خيطلا
ترىك نبيه القدر من كان أخملوا
فسق فرجا او لا فمومتا معجلوا

فَاهْ لِقُومِي لَوْ أَطْعَتْ لَدِيهِمْ
لَقَدْ كُنْتْ لَا أَرْضِي الدُّنْيَا فِيهِمْ
وَلَكِنْ إِذَا مَا الْأَمْرُ حُمِّلَ اِنْتَهَاوْهُ
وَأَقْمَنْ شَيْءٍ بِالْهَلَّاكِ مَدِينَةُ
فِيَارِبْ لَا صِيرْ أَعْلَمْ؛ ذَاوْ لِيَاقَا

ومن حكم ابن المقرب الذي قيل أن الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله كان يردد لها

فوج

فالملك ليس بثبات على اللعب

وَغَرَّ عَلَى الْمَلَكِ مِنْ لَعْبِ الرِّجَالِ بِهِ

يقول الخطيب : اذن فالنصح عند ابن المقرب ليس مجموعة من النصائح السلوكية والخالية، يكيلها إلى ساميته في تقريرية مموجة، ولكن النصح عند رصد لمظاهر الانحلال والضعف في مجتمعه، وعرض للحلول الممكنة لرأب الصدع وتلامم الصفوف، وان كنا نري في نصحه لابناء عمومته وعتابه لهم موقفا وطنيا يستحق عليه الثناء والتقدير، فهذا لا يمنع أن نري في عتابه ونصحه شيئاً أبعد كان يرمي إليه ابن المقرب يجعلنا نشي فيه على دهائه وولعه بالسياسة، فالنصح عند كان أشبه ما يكون بتعرية لحكامهم والنفاذ إلى الحياة السياسية، وكأنه كان يقوم بدور المعارضة السياسية لنظام حكمهم، فيحاول اثارة

۷۵ (۲۱) دیو انہ :

(٢٢) المصدر السابق : ٣٧٠ - **الخيطل** : الكلب أو السنور.

الناس ضد هم بكشف مساوئهم، وان بدا لهم في صورة الناصح الشفيف، ويبيرر هذا موقف أبناء عمومته منه الذي لم يتغير مع تعاور العديد منهم على امارة الاحساء والقطيف، كما يبرره موقف الشاعر العنيد في ان يظل قريبا من مسرح الأحداث، مترصدا لأخطائهم، غير عابئ بما يناله من ضيئهم وانكارهم لحقه وقدره، وكأنه كان يتحين الفرصة للوثوب إلى السلطة بعد أن هيأ النفوس للثورة. ثم يقول هذا الباحث: ومما نعجب له أن شاعرنا قد التزم بقضية قومه طوال حياته على الرغم مما ناله منهم من أذى ومهانة، ولكنه ظل على أصالته فلم تزعزعه الناببات ولم تحركه قيد أئمه عن مبدئه، فبقي يدافع عن عشيرته وقومه حتى وافته منيته وصدر في نصحه وعتابه عن معاناة حقيقة وتجربة صادقة وطموح لا يكل، وهو في هذا الميدان فارس سباق، وقلا نجد في العصور الأدبية السابقة من كانت له مثل هذه المواقف المشرفة من الالتزام بقضايا مجتمعه. (٢٢)

(٢٢) أحمد الخطيب: شعر على بن المقرب العيوني ص: ١٥٠

خامسا

قضية الابيام والزهد

كانت نظرة الجاهلي إلى المستقبل الغامض تشكل هاجساً مزعجاً له على الدوام، بسبب غياب الرؤية الواضحة المبنية على الإيمان الصحيح، مما جعله نهباً لوساوس الطيرة والفال التي تشييعها في نفسه معتقداته الجاهلية المرتكزة على التشاوم والخوف من المجهول، إذ يشعر الإنسان الجاهلي أن له نصيباً معيناً من الخير والشر، وأنه يختلف في ذلك عن يقية الناس، فـ"المتنبِّع العبدِي" يحس أن الشر يطارده أينما توجهه ولا يمنعه هذا الإحساس من أن يتبيّن استحالة معرفة المستقبل^(١)، حيث يقول :

أريد الخير أيهما يليني
أم الشر الذي هو يبتغيني
و ما أدرى إذا يممت وجهها
الخير الذي أنا أبتغيه

يقول د. مصطفى عبد اللطيف : وقد عرف عن الجاهليين منذ القدم ايمانهم العميق بالقدر، ويحتمل أن اثبات القدر كان نتيجة تفكيرهم في الموت بالدرجة الأولى. فمما نلاحظه في لفاظ الموت عندهم أن كثيراً منها هو اشارة إلى الشيء الواجب كالحتم والمنية والحمام، أو الوقت المحدد كالأجل والليوم، ولكن هذا لم يمنعهم من أن يعلقوا بالقدر أشياء أخرى، وهم غالباً يذكرون القدر والدهر في حالات اليأس والقنوط ويدذكرون ارادة الله في حالات التأمل الهديء، كما نرى في قول "ثعلبه بن عمرو العبدِي" :^(٢)

عند امرئ في الحرب لا واهن القوي ولا هو عما يقدر الله صارف
و لقد كان حكماء العبدِيين على معرفة بالله، ولأية ذلك تردد ذكره في شعرهم، كما نرى في
قول "المتنبِّع العبدِي" :^(٣)

سيبلغني أجladها وقصيدها وأيقتنت ان شاء الله بأنه
أناه بأمر اس الجبال يقودها فلو علم الله الجبال ظلمنه
ويقول :^(٤)

(١) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٣

(٢) نفسه : ٩٨

(٣) ديوانه : ١٠١

(٤) نفسه : ١٠٤

ويقول أيضاً : (٥)

على الواقع أفراسي وعيسي لحي الرحمن أقواماً أضاعوا

ويقول "ثعلبه بن عمرو العبدى" : (٦)

وأقسمت أن نلته لا يؤوب فأقسم بالله لا يأتى

فاللألفاظ يقدر الله، إن شاء الله، علم الله، الرحمن، كلها ألفاظ إسلامية ويعلل د. المعيني ذلك بوجود الموحدين بينهم، وبأن منهم من كان على دين المسيح، ثم يقول: فلا نستغرب أن يذكر شعراء عبد القيس هذه الألفاظ مadam مجتمع الجاهلية قد عرفها، ولا غرو أن تكون تلك الألفاظ ملائحة في رؤيا العبدية إلى تعاليم ومفاهيم قريبة من تعاليم الإسلام، ولقد رأينا كثيراً من الحكماء من رجالات عبد القيس أمثل "رئاب الشني" و"الأشج العبدى" و"الجارود" وكلهم نظر بفكرة وحكمته نظرة أوسع وأشمل من بقية العبدية الجاهليين إلى الله والطريق إلى تعاليمه. (٧)

وهناك ألفاظ أخرى تحمل طابع الاصلاح الديني يمكن عن طريق دراستها التعرف على آثار الدين في الجاهلية، ومنها البر والتقوى والجزاء والجزاء والفجور والاثم، ومن أهم الكلمات ذات المدلول الديني عندهم، الفجور وهو يقابل البر، والاثم وهو الذنب، وعلاقته واضحة بالدين (٨)، يقول "يزيد بن الخاذق العبدى" : (٩)

تحلل أبيت اللعن من قول آثم على مالنا ليقسمن خموسنا

ويقول "سويد بن الخاذق العبدى" في الجزاء : (١٠)

جزى الله قابوس بن هند بفعله بنا وأخاه غدرة وأثاما

ويقول أيضاً "المتقب العبدى" : (١١)

فجزاه الله من ذي نعمة وجراه الله من عبد كفر

(٥) المصدر السابق : ٢٧٦

(٦) المفضليات : المفضلية ٦١ ص ٢٥٤

(٧) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ١٩٠ - قسم الدراسة

(٨) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص ١٣٦ و ١٤٠ .

(٩) المفضليات : المفضلية ٧٩ ص ٢٩٨

(١٠) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣٧٨

(١١) ديوانه : ٧٨

ولكن ورود هذه الألفاظ وغيرها في شعر العبديين، وثقافتهم الجاهلية لم تكن من العمق ووضوح الرؤية بحيث يجعلهم على درجة عالية من القناعة والاطمئنان، وهذا ما دفعهم إلى سرعة الاستجابة لدعوة الإسلام والمبادرة إلى اعتنائه فور علمهم بظهوره، ووقوفهم على حقيقته، حيث وجدوا فيه الحل الأمثل لأمور دينهم ودنياهم. وقد بدأت قصة اسلام عبد القيس بالوفادتين اللتين قاموا بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ومكة أو قبلهما بقليل، وقد سجلوا في شعرهم هاتين الحادتين الهامتين، فها هو ذا "الجارود العبدي" يسطر رحلة اسلامه واسلام قومه أمام الرسول في أبيات يشير فيها إلى المسافرات الطويلة الشاقة التي قطعواها بين البحرين ومكة خوفا من يوم الحشر الأعظم وأهواه الشداد، وطلايا للإسلام الذي جاء به رسول الله مبشرًا بنور الله وبرهانه وبره ونعمته، متنميا من الرسول أن يكون حظهم من ذلك النعيم المقيم جزيلا. حيث يقول : (١٢)

<p>قطعت فدداً وآلاً فآلاً لا تعد الكلال فيك كلاً بكمات كأنجم تللاً هائل أوجع القلوب وهالاً وفراقاً لمن تمادي ضلاً ن وبر ونعمه أن تنالاً بها أذ أنت سجالاً سجالاً جزيلاً لاحظ خلف أحلاً</p>	<p>يابني الهدى أنتك رجال وطوت نحوك الصحاصح تهوي وطوتها العناق تجمح فيها تبتغى دفع بأس يوم عظيم ومزاراً لمحشر الخلق طراً نحو نور من الآلهة وببرها خصاك الله يابن آمنة الخير فاجعل الحظ منك يا حجة الله</p>
--	---

وفي أبيات أخرى يعلن "الجارود" إيمانه ويفك حنيفيته، ويخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمين الله على كل ما أوحى به إليه من بين جميع الناس، حيث يقول : (١٣)

<p>بنات فؤادي بالشهادة والنهض بأني حنيف حيث كنت من الأرض على الوحي من بين الغضيضة والغض</p>	<p>شهدت رسول الله حقاً وسامحت فأبلغ رسول الله عنِي رسالة وأنت أمين الله في كل وحي</p>
---	---

(١٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر : ٢٣٥/٢ - مكتبة المعرفة بالرياض

(١٣) الصفدي : الوافي بالوفيات : ٢٦/١١

وهذا شاعر من عبد القيس يذكر دعاء الرسول لهم، ويشير إلى وفادتهم الأولى على النبي، ويعدد بعض رجالهم كـ"صحابي العبد" المشهور ببلاغته، وـ"أشج" الذي وصفه الرسول بالظماء، وـ"زيد بن صوحان" الذي بشر النبي بدخوله الجنة وأن يده تسقه إليها، فقطعت يده اليسرى في معركة جلواء. ثم يذكر الشاعر أن الرسول هو شهيدهم يوم الحساب وأن لهم البراءة من عذاب جهنم، فصاروا خير الناس بعد قريش. يقول^(١٤):

حقاً بصدق قاله المتكلم
بالخير فوق الناجيات الرسم
طوعاً إليه وحدهم لم يكلم
من عبد قيس في المكان الأعظم
طويبي لذلك من طريح مكرم
منه الشمال إلى الجنان الأنعم
مقبولة بين المقام وزمزم
ولنا البراءة من عذاب جهنم
في الناس طراً مثلكم لم يعلم
لهم الفضائل في الكتاب المحكم

منا صغار والأشج كلاما
سبقاً الوفود إلى النبي فهيلاء
في عصبة من عبد قيس أوجفوا
فاذكر بني الجاورد إن محلم
وكفي يزيد حين يذكر فضله
ذاك الذي سبقت لطاعة ربه
فدعوا النبي لهم هناك دعوة
محمد يوم الحساب شهيدنا
فأولاًك قومي إن سألت مخبري
إلا قريشاً لا أحاشي غيرهم

ويدعو الأعور الشني إلى أخذ الأمور بالهون وعدم القلق منها أو تهويتها، مستنداً في ذلك إلى الإيمان المطلق بقضاء الله وقدره، فما شاء الله كائن لا محالة، وما لم يشاً لن يكون أبداً. يقول^(١٥):

بكف الإله مقاديرها
ولا قاصر عنك مأمورها

و هون عليك فان الأمور
فليس بآتاك منها

ويسجل "عبد الله بن سلام العبد" إيمانه بالقضاء والقدر، هذا الإيمان الذي يجعله يغدو ويروح في اطمئنان وأمان، فيقول مشيراً إلى رفضه لما يعتقده الجاهليون من تأثير الطواعي على الإنسان^(١٦):

(١٤) علي الخطيب: تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة: ١٩٠ و ١٩١

(١٥) علي البصري: الحماسة: ٢/٢ - عالم الكتب - بيروت

(١٦) نفسه: ٢٨/٢

من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل
أخش البوائق من ثور ومن حمل
إذا غدت فلا أغدو على حذر
الله يمضي الذي يقضي على فلم
ويبيّن "جمال العبدى" أن الحكم والرشاد في تقوى الله وخشيته، وينظر إلى بعض الآثار الجاهلية نظرة إسلامية حين يدعوا إلى عدم التطير عند الاقدام على أمر،
يقول: ^(١٧)

أعزم على تقوى الاله
 اذا عزمت تكون رشيدا
 لا تصرفناك الطير ان
 كانت نحوسا او سعودا

وقد ظهرت في العصر الأموي فرق إسلامية من خوارج كـ "النجدية" أتباع "نجدـة الحنفي"، وـ"الأزرقة" أتباع "نافع بن الأزرق"، وـ"الحرورية" نسبة إلى حروراء، فرقت الأمة الإسلامية إلى شيع وأحزاب، وينعي "الصلتان العبدى" على المسلمين هذه التفرقة، داعياً إياهم إلى الاعتصام بحبل الإسلام المتين، يقول ^(١٨)

أري أمة شهرت سيفها
بنجدية وحرورية
فملتنا أنا مسلمون
وقد زيد في كفها الأصبهـي
وأزرق يدعـو إلى أزرق
على دين صديقـنا والنبي

ورغم ما يشتمل عليه مذهب الخوارج من غلو ممقوت، فقد عرف أكثر أصحابه بكثرة عبادتهم، وقوة ترابطـهم، وشدة بسالتـهم، وفي رثاء "زيـاد الأعـسـم" لـ "داوود العـبدـى" وتأيـينـه له، يشير الشاعـر إلى صفاتـه الدينـية من حـب للـشهـادـة وـزـهـدـ فيـ الدـنـيـا، وـمـداـوـمـةـ عـلـىـ الصـوـمـ،
يقول لـأـنـمـاـ نـفـسـهـ عـلـىـ نـسـيـانـ المـوـتـ : ^(١٩)

فـانـ يـاكـ دـاوـودـ مـضـيـ لـسـبـيلـهـ
وـقـدـ كـانـ ذـاـ أـهـلـ وـمـالـ وـغـبـطـةـ
كـأنـ الفتـىـ دـاوـودـ لـمـ يـاكـ فـيـكـمـ
أـقـيمـ عـلـىـ الدـنـيـاـ كـأـنـيـ لـأـرـيـ
فـقـدـ كـانـ ذـاـ شـوـقـ إـلـىـ اللهـ تـالـيـاـ
وـكـانـ لـمـاـ يـقـنـيـ مـنـ العـيـشـ قـالـيـاـ
وـلـمـ نـرـهـ يـوـمـاـ مـنـ الصـوـمـ بـالـيـاـ
زـوـالـاـ لـهـ وـأـحـسـبـ العـيـشـ بـاـقـيـاـ

(١٧) مجمع الحكم والأمثال : ٥٠

(١٨) نالينو ك تاریخ الأداب العربية: ٢٦٩ دار المعارف بمصر

(١٩) احسان عباس: دیوان شعر الخوارج: ٢٠٧ - دار الشروق - بيروت ١٤٠٢

ولعل "السكوني العبد" أكثر شعراء عبد القيس دعوة للزهد، إلا أن هذه الدعوة جاءت مشوبة بشيء من التشاوؤم. ففي مقطوعة له ينادي نفسه طالباً، منها الكف عن الفرح بطول البقاء، لما يترتب على ذلك من التعرض للمزيد من الأذية والبلاء، مذكراً نفسه بحتمية الموت الذي فيه النجا من كل ما يؤدي إلى الهاك والدمار في الآخرة. فيقول^(٢٠)

ففي طوله أذاك ما منه منجي إذا أتاك تورده مورد الهاك	يا نفس لا تفرحي بعيش طال واذكري الموت فهو حتم لا خير للمرء في حياة
---	--

وفي مقطوعة ثانية يتمنى الشاعر لو كان جماداً أو لم يخلق قط إذن لاستراح من هموم الحياة والخوف الدائم من الموت. فيقول^(٢١) :

فقد الروح ليس يغدوه قوت الهم وكرب الممات حتى الموت	ليتنى اذ خلقت كنت جماداً لم تزدني الحياة شيئاً سوي
---	---

وفي مقطوعة ثالثة يعبر عن تذمره من الحياة ويندمها لما تتطوّي عليه من قبيح الغدر وكثرة القلق، ومن الآفات التي لا ينفع معها حذر العاقل. يقول^(٢٢) :

قبيحة فعل غير مأمونة الغدر وأفاتها تأتيه من حيث لا يدرى	إلا ان ذياناً لدار ذميمة يحذر فيها ذو الحجا ويخافها
--	--

وهذه الحالة الزهدية جاءت مصحوبة في بعض الأحيان بنظرية سوداوية إلى الناس، فهم في رأيه كثيرو الظلم والغفلة، شديدو الحرص على المال، قليلو التورع عن ارتكاب المعاصي والآثام. يقول^(٢٣)

إلى أحوالهم في كل حال شديد الحرص في طلب المال إلى الأيام جهلاً والليالي أما يخشون نعمة ذي الجلال	تفك في أمور الناس وانظر فانك لن ترى الا ظلوماً رأوا أمداً بعيداً فاستلاموا عجبت من اجتراهم المعاصي
---	---

(٢٠) العmad الأصفهاني : تكملة خريدة القصر : ٨٥٦

نفسه

(٢١) نفسه : ٨٥٧

(٢٢) نفسه : ٨٥٨

(٢٣) نفسه

وتتصاعد هذه النزعة التشاوئية نحو الناس في أبيات أخرى للشاعر، فالخير منقطع عند الناس، والشر طبع فيهم، وقد كانوا في الجاهلية بغاة، وزادوا بغيًا بعد إسلامهم، على الرغم من علمهم بما أعد الله للظالمين من عقوبة، وقد تركوا ما يرحب فيه الدين من احسان وما يحرمه من مظالم، وهو يرى أن هؤلاء الناس لو كف بعضهم عن ظلم بعض لما وجد فقير بينهم، ويكرر تذكيرهم بمصير الظالمين بعد البعث، وهو الدخول في النار حيث يقول: ^(٤)

والشر طبع في الوري متقدم
واشتد ذاك البغي لما أسلموا
فيه العقوبة بل عليه أقدموا
فيه وأمووا الظلم وهو محرم
أمسى على الدنيا فقير معدم
في البعث مأوي الظالمين جهنم

الخير كل الناس عنه محجم
كانوا بغاة قبل بعث محمد
لم ينفهم إسلامهم عن مأثم
عدلوا عن الاحسان وهو مرغب
لو عف بعض الناس عن بعض لما
أتراهم لا يعطى مون بأنهم

ويحذر "أبو البحر الخطبي" الناس من الانهماك في الدنيا والتهاك عليها، لأن الحياة الأخرى أجدر بالرعاية، فهي ذات عطاء لا ينتهي، يناله التقى الخاشع، والتائب المنيب، أما من يتمادي في غيه وضلاله فليس له إلا شديد الحساب ووبيل العقاب. يقول الشاعر متكتئاً على صيغة الطلب الارشادية : ^(٥)

الحظ مما تعطيكموه زهيد
يعفو وكم تسىء العبيد
لسن فيه فذو البيان بليد
مار فما ان على العذاب جليد

يا عبد الدنيا رويداً فان
وحباء من ربكم فكم السيد
وحذاراً من موقف تخرس إلا
واشتروا هذه النفوس من الذ

ولعل الشاعر العبدى "محمد سعيد الخنizi" أكثر تفاؤلاً من سابقيه، فهو يجد في رحمة الله نوراً يبعد ظلام الحياة وباباً ينجيه من كدرها وأثامها، فيقول : ^(٦)

(٤) نفسه

(٥) ديوانه : ٣٥

(٦) ديوانه شمس بلا أفق : ١٠١ الدار العالمية للطباعة والنشر ط ١٤٠٦

ي بما فيها رحاب	ان تضق يا رب دنيا
مل أفق واكتئاب	و تراءات كظلم اللي
اء كانت لي باب	انما رحمتك السمح
ي على ليلي شهاب	قد أطلت فوق الدنيا

وفي قصيدة ثانية عنوانها (الرجعي) يشير إلى معاني الدين السامية، ودعوته الدائمة إلى، الألفة والجماعة، وما يحققه لأفراده من نعم وشعور بالأمان. يقول (٢٧)

انما الدين جديد ساطع مثل الشهاب
نظم الأفراد في الجمع على مر الزمان
فهم تحت ظلال في نعيم وأمان

ومبادئ الاسلام الداعية إلى السلام والعدل والمساواة اسعدت الناس في دنياهم وأخراهم، وهم يجدون في الصلاة نوراً للقلوب وراحة للنفوس، يقول في قصيده (في ظلال عكاظ) : (٢٨)

س وتزجي الخطى إلى العرفان
وحياة مخصوصرات الجنان
وسواء قاصيهم والدانى
الأخرى نبى بطاعة الرحمن
صلة للمسلم الإنسان

عبد قيس تطل من كوة الأم
فمبادىء الاسلام دنيا سلام
و دساتيره إلى الناس عدل
أسعد الناس في الحياة وفي
فاللتها ليل في المآذن أنوار

ولـ "الخنزي" قصيدة بعنوان (إلى الشباب) وفيها يبحث مشكلة الضياع والحيرة الفكرية التي مرت بالشباب في الستينات من هذا القرن، نتيجة الأفكار المستوردة التي اجتاحت العالم العربي، والشاعر في هذه القصيدة يشخص المشكلة، ويلخص العلاج، حيث يقول داعيا إلى العودة إلى الدين، ومنددا بـ "ماركس" زعيم الشيوعية، وعفلاً زعيم حزب العث، اللذين منيت أفكاري هما بالخيبة والاخفاق على أرض الواقع : (٤٩)

١٤١٤ - مطابع الرضا بالدمام ط ١ ١٥١ - مدينة الدراء : ٢٧)

٢٨) نفسيه ١١٩

١٠٥ (٢٩) نفسه :

حائز الفكر شريد الخاطر
 فهو في موج عتي هادر
 وخطي وسط الظلام العاكر
 بشعارات بريق ساحر
 قد أبادت أمة في حاضر
 تبصروا الدين كفجر سافر
 نظم الحاضر مثل الغابر
 في اشتراكية حزب فاجر

يا شبابا تانها في دربه
 ليس يدرى أين يرسو شاطئنا
 في دروب مدلهمات مشي
 بين أفكار قباح بطنـتـ
 تدعـيـ السـلـمـ ولكنـ سـلـمـهاـ
 ارـفـعـواـ البرـقـعـ عنـ أـبـصـارـكـ
 هوـ فيـ الـسـمـالـ نـظـامـ عـادـلـ
 أـينـ مـنـهـ مـارـكـسـ أوـ عـلـقـ

وفي قصيدة أخرى بعنوان (إلى قلعة القطيف) يشير الشاعر إلى المدارس المهمة
 بعلوم الدين الإسلامي، المستمدة من أضواء الهدى المحمدي. يقول : (٣٠)

كالنهر يجري في الربى الخضراء
 أنواره من هذه الأرجاء
 مثل الشهاب يضيء في الظلماء
 كالجدول الرقراق في الصحراء

منك المدارس نبع فكر دافق
 والعلم ينبع السما تدفقت
 وأفاد فيك العلم بحثا فيما
 قبساته من هدى آل محمد

ويدعو عبد الحميد الخطى ربه أن يظهر قلبه ولسانه من الهوا جس المنكرة،
 والخواطر الآثمة، وأن يجعل وجданه عامرا بالإيمان والتقوى، ويعصم لسانه من قول الشعر
 البعيد عن الحكمة المرشدة إلى نور الله، وحمي الدين القويم : (٣١)

عن خاطر نكر وعن بهتان
 اضرم به نار الهوى الروحاني
 واعمره بالتقوى وبالإيمان
 تهدي المضل إلى حمى الرحمن

يا رب أنزه خاطري ولساني
 وامسح فؤادي عن غرام آثم
 واجعل فؤادي يا الهي معبدا
 واحم القريض على الا حكمة

(٣٠) المصدر السابق : ٤٩
(٣١) سعود الفرج : شعراء مبدعون : ٧٧

الفَصِيلُ الْثَالِثُ

خَاصَّيْرُ حَكْمَةِ عَبْدِ الْقَبْسِ

أولاً

القطعة الحكمية

لعلنا لا نبالغ اذا فلنا أن أكثر شعراء عبد القيس استعملوا حكمتهم في شكل مقطعات، وبخاصة ما كان قد يداه من هذه الحكم، وما انتجوه في العصر الجاهلي، والاسلامي، والأموي، وبداية العصر العباسي. ويمكن تعليل مجيء الحكم بكثرة في شكل مقطعه، بأن أكثر حكمتهم كانت ثمرة التجربة الذاتية، ويتسم عرضهم لخلاصة تجاربهم الذاتية بالإيجاز الشديد. فكل حكمة مستبطة من تجاربهم يعرضها الشاعر في أقل عدد من الكلمات، وبأكبر قدر من التركيز، امعانا في الوصول إلى أعلى قدر من التأثير الوجданى، بأقل عدد من الحروف والكلمات. ^(١)

فالحكمة عندهم هي خلاصة تجربة انسانية تصاغ في الشعر بشكل خاص يتسم بالإيجاز الشديد، مع دقة التعبير وشموله لمضمون التجربة، وهي أشبه بسهام تصوب بدقة إلى أهدافها يطلقها الشاعر من جعبته التي لا تنفذ سهامها ^(٢)، كما نرى في قول جمال العبدى يدعو إلى مقابلة الأمور الصعبة المخيفة بالقوة والشدة، إلى أن تلين وتتيسر، ويستمد دعوته من خلال تجربته الناجحة يقول : ^(٣)

فأصعب به حتى تذل مراكبه	اذا خفت في أمر عليك صعوبة
فكان بحمد الله خيرا عواقبه	وامر على مكروهه قد ركبته

وقد حاول بعض الدارسين أن يربط بين المقطوعة ودرجة الانفعال، وبين المقطوعة والغرض التي قيلت فيه، فالشعر اذا قيل وقت الانفعال النفسي فإنه يكون في صورة أبيات قصيرة، وعندما يتناول خبرا أو يروي حادثة مختصرة أو يقول حكمة فإنه يكون أقرب إلى الإيجاز والقصر، وعندما يريد أن يبرهن على مقدراته الشعرية يعمد إلى التفريح والاطالة. ^(٤)

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي ٣٦/١ - مكتبة الطليعة بأسيوط
 (٢) نفسه : ٣٢

(٣) البحتري : الحماسة : ٤٠
 (٤) أنيس ابراهيم : موسيقى الشعر : ١٧٧

ومن الاحتمالات القائمة في أمر هذه المقطوعات كذلك عدم وجود شعر غزلي عند العبديين باستثناء غزل المتنب، والمعروف أن الغزل كان يحتل مقدمة القصيدة الجاهلية التي كانت تستغرق جزءاً كبيراً منها في حالات كثيرة وتنقلها من شكل المقطوعة إلى صورة القصيدة .

ومن تلك الاحتمالات أيضاً في المقطوعة الحكمية حياة فرسان الحرب في عبد القيس فسرعة القتال تستدعي سرعة القول وإيصال المعلومات بأوجز عبارة وأقصر طريق، فالجمل العبدى يتحدث عن شجاعته وقومه امام أعدائه فيعلن أن السيف والرمح صديقان له يشهدان بطولاته ويعينانه على صولاته الحربية، وأعداؤه لابد مهزومون اذا سدد طعنه رمحه إلى صدورهم وضربة سيفه في رقبتهم. ^(٥)

أني شجاع فما دلاني الأسد بباس ذكري فلا يبقي لهم مدد	السيف والرمح لي خذنان قد شهدا اذا شددت على قوم هزمتهم
--	--

والصبر والشجاعة توأمان لا ينفصلان، وإذا رزق الماء بهما، وصارا خلقا فيه، لم يز عجه شيء ووفر لنفسه العزة والكرامة، يقول جمال العبدى أيضاً : ^(٦)

والصبر مني على ما نابني خلق به الصروف اذا ما أخلق الفرق	لا النائبات لهذا الدهر تقليقي ان الكريم صبور كيما انصرفت
--	---

ويتبع هذا الاحتمال أن بعضاً من حكمهم كان مرتجلاً، وما كان وليد لحظته ومناسبته حررياً بأن يكون قصيراً، فهذا أبو هفان - مثلاً - يستقبله في الطريق أحمد بن ثوابه، وكان الشاعر على حمار، فيقول له أحمد يا أبو هفان تركب حمير الكرا، فيجبه أبو هفان بهذه المقطوعة القصيرة المؤلفة من بيتين : ^(٧)

لقلة من يُعترى قد غيبوا في الثرى	ركبت حمير الكرا لأن ذوي المكرمات
-------------------------------------	-------------------------------------

(٥) عبد الحميد العيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ٢١٦، رسالة ماجستير بآداب القاهرة

(٦) البحترى، الحماسة ١٢٨

(٧) أبو هفان : أخبار أبي نواس، تحقيق عبد الستار فراج، مقدمة المحقق ص ١١ - دار مصر للطباعة

وقد أضافت المرأة إلى هذا الرصيد عدداً من المقطوعات، والمعروف أن المرأة عموماً ليست من أصحاب المطولات الشعرية. وقد وردت بعض حكمهم في صورة وصايا خلقيه وتوجيهات تربوية، ومن شأنها أن تكون واضحة ومركزه تركيزاً شديداً، على الرغم من أنها تصاغ في إطار نصائح فردية إلا أنها تأخذ طابع التعبير عن الجماعة، لأنها تجارب تعالج أموراً عامة.^(١) فهذه امرأة من صباح توصي ابنتها ليلة زواجهما بهذه الوصية الموجزة.^(٨)

تغريه بالشر اذا ما أقبل
محقراً ثم يكون معضلاً
فظهوره من أمره ما جهلاً
لا تهجر في القول للبعل ولا
فأول الشر يكون جلاً
ولا تبئن عليه نجلاً

ويوصي نفيل بن مره ابنه بحفظ الأمانة بلهجة تدل على اهتمام شديد بها واحساس قوي بعظمها.^(٩)

ولا تأك عنها مدة الدهر ساهياً
فأوف بها ان مت سميت وافياً
بني استمع مني هديت وصاتياً
اذا ما أمرؤ أسدى اليك أمانة

ثم ان موضوع هذه المقطوعات لم تصاغ غالباً في الموضوعات الموروثة من مدح وهجاء وغيرهما، تلك الموضوعات التي استقرت صورها، وتكاملت أجزاؤها، وتماثلت تقاليدها، وإنما صاغوه في موضوعات ذاتية، الأصق اتصالاً بحياتهم، وأدل تعبيراً عن غياباتهم.^(١٠)

ومن تلك الأسباب أن طائفة من حكمهم صدرت عن شعراء غير محترفين فيهم الفقهاء، والمحدثون واللغويون، وغيرهم من لم يكن الشعر وسليتهم التعبيرية الأولى، فعلى سبيل المثال كان أحمد بن المعذل فقيها كبيراً إلا أنه كان يمارس النظم على سبيل التظير أو التلطف أو التخفف، فرويـت له عدة مقطوعات حكمـية صغيرـه وشعرـ في أخيه عبد الصمد الذي لم تكن صلته به على ما يرام. وما رويـ له من ذلك قوله^(١١)

(٨) الوشاء: الفاضل في صفة الأدب الكامل ٩٠/٢ منشورات وزارة الاعلام العراقية

(٩) البختري لـ الحماسة ٧٤

(١٠) حسين عطوان: شعر الصعاليك في العصر الأموي ١٥١ - دار المعارف مصر.

(١١) الصفدي: الوفي بالوفيات: ١٨٥/٨.

ظنه أن قد هجاني واجتهد
ما درى أني أخو عبد الصمد

قال لي أنت أخو الكلب وفي
أحمد الله تعالى أنه

ومن أسباب غلبة المقطوعات في الموروث الحكمي لشعر عبد القيس، ضياع قسم كبير منه، يدل على ذلك ما جاء في ديوان الخالديين الذي جمعه د. سامي الدهان، فيه اشارة إلى ذكر قصيدة لأبي بكر الخالدي لم يحصل المحقق الا على أربعة أبيات منها. وهي التي أولها :

فرمانه عرس من الأعراس

أيدت ملك معز دولة هاشم

ومما يتصل بذلك أن بعض المصادر لم تهتم برواية القصيدة بكاملها، بل اقتصرت على قطعة منها، ومن أمثلة ذلك أبيات للصارم الديكيي العبدى رواها الهمام العبدى في خريدة القصر، جاء فيها قوله ساخرا من شاربى الخمر : (١٢)

فتنظر الحمق به ان سقي
الا غلام شائب المفرق
ذو هامة صلقاء كالمطرق
محنك لا يشتكى ما لقى
تواطىء البر الزكي التقى

لا تبذل الخمرة للأحمق
لا يحمل الخمر وسطواتها
مكبرك الذقن عريض الفقا
ابن ثمانين فما فوقها
اذا رأى الكف تواطى لها

قال : وهي طويلة مضحكة فيها وصايا وأمثال

وعند ترجمة المرزباني للسلطان العبدى، يقول : قوله القصيدة التي يوصى بها ابنه، وهي طويلة حسنة كثيرة الأمثال منها : (١٣)

وأوصيت عمرا ونعم الموصى
كر الغداة ومر العشي

الم تر لقمان أوصي ابنه
أشاب الصغير وأفني الكبير

(١٢) العقاد الأصفهانى : الخريدة : ٢٢٩ - ٧٣٦ و ٧٣٥/٤

(١٣) معجم الشعراء : ٢٢٩ - دار الكتب العلمية - بيروت

أتي بعد ذلك يوم فتني
وحاجة من عاش لا تتقاضي
وتبقى له حاجة ما بقي
اذا ليلة هرأت يومها
نروح ونغدو الحاجتنا
تموت مع المرء حاجاته

وأطول ما وقفنا عليه من هذه القصيدة ما نجده في كتاب الشعر والشعراء، حيث بلغت في هذا الكتاب اثني عشر بيتا، بعضها أضافه المحقق من كتابي خزانة الأدب ومعاهد التصصص. (١٤)

ولا شك في أن نظام المقطعة ساعد في شيوع الحكم، لقرب مأخذها وسهولة تناولها ويسر نظمها. وقد اختلفت مقطعياتهم في مضمونها كما اختلفت في شكلها، فمن حيث المضمون فقد شملت كل خواطيرهم، وخطراتهم الفلسفية إلا أن فكرة الحياة والموت احتلت حيزا أكبر من اهتمامهم ومساحة أوسع من تفكيرهم، ولا سيما شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، وهم الذين عاشوا في البحرين بحدودها القديمة، وهذه البيئة كانت معروفة منذ القدم بخصبها وثرواتها الزراعية والبحرية والتجارية. ولعل في هذا العامل البيئي ما يفسر الوقفات الطويلة لهؤلاء الشعراء عند مسألة الموت، فان من شأن البيئة الخصبة الثرية أن تزرع في نفوس سكانها التعليق الشديد بالحياة وحب البقاء للتمتع بنعيم الحياة والاستمتع بخيرات البيئة، فليس كثرة الحديث عن الموت كرها منهم للحياة ورغبة في التخلص منها، بل على العكس من ذلك، فان هاجس القلق من الموت والخوف من نزوله بهم هو الذي يدفعهم إلى ذكره وتصوير سلطانه القاهر لكل الأحياء، يقول أحدهم (١٥):

على كل ما تحوي البلاد من الأنس
ل كنت جديراً أن أخاف على نفسي
الم ترأن الدهر يأتي بصرفه
ولو لم يمت ممن نري غير واحد

ثم أن حياتهم الهاينة الرخيه أتاحت لهم فرصة أكبر للتأمل والنظر في هذه القضية بعين التبصر والاعتبار للحد من غطرسة المال وسرف الترف، وهذا ماثل فيما مر بنا من أشعارهم، رأيناهم في قول أحدهم :

(١٤) ابن قتيبة : ٥٠٠/١ - دار المعارف - مصر

(١٥) البحترى : الحمسة : ١٠

يا أيها المحتقى بالدهر يمدحه

لا تأمن فسادا بعد اصلاح

ويقول الآخر :

إذا أعجبتك الدهر حال من أمري

فدعه ووكل حاله والليالي

والفساد والصلاح مصطلحان يقابلان الفناء والدوام، ويدلان على التطور العقلي لديهم. فهم اذن حين يذكرون الموت فانما يذكرون على سبيل العظه، فهدفهم من ذلك أخلاقي، وهو عدم البطر وال الكبر والغفلة، ولا يتعارض بحال مع حبهم للحياة. فحتى الذين شاخوا منهم لم نسمع منهم ما يشير إلى ضيقهم بالحياة وتأففهم منها رغم علو سنهم وشيخوختهم، فعمرو بن ثعلبة العبدى عاش مائتى سنة، وقال في ذلك حين كبر وهان على أهله ما يفيد دفاعه عن حياته في هذه المرحلة المتأخرة من العمر. يقول : ^(١٦)

شيبي ففيها جنف واذورار
فليس بالشيب على المرء عار

تهزأت عرسى واستتكرت
لاتكثري هزءا ولا تعجبى

وسويد بن خذاق العبدى عاش أيضا مائتى عام، ومع ذلك لم يبد تأفهه من الحياة مع أنه بلغ من الكبر عتيا. ورمي الدهر كل عضو منه بسهم على حد قوله : ^(١٧)

رمي الدهر مني كل عضو بأهز عا
فتاةبني من كان أزمان تبعا

كبرت وطال العمر حتى كأنما
غنم بعيري شيخ من سئلت به

وقد تحدثوا في مقطعاهم عن الدهر، وهو عند القسم الأكبر من كأن يقول به العرب هو القدر، وهو لا يتعارض مع ايمان هذه الجماعة سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين، وفهم، الدهر على هذا النحو شائع في الشعر الجاهلي، فالدهر هو الزمان المعروف ^(١٨). ويكاد أسماء بن ربيعة يعرفه تعرضا دقينا. يقول : ^(١٩)

(١٦) السجستاني : المعمرون والوصايا ٥٤٢ ، عيسى البابي الحلبي

(١٧) نفسه :

(١٨) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٨٩

(١٩) البحترى : الحماسة ٩٤

الدهر يومان ليل لا خفاء به
لا يبليان ويبلي ما سواهما

وذو حجول ترى أقرانه جددا
من قبلنا أفنينا الأموال والولدا

وهم يرون أن هذه القوة الهائلة للدهر آتية من امتداده واستمراره، فهم لا يرون له حدودا. ولا يتصورون مثل هذه الحدود، وهم يذهبون في معنى امتداد الدهر، إلى غير نهاية حين يذكرون تقسيمات الزمن، ويعبرون عن ذلك بعبارات موجزة.^(٢٠) يقول أحدهم:^(٢١)

لنا غنم مقصورة ولنا بقر
و من حولة الأيام والدهر أنتا

ولهذا الرأي في الدهر تظلموا منه، وهم ينسبون إلى الدهر عامة ما يكرهون من فرقة أو فقر أو موت، يقول توبية بن المضرس:^(٢٢)

فلم يبق إلا واحد منهم شفر
رأت أخوتي بعد اختلاف تفرقوا
على الدهر فيهم أن يفرقهم نذر
تقسمهم ريب المنون كأنما

ويبدو أن الشاعر العبدي الجاهلي أصح من سواه نظرة إلى الأجل، وحين نقارن بين قول زهير بن أبي سلمي:

تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

و بين قول الشاعر العبدي:^(٢٣)

مع العصم دوني صخرها وجنودها
لو كنت في أعلى عمایة يافعا
يحيث بهما هاد إلى بقودها
اذن لأنتنى حيث كنت منيتي

نجد زهيراً يجعل المنية ناقة عمياء تميت من تخطبه بشكل عشوائي دون قصد أو تحديد، بينما الآخر يجعل لناقة المنية قائداً يوجهها إلى من تريد أن تخطبه، وهذا التصور أقرب إلى التفكير الديني الصحيح.

(٢٠) مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي: ٤٩ و ٩٥.

(٢١) أو عبيده: مجلز القرآن ٢٣/١

(٢٢) أسماء بن منقد: المنازل والديار: ٤٥١

(٢٣) البحترى: الحماسة: ١٠٠

يقول د. المعيني : (وشعراء عبد القيس لم يتعمقوا في نظرتهم إلى الحياة والموت ولم يفلسروا لنا آراءهم وعقائدهم، وإنما اكتفوا بذكر الموت والحديث عن الدهر) ^(٢٤). ولكن هذه النظرة إلى الموت لدى الشعراء الجاهليين لم تكن ساذجة ولا وليدة الاستجابة الغريزية بقول د. عبد الرحمن بدوبي (والشعور بمشكلة الموت لا يتحقق لدى الإنسان إلا عندما يشعر بشخصيته وذاته المستقلة عن الآخرين شعوراً قوياً، طالما أن الموت هو قضية شخصية صرفه بالنسبة له من حيث، أنيته ولهذا نجد أنه كلما كان الشعور بالشخصية أقوى وأرجح كان الإنسان أقدر على ادراك الموت، وبالتالي على أن يكون الموت عنده مشكلة، ولهذا أيضاً لا يمكن أن يكون مشكلة بالنسبة إلى من يكون ضعيف الشعور بالشخصية، والنتيجة لهذا هي أن البدائي والساذح نظراً إلى ضعف شعورهما بالشخصية لا يمكن أن يصير الموت بالنسبة لهما مشكلة، واللحظة التي يبدأ فيها الموت بأن يكون مشكلة بالنسبة إلى إنسان ما، هي اللحظة التي تؤذن بأن هذا الإنسان قد بلغ درجة قوية من الشعور بالشخصية. وبالتالي قد بدأ يتحضر. ولهذا نجد أن التفكير في الموت يقترن به دائماً ميلاد حضارة جديدة، فان ما يصدق على روح الأفراد يصدق كذلك على روح الحضارات) ^(٢٥).

ومن الحق أن هذه الأفكار لم تأخذ عند الشاعر الجاهلي شكل المعتقد المؤسس على ادراك حقيقي لمعنى الحياة، وما بعد الحياة من حساب وعقاب، فالشاعر الجاهلي لم ينفذ في أغلب الأحوال إلى هذه الحقيقة، ولم يكشف في معظم شعره عن إيمان بما بعد الموت من بعث ونشور وحساب وعقاب، فهذا لم يظهر بشكل صريح ومبادر عند الشاعر الجاهلي، لسبب بسيط وهو أنه لم يكن لديه معتقد ديني ينير له طريق الهدى والفلاح بمقتضى شريعة سماوية منزلة تنظم له أفكاره ومشاعره الدينية بشكل متكامل يوضح له حقيقة الخلق والخالق عز وجل، ومن ثم جاءت أفكاره عن الحياة الدنيا منطلقة من وحي تجاربه وتجارب قومه الذاتية ^(٢٦). وإذا كانت مسألة الحياة والموت قد أخذت من شعراء عبد القيس الجاهليين جل تفكيرهم، فليس معنى ذلك أنهم لم يتعرضوا في مقطعاتهم لأمور أخرى. فقد شغلت مسألة الأخلاق والسلوك جانباً من اهتمامهم، فعبروا عنها في شعرهم تعبيراً يدل على قدر كبير من التهذيب والتحضر، فهذا عمرو بن أسوأ العبد يتحدث عن آداب الرفقة وأخلاقيات الصحابة، فهو وفي لصديقه لا ينساه أبد الدهر ولا ينسى واجباته نحوه وهو يبره بلا من ويكرم رفقة، مما يشير إلى اعلانه لمكانة الصديق وتأديبه بأداب التعامل. يقول: ^(٢٧)

(٢٤) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ١٩١/١

(٢٥) انظر لعبد الرحمن بدوبي : الموت والعيقية ص ٨، ٧

(٢٦) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي ٥٠/١

(٢٧) البحترى : الحماسة ٦٧

وما أنا بالناسي الخليل ولا الذي
ولست بمنان على ما أوده

ولا غرو أن نجد لشاعر عبدي مثل هذا التقدير للصداقة، فقد قام توبه بن المضرس
العبدي بقتل خاله ثارا الصديقه معتذرا لأمه بقوله : (٢٨)

دما من أخيها في المهند باقيا
خليلي الذي كان الخليل المصافيا
بكت جزعا أمي رميلة أن رأت
فقلت لها لا تجزعي ان طارقا

وأغلب مواعظ شعراء الجاهلية تستند إلى نظرة جبرية متشائمة، يفسرون بها أغلب
مشاكلهم، وظواهر الحياة التي تستوقفهم. ونجد في شعر عبد القيس الجاهلي أثرا بهذه
النظرة، فهم أحيانا يربطون ربطا كاملا بين حالة الانسان المادية وبين الحظ الذي وجد معه
من غير حول له ولا قوة. يقول سعيد بن خذاق : (٢٩)

وليس الغني والفقر من حيلة الفتى
ولكن أحاظ قسمت وجدود

وبهذه الجبرية علوا اختلاف الأفراد في أخلاقهم، فمنهم من يزعم أنها طبيعة راسخة لا
يمكن أن تتبدل، يقول الممزق العبدي (٣٠)

لثيم ولن يستطيعه متكرم
زلال وماء البحر يلفظه الفم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه
كما أن ماء المزن ما ذيق سانع
ومنهم من يردها إلى الارث والقسمة. يقول الأعور الشنني : (٣١)

ووجدت أبي قد أورثه أبوه
خلافا قد تعدد من المعالى
غير أن الشاعر العبدي لم ينظر إلى الظلم الذي ينزله به سواه على أنه قدر محظوم،
ولذلك نراه يرفض هذا الظلم ولا يقر به. يقول مسلم بن عياض : (٣٢)

(٢٨) عز الدين السيد : التكثير بين المثير والتأثير ١٦٩ - دار الطباعة المحمدية بالأزهر

(٢٩) المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٦٠ / ٢

(٣٠) نفسه : ٣٢ / ٢

(٣١) القالي : الأمالى ٢٠٨ / ٢ دار الفكر - بيروت

(٣٢) ابن حجر : الاصابة ٤١٧ / ١١

بني عمنا لا تظلمونا فإننا

إذا ما ظلمنا لا نقر لظالمما

وقد جاء الخير والشر بمعناهما الأخلاقي في الشعر الجاهلي، وهذا المعنى تابع للمعنى المادي، فالخير بالمعنى الخلقي هو صنع ما ينفع الناس ويسعدهم، فالقول بأن شيئاً خيراً من آخر يعني وجود مقياس أو مثلاً أعلى يرجع إليه القائل (٣٣)، يقول المتنقب العبدى : (٣٤)

و ليس أخونا عند شر يخافه ولا عند خيران رجاه بواحد

والشاعر العبدى رغم قربه من الحياة المدنية منذ الجahلية إلا أن منطق العصر الجاهلي الموجل في الصراحة ظل يسيطر عليه، فهو لا يعرف المجاملة والنفاق كما عرفها في العصور التالية، فان أحب أظهر حبه وان كره أعلن كراهيته، ويقدم المتنقب العبدى مثلاً لهذا في هذه الصورة الحسية الحادة للعداء العميق المتبادل بينه وبين أبي رباح، فلو ذبحا على حجر واحد لاقت دماً هما، ولم يختلط ببعضهما ببعض من شدة الشنان، يقول مشيراً إلى البادى منهمما في هذا العداء السافر : (٣٥)

على طول التهاجر منذ حين	لعمرك اتنى وأبا رباح
يرانى دونه وأراه دوني	ليبغضنى وأبغضه وأيضاً
جرى الدميان بالخبر اليقين	فلو أنا على حجر ذبحنا

ويزعم بعض العرب أن دم المتابغضين لا يمتزج، وأن دم الجبان يجمد، ودم الشجاع يسيل . (*)

(٣٣) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٥

(٣٤) بيواته : ٢٦٨

(٣٥) بيواته : ٢٨١، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ١٨٣/١

(*) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣٨١/١ - تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر.

ولعل القول بأن العربي الجاهلي كان مواطناً في قبيلة أكثر من مواطنته في بلده صحيح إلى حد كبير، والذي يبدو أن أباً رياح هذا لم يكن من نفس قبيلة المتقد المعرف بحبه للمسالمة والاصلاح، ولعل العداء بينهما يرتبط بأمر غير شخصي، مع أن الشاعر لم يكن البادي بهذه العداوة، كما يتضح من أبياته. على أن الشاعر الجاهلي مهما كان عنيفاً في عواطفه، فإنه كان يحاول دائمًا اخضاع انفعالاته لشعوره القبلي، ويحرص على كسب كل فرد في القبيلة، وإن لم يكن في دخلته راضياً عن أخلاقه، لحاجة القبيلة إلى تراص الجميع أمام العدو الأجنبي المشترك، يقول النعمان بن خلف : (٣٦)

لعدوة عريض من القوم جانب
اذا لم تهارشها كلاب الاقارب
و اني لاستبقي امرؤ السوعدة
اخاف كلاب الأبعدين و هرشنها

يقول د. مصطفى عبد اللطيف : وبعد فان ما وقنا عليه من أفكار الجاهلي في شئون حياته لا يصور فلسفة ناضجة تفسر هذه الحياة له، ولكنه لا يصور الجاهلي سانجا يعيش بالغريزة والاستجابة المباشرة للظروف والأحداث، فقد رأينا في الشعر الجاهلي أصياء متنوعة للضمير الديني. ورأينا فيه موقفا من الحياة يرسم لها خطة لاهية أو خلقية مثالية، ورأينا فيه آراء في الناس، وتأملات في الأخلاق وتفكيرا في القدر، ومفاهيم عالية من العدالة والحق والخير. (٣٧)

وقد تعددت الموضوعات التي طرقتها شعراء عبد القيس الإسلاميون في مقطوعاتهم وعكست جوانب من شخصياتهم الفكرية والخلقية والنفسية. ويتمدح ابن المقرب العيوني بخالقى السخاء والتعفف وعزّة النفس. يقول (*)

اثری زمانا فلم یذممه سائله وقل مala فلم پضرع ولم پسل

٢٤٩ (٣٦) البحترى : الحماسة :

(٣٧) الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ٢٨١

٣٨٠ : دیوانه (*)

ويكشف الهم العبدى عن ثلاث من مناقبه الرفيعة، كالحياء والأمانة والوفاء، فهو غضيض البصر عن العورات، كتوم للأسرار، دائم المحافظة على حقوق الصداقة ورعاية عهودها. يقول :

الدار إذا ما دخلتها لصديق
صونى وسرى ولا أخون رفيقى
شيمتى أن أغض طرفى فى
وأصون الحديث أودعه

وتحوا في كثير من مقطعاهم على الحزم والاقدام، ومن ذلك دعوة الصلطان العبدى إلى مواجهة الأمور بالحزم والقوة، ويغلو في ذلك حين يدعوا إلى الظلم في سبيل الانتقام، وهو في هذا الغلو يصدر عن خلق جاهلي على الرغم من أنه يعيش في العصر الاسلامي.
(٣٨) يقول :

حتى تكون الأحزما
الأوتار حتى تظلمها
اغش الأمور بحزمها
واظلم فلست بمدرك

وتناول بعضها أدب العلاقة وتأكيد التمسك بالحبيب، والبقاء على وصاله والثبات على مودته، يقول أبو بكر الخالدي : (٣٩)

ولو تمنت من صبري ومن جلدي
والعين عين عليه آخر الأبد
لا تحسروا أنني بساغ بكم بدلا
قلبي رقيب على قلبي لكم أبدا

وجاء بعض منها متضمنا شيئاً من الخطارات الفلسفية. يقول أبو بكر الخالدي، يصور المفارقة العجيبة في حاله مع الحياة (٤٠)

ومن جورها على وصبري
أياماًها وتخرب عمري
يا خليلي من عذيري من الدنيا
عجبًا أنني أنا فس في عمران

(٣٨) القنطي : انباه الرواه ٢٤٠/٢ - دار الفكر العربي بالقاهرة

(٣٩) مجمع الحكم والأمثال : ١٠١

(٤٠) ديوان الخالدين : ٦١

وتتناول بعضهم اثر الكلمة في تحقيق النجاح، ودلالة اللسان على عقل صاحبه، يقول الأعور الشنني : (٤١)

اذا هو ابدي ما يقول من الفم
زيادته او نقصه في التكلم
فلم يبق الا صوره اللحم والدم

الم ترى مفتاح الأمور لسانه
و كان ترى من صاحب لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

كما نهي بعضهم عن التسرى بالاماء، لما في ذلك من تأثير سلبي على الانجذاب، يقول عمر بن مبرد : (٤٢)

على خيلكم يوم الرهان فتدركوا
وتخر ساقاه فما يتحرك
وهذا ابن اخري ظهرها متشرك
إلا ان عرق السوء لابد يدرك

نه يتكلم أن تحملوا هجناكم
فتفتر كفاه ويسقط سوطه
وهل يستوي المرء ان هذا بن حرة
وادركته خالاته فاختزله

وهكذا نجد أن المقطوعة الحكمية شملت العديد من المعاني والموضوعات، وأن كل واحدة منها اتسمت بالوحدة الموضوعية والعضوية. أما المقطوعات الطويلة التي تقترب من القصائد القصار في عدد أبياتها فبعضها احتفظ بالوحدة الموضوعية والعضوية، وبعضها الآخر لم يحتفظ بذلك تماماً. كما نرى في مقطوعة الشاعر العباسي عبد الصمد بن المعتذل التي استهلها بمخاطبة امرأته طالبا منها أن تكف عن لومه على اتفاق ماله في المكارم، محاولا اقناعها وتوجيهها إلى أن ما يقابل به من شكر المعتقين وثنائهم هو أثمن وأفضل الأثمان، وحين يكون هذا الثناء حديث الناس، يكسب أكثر مما بذل، ولكي يكون عطاوه محمودا فإنه لا يكدره بالمن، وما يقدمه في سبيل الخير لا يضيع، وربما لو لم يجد به لذهب سدي. وهو لا يقيم الا في البلد الذي يطمئن فيه. فإذا فقد ذلك، انتقل إلى غيره، فكل بلد يرتاح فيه يعتبره وطنا له، يقول : (٤٣)

(٤١) الجاحظ : البيان والتبيين ١٧٠/١٠ مكتبة الخانجي بالقاهرة

(٤٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦/١٣٠

(٤٣) بيوانه : ١٧٦

أبع جدتي بالمنـ	أعادلـي أقصـري
ء حـمـدا فـعـمـ الثـمـ	ذـرـيـنـيـ أـجـدـ بالـثـرـ
فـكـونـيـ حـدـيـثـاـ حـسـنـ	أـرـيـ النـاسـ أـحـدـوـهـ
وـمـاـ قـدـ مـضـيـ لـمـ يـكـنـ	كـأـنـ لـمـ يـزـلـ مـاـ أـتـيـ
فـكـلـ بـلـادـ وـطـنـ	اـذـاـ وـطـنـ رـابـنـيـ

أما لمقطوعة من حيث الشكل فيتوقف معرفة طولها على معرفة الحد الأدنى للقصيدة، فبعضهم يراه سبعة أبيات وبعضهم عشرة، وبعضهم يراه أكثر من ذلك وقد أخذنا بالرأي الوسط، فاعتبرنا القصيدة، ما بدأت بعشرة أبيات فصاعدا، وما دون ذلك فيسمى قطعة، وقد بلغت مقطوعات عبد القيس تسعين مقطوعة أو أكثر، تراوح عدد أبيات كل منها ما بين بيتين وثمانية أبيات، إلا أن أغلبها جاء في بيتين أو ثلاثة أبيات.

وقد أتت مقطوعات شعراً عبد القيس الحكمية والتأملية في أشكال مختلفة، فأكثرها جاء في صورة الموعظة، متخذة من ذلك عدة ألوان، بعضها رأيـناـهـ فيـ لـوـنـ التـأـسـيـ وـالـاعـتـارـ، كما في الأبيات التي منها :

لا تأمنـنـ فـسـادـاـ بـعـدـ اـصـلـاحـ	يـاـ أـيـهـاـ الـمحـتـفـيـ بـالـدـهـرـ يـمـدـحـهـ
وـمـنـ سـيـوـفـ مـبـاتـيرـ وـأـرـمـاجـ	كـمـ كـانـ عـنـدـ بـنـيـ النـعـمـانـ مـنـ جـنـ

وبعضها رأيـناـهـ فيـ زـيـ الـوـصـيـةـ الـخـاصـةـ، كـوـصـيـةـ الـمـرـأـةـ الصـبـاحـيـةـ لـابـنـتـهاـ الـتـيـ أـولـهـاـ :

تـغـرـيـهـ بـالـشـرـ اـذـاـ مـاـ أـقـبـلاـ	لـاـ تـهـجـرـيـ فـيـ القـوـلـ لـلـبـلـعـ وـلـاـ
--	---

ورأيـناـ بـعـضـاـ مـنـهـاـ فـيـ شـكـلـ النـصـحـ الـعـامـ، كـمـ فـيـ أـبـيـ بـكـرـ الـخـالـدـيـ الـتـيـ أـولـهـاـ :

بـالـبـيـدـ وـالـظـلـمـاءـ وـالـشـمـسـ	انـ خـانـكـ الدـهـرـ فـكـنـ عـانـدـاـ
--	---------------------------------------

وبـعـضـهـاـ رـأـيـناـهـ فـيـ صـورـةـ مـقـدـمـاتـ قـصـادـ الـفـرـوـسـيـةـ، كـأـبـيـ الـصـلـتـانـ الـعـبـدـيـ الـتـيـ أـولـهـاـ :

قالت أمامه ما تبقى دراهم

وما بنا سرف فيها ولا خرق

ومنها ما وجدناه في شكل معاتبة، كما في قول مسلم بن عياض الذي أوله :

بني عمنا لا تظلمونا فاننا

اذا ما ظلمنا لا نقر لظالمها

ونجد بعضها في صورة شكوى، كقول سعيد الخنizi يشكو في شيخوخته ماضيه
بأماله وتعلاته والألمه وماسيه، يقول : (٤٤)

هذا السنون تكدرت
يبيست بها الأحلا
رسمت على صفحاتها
و مضت شريطاً تعرض الد

نحوه كأوراق الشجر
م وانداحت مأسى للبشر
أحلام شيخ في الصغر
ماضي باللواح الذكر

وورد بعضها في شكل زهادة، كقول حرب بن المنذر بن الجارود، معبراً عن اتجاهه
الأخرمي القائم على القناعة بالحصول على ما يؤمن الحاجات الضرورية لحياته الدنيوية،
والتردد للأخرة بعمل ما يرضي الله ورسوله. يقول (٤٥)

فحسي من الدنيا كفاف يقيمني
و حبي ذوي قربى النبي محمدا

وأثواب كتان أزور بها القبراء
فما سالنا إلا المودة في القربى

وجاء بعضها في صورة دعاء، كقول سعيد الخنizi، مبيناً أثر الایمان في تحقيق
الراحة (٤٦) :

ان تضق يا رب دنيا
وتراعت كظلم اللي
انما رحمتك السما
قد أطلت فوق دنيا

ى بما فيها رحاب
مل أفق واكتئاب
ء كانت لي باب
ي على ليلي شهاب

(٤٤) ديوانه : شمس بلا أفق : ١٣٥

(٤٥) الجاحظ : البيان والتبيين : ٣٦٥/٣

(٤٦) ديوانه (شمس بلا أفق) : ١٠١

وربما أتى شيء منها في صورة فخر، كما في قول محمد سعيد الخنيزي، أيضاً يُفخر بدوره في الحياة كشاعر يمسح دموع المهزونين، بشعره الداعي إلى التفاؤل والصمود.
 يقول :^(٤٧)

بأغانٍ الحياة والأوطان
 فيذيب الآلام في الأفغان
 صورة للحياة في نيسان

أنا يا مي بلبل قد تغنى
 يرسل اللحن والليلي عجاف
 ويعيد الحياة روضة حب

وقد تبدو المقطوعة في شكل الاعتذار عن سوء الحال، كما في قول أبي هفان :^(٤٨)

ثيابي لما أعزتني المأكل
 له حلية من نفسه وهو عاطل

لعمري لئن بيعت في دار غربة
 فما أنا إلا السيف يأكل جفنه

وربما وردت في سياق الهجاء، كما في قول زياد الأعجم يهجو يزيد بن حبناه حين
 حذره من الموت ونسي أن نفسه أحوج ما تكون إلى ذلك التحذير، وان الأولى به أن يستقيم
 ويتمسّك بحبل الدين :^(٤٩)

إلى الموت يغدو وجاهداً ويروح
 وان عاش دهراً في الزمان يسيح
 أخاك وعَظَ نفساً فأنت جنوح
 لأهل التقى والمسلمين يلوح

يُحذري الموت ابن حبناه والفتى
 وكل أمرىء لابد للموت صانر
 فقل ليزيد يا ابن حبناه لا تعظ
 تركت التقى والدين دين محمد

يقول أحد الدارسين معللاً شيوخ المقطوعات في الشعر العربي القديم : يخيل إلى أن
 الزمن الذي مر على الشعراء مكتفين بالمقطوعات أطول من الفترة التي مرت بهم في ظلال
 القصيدة، وأن أكثر شعراء العرب في الجاهلية كانوا من ذوي المقطوعات لا القصائد، لما
 يأتي :

(٤٧) ديوانه مدينة الدراري : ١٥٥

(٤٨) الزمخشري : ربيع الأبرار ٤/٢٥ - وزارة الأوقاف العراقية

(٤٩) ديوانه : ٨١

- ١ - أن السهل أقدم من الصعب، والمقطوعات أسهل، لأنها أقل أبياتاً.
- ٢ - أن المقطوعات أدعى إلى الحفظ، ومن الفخر للشاعر أن يحفظ شعره أكبر عدد من الناس.
- ٣ - ولأن من طبع العرب الإيجاز، شأن بقية الساميين لذا خلا شعرهم من الشعر القصصي أو شعر الملحم، ومن الشعر التمثيلي إلا في أضيق الحدود.
- ٤ - وكأن المثل السائر ملك عليهم أحاسيسهم فأوجزوا، ليكون شعرهم أشبه به. ويؤيد هذا أن عمرو بن العلاء التميمي لما سئل: هل كانت العرب توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها. وما أجاب به أبو المهوس، وقد سئل: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال لم أجد المثل السائر إلا بيتا واحداً. ثم يقول هذا الباحث بعد أن يبين سبب سبق المقطوعات للقصائد: لأن السهل أسبق من الصعب، وأن البسيط أقدم من المركب، وهذا لا يمنع أن الشعراء رأوا بعد كثرة التجارب، وطول التغيم أن للقصار روعة ليست للطوال، وأن من المواقف ما لا يحسمه إلا بيت شرود، أو قطعة مرتجلة، وأن من دواعي خلود الشعر، وحفظه أن يكون قصيراً، لا قصيداً. (٥٠)

(٥٠) عبد العزيز مزروع: الأسس المبكرة لدراسة الأدب الجاهلي ص ٩٦. مطبعة العلوم بمصر ط ١٣٦٩ هـ.

ثانياً

الحكمة في القصيدة المركبة

نعني بالقصائد المركبة تلك التي تجمع بين أكثر من غرض من أغراض الشعر، ويأتي ابن المقرب العيوني على رأس شعراء عبد القيس في هذا الجانب البنائي من حكمتهم، فقد رصع شعرة بماهتي حكمة ووردت فيما يقرب من ستين قصيدة، ولم يكن له منها محدد فيها، فقد ترد في مستهل القصيدة وحينئذ تكون لها دلالتها على الغرض العام للقصيدة، من ذلك قصيده التي مطلعها :^(١)

قم فاشد العيس للترحال معزما
وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

فقد اشتغلت هذه القصيدة الفخرية على مقدمة حكمية طويلة بلغت أربعة وثلاثين بيتا من هذه المطولة التي وصلت إلى مائة وخمسين بيتا. وهذه المقدمة الحماسية الحكمية تعكس منهج الشاعر في سياسة الناس ونظرته المتطرفة نحو بعض الأمور، التي كانت لنشأة الشاعر كأمير، وظلمبني عمه له، وحساسيته المفرطة، أثر واضح في تشكيلها. وفي الأبيات السبعة الأولى من القصيدة يبحث الشاعر نفسه على الرحلة من دار الذل حثا نحس من خلاله الرغبة في تلبية هذا الطلب بأقصى سرعة ممكنة، وهي رغبة معللة بتفاقم الخطب، وبما جلبته للكثيرين من عز وسيادة خضع لها أشد الناس تعنتا واستكبارا، وبما أورثت من وافر النعم مستمدًا من التشبيه الحسي والمثل القديم رافدا لتلك المبررات، يقول :

فالحر يرحل عن ذا الأذى كرما
شوس الرجل وكم قد أورثت نعما
حتفا وساقت إلى ساحاته النقا
فزو الحجا لم يزل يستنبط الحكم
جفناه الا لخوف من حدوث عمي
ولا الدنيا هان الأمر أو عظما

ولا تلفت إلى أهل ولا وطن
كم رحلة وهبت عز اندين له
وكم اقامة مغرور له جلبت
واسمع ولا تلغ ما اتشأت من حكم
لم يبك من رمدت عيناه أو سبلت
ان المنية فاعلم عند ذي حسب

(١) ديوانه : ٥٢٦

وفي الأبيات من الثامن إلى السابع عشر تظهر حساسية الشاعر بصورة أكبر، فهو يرى أن المسلح لا يسلم من أذى الناس، وأن العاجز هو الذي يقبل الضيم، وأن النابه هو الذي يرفض النقيصة بقوه، وأن الدنىء هو الذي لا يشعر بالذل مهما بولغ في اذلاله، وان من رأى الذل عارا لا يرضي بقليله فضلا عن كثيره، لأن العار لا يتجزأ، وأن المجد اذا لم يبن على أساس قوي سهل على الأعداء نقضه. ومن خلال ذلك وبعده يستعين بالبراهين، والصور الحسية لتأييد ما يقول، فالأمور العظام لا يضبطها الاقوي، لأن الضعيف كضعف الطير التي يسهل على الصقر القرم اكلها وتمزيقها، والبيوت لا تقام الا على أعمدة متينة، فالبيت المبني على أعمدة ضعيفة كالخروع والعنم لا يصلحان لمثل ذلك، والسيف هو الكفيل بتحقيق النصر والسودد، والرجل الجدير بالفخر والثناء والخلود هو الذي يملأ سيفه بدماء أعدائه. يقول :

منهم ومن عاث فيهم بالأذى سلما
اذا رأى الشر تغلبي قدره وجما
لو لم يجد غير اطراف القنا عصما
بشفرة الضيم لم يحس لها الما
شرارة منه إلا خالها أطما
بالباس نقره الأعداء فانهدا
ليس البغاث يساوي أجدلا قطما
لا خروعا جعلت يوما ولا عنما
من حكم السييف في أعدائه حكما
للمجد حق له أن يرعن القلما

من سالم الناس لم تسلم مقاتلته
لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
و ذو النباهة لا يرضي بمنقصة
و ذو الدناءة لو مزقت جلده
و من رأى الضيم عارا لم تمر به
و كل مجد اذا لم يبين محتده
لا يضبط الأمر من في عوده خور
و للبيوت سطاعات تقوم بها
ما كل ساع إلى العليا يدركها
من أرعن السييف من هام العدا غضبا

وفي الأبيات من الثامن عشر حتى السادس والعشرين، يواصل الشاعر الإبانة عن آرائه التي لا تخلو من بعض الحساسية، ولكنها تتطوّي على الكثير من الصواب، فهو ينصح بأن لا تستشير إلا الناصح الفاهم، معللا ذلك بتشبيه حسي، وهو أن رائد القوم اذا لم يكن بصيرا بعلامات الطريق التي يهتدى بها الصالحة فلن يمكنهم من الصدور عن الماء لأنهم لن يردوه، وربما ماتوا عطشا، ثم يوضح رأيه في الجود فيري أن اكرام العدو ليس

من الجود في شيء، ويستعين بتشبيه مادي محسوس على ذلك، فالذى يسخو بجل ماله للعدو كالذى يسلم أغنامه للذئب سواء بسواء، ويحذر بشدة عن طريق الكنية من المساس بالشرفاء، ويشير إلى حاجة الرجل إلى قومه للتحرز بهم، متخذًا من تقافته وسيلة تطبيقية للاقناع، فجساس بن مرة قتل كليب بن وائل لأنه اعتدى على ناقة جارته، ولم يحترم جواره، وعمرو بن معد يكرب المشهور بالشجاعة وكذلك هرم بن سنان المشهور بالجود لم يستغنيا عن قومهما رغم ما بلغا من مكانة وقوة، ويدعو إلى حماية الجار، ويحذر الملوك من طاعة النساء والخدم. يقول

لا يصدر القوم من لا يورد العلما
تمسي وتصبح في أعدائه ديما
ابراهيم بك من أغري ومن شتما
كمودع الذئب في برية غنما
وسامها الخسف أدمي كفه ندما
جساس هل كان الا أن حمي فرمى
لو كان في الباس عمرًا والندي هرما
فلن ترى غير جار الذل مهتضما
اطاع في أمره النساء والخدما

لا يطلب الرأي إلا من أخي ثقة
ولا يعد كريما من مواهبه
والبخل خير من الاحسان في نفر
وواضع الجود في أعداء نعمته
من استخف بأرباب العلا سفها
ألا فسل عن كليب كيف جد له
و لا يعز الفتى الا بأسرته
لا ترض بالهون في خل تعاشره
و أخسر الناس سعيًا رب مملكة

ويجنب الشاعر بعد ذلك إلى أسلوب الحوار في تحديد موقفه من التكسب بشعره ورفضه القاطع له، رغم ظروفه المادية الصعبة وبلاغته، مؤكداً أن ما يملكه من سلاح الصبر كفيل بالغلب على كل الأزمات، متأسياً بأمثاله الذين سبقوه، وظلموا كما ظلم، وصبروا كما صبر، ومستنداً إلى رفعة محتده وشرفه الرفيع، يقول :

والمرء قد دربما أخطأ وما علما
والصدق من شيمتي لو أورث البكما
مال ركام وجود يطرد العدما
عيناي بالدمع حتى فاض وانسجما
مدح الرجال فكم جرح قد التما

و قائل قال لي إذ راقيه أدبي
و ذلك بعد سؤال منه عن خبرى
هلا امتدحت رجالا بالعراق لهم
فجاشت النفس غبنا بعد أن شرقت
فقلت كلام و هل مثلي يليق به

يجلو الحوادث مني صارما خذما
صروف أيامه العوساء فانظلما
أن اورد النفس حرضا موردا وحما

اني على حادثات الدهر ذو جلد
ولست أول ذي مجد له ظلمت
يأبى لي الشرف العالى منصبه

ثم يتخلص بعد هذه المقدمة الحكيمية الطويلة إلى الفخر بأسرته وقبيلته ابتداء من البيت الخامس والثلاثين تخلصا لطيفا وملائما، وفيه يقول :

أنا ابن أركان بيت المجد لا كاذبا
والنازلين ذرى العلياء والقما

والحوار إحدى الركائز البارزة التي اعتمد عليها ابن المقرب العبدي في بناء حكمته من خلال قصيده المركبة، وهذا الأسلوب معروف لدى شعراء الجاهلية، وقد أكثر منه شعراء الفتوة في مقدمات قصائد الفروسية، حيث يسجل فيه الشاعر خوف صاحبته عليه من اتلاف نفسه بتعریضها للأخطار، واتلاف ماله بالاسراف والإنفاق، ولكنه يجيبها بعدم الانصياع لملامتها واصراره على المضي في مسلكه الحميد القائم على الاقدام والأريحية، وهو خلق الفتوة النبيل، يقول ابن المقرب :^(٢)

وأقحامي المهالك وافتراضي
وتزعم أنه للفقر داع
رويدك لا شقيت فلن تطاعي
لما تهذى العوادل غير واع

تخوفني ابنة العبدى حتى
 وتعذلني على اتفاق مالى
 فقلت لها وقد أربت وزادت
 أما والأريحية إن سمعي

ويقول أيضا :^(٣)

ودمع الجوى قد جال في الخد جائله
يفوت الثنا من راح والصبر خاذله
فذا الدهر قد أودى وقامت زلازله
بأمنية والرزرق ذو العرش كافله

وقائلة والعيس تحدج للنوى
عليك بصبر واحتساب فإنما
ولا ترم بالأهوال نفسا عزيزة
فكم كربة في غربة ومنية

(٢) المصدر السابق : ٢٦٧

(٣) نفسه : ٣٢٩

أرددتها والصدر جم بلا بله
وعاجله عندي سوء وآجله
يرى الحر فيها الغبن من لا يشاكله
لو أن الفتى أكدي وغثت مأكله
تبكيه قبل الموت فيها ثواكله
وللضيم للعجز الذي لا أزامله

فقلت لها والعين سكري بزفرة
أبالموت مثلي ترهبين وبالنوي
وللموت أحيا من حياة بلدة
وما غربة عن دار ذل بغربة
ورب غريب ناعم وابن بلدة
وان مقامي يابنة القوم للقلى

ويعلق د. الخضيري على هذه الأبيات بقوله : أرأيت كيف كان ابن المقرب محلقا في أسلوبه، موفقا في اختياره موسيقاه الشعرية التي تحكي تحفظه للرحيل وعزمها على السفر، وهو يهديء العيس بحماسة واندفاع وتصميم، وان اشراق اسلوبه في هذه الأبيات لا يظهر في انسجام الأفكار وتسلسل الحوار فحسب، بل يظهر في بعض الجمل التي قد تتضمن بعض جوانب الضعف، فيكسوها بأسلوبه العفوي الصادق ما يجعلها تتناسب مع هذه الأبيات، فان تكراره لحرف الجيم في البيت الأول مداعاة لنقل الكلمات، ولكن الموسيقى الداخلية التي توافرت من الموازنة بين النوي والجوي ومن جناس الاشتراق (جال جائله) مع حسن اختيار هذه الكلمات التي تعبر عن الرحيل وعدم الاستقرار (تجدح، الجوي، جال، جائله) كل ذلك جعلنا لا نحس بتقل الجيم المكررة، كما أضفي على الأسلوب بهاء وحسنا، ومثل ذلك المحسنات البدعية في البيت الرابع فقد تعتبر تكالفا لو لم تصدر عن عفوية وصدق^(٤). وفي مدحه ابن المقرب للأمير الحسين بن مسعود، يبدأ القصيدة التي بلغت خمسة وستين بيتا بثمانية أبيات في الحكمة تدعو كلها إلى استعمال القوة وانها وحدها الكفيلة بتحقيق الأمال، يقول مكررا السيف بوصفه أداة الحرب الأولى خمس مرات:^(٥)

وتحل عقدة كل خطب مشكل
بالسيف حلقة صفقتيه تدخل
بالمشرفية والرماح الذيل
والله والبيض الصوارم فاسأل

بالسيف يفتح كل باب مقل
فاقررع اذا صادفت بابا مرتجأ
و اذا بدت لك حاجة فاستقضها
لا تسألن الناس فضل نوالهم

(٤) على بن المقرب العيوني : ٣٦٤ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١

(٥) ديوانه : ٤١٣

فإذا تلوذ به فامنع معقل
رزق الأسنة فهي أصدق مرسل
ان الرسول يبين عقل المرسل
وسماياك الدنيا غيابة قسطل

فالسيف أكرم مجتدي يمته
وأجعل رسولك ان بعثت إلى العدي
واعلم هديت ولا أخاك جاهلا
وأقعد وأرضك ظهر أجرد سابق

ثم يصل إلى الغرض الأساسي في البيت التاسع وهو المدح فيقول :

كن كابن مسعود حسين في الندي
والباس أو فرعون المكارم فاعدل

ويشرح في الأبيات التالية، ما أوجزه في هذا البيت الذي يرتكز المدح فيه على فكرتين
أساسيتين هما الكرم والشجاعة، وان كانت كفة الثانية ترجح على الأولى لتجسيد معنى
البطولة الذي ينشده الشاعر في ممدوحه، فالعلاقة اذن بين الفرضين الفرعوي وهو الحكمة
والرئيسي وهو المدح علاقة تجانس واتحاد .

وفي قصيدة ابن المقرب الثانية التي يمدح فيها الأمير محمد ابن أبي الحسين، وذلك
وقت ملكه الاحسأء من البحرين، يستفتح الشاعر مدحه بقوله : (١)

منال العلا بالمرهفات القواصب
وسمر العوالى والعنق الشواذب

وتشمل المقدمة الحكمية ثلاثة أبيات من القصيدة ذات السبعة والأربعين بيتاً، ولما
كانت البداية حماسية فقد جاءت مناسبة للغرض الرئيسي وهو المدح، حيث كانت
الشجاعة وما ترتب عليها من بطش بالأعداء وانتصارات ساحقة عليهم قطب رحي
الموضوع، ومن هذه الحكم :

طريق الأغاني واعتنق الحبائب
قليل افتخار في وقوع العوائب
بعيد المدى جم الندى والمواهب

وليس ينال المجد من كان همه
ولا بلغ العلية إلا ابن حرة
جريء على الأعداء من مذاقه

(١) المصدر السابق : ٤٧

ويمدح ابن المقرب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بقصيدة يستهلها بقوله :^(٧)

بسم القنا والمرهفات الصوارم بناء المعالي واقتناء المكارم

وقد بسطت الحكمة الحماسية ظلالها على أكثر من عشرين بيتا في بداية القصيدة التي وصلت إلى خمسة وستين بيتا، وكانت المقدمة جزءا منسجما مع الغرض العام، ومما جاء فيها قوله :

ورفض الدنيا واغترار الجرائم
وخاص به بحر الندى غير واجم
يعش غرضا للذل عيش البهائم
له فيهم فتك الأسود الضراغم

وما الفخر الا الطعن والضرب والندي
ومن طلب العلياء جرد سيفه
ومن لم يلتج بالنفس في كل مبهم
فما انقادت الأشرار الا لغاشم

وفي مرثية ابن المقرب التي رثى فيها صديقه الرئيس الحسن بن عبد الله بن أحمد،
يبدأ قصيدته بقوله :^(٨)

أيدي الحوادث في الأيام والألم أمضى من الذكر الصمصامة الخذم

وقد احتلت المقدمة سبعة أبيات من القصيدة التي بلغت سبعة وأربعين بيتا، و موضوع الحكمة متصل أوثق اتصال بموضوع المرثية العام، فهي تتبه إلى تقلبات الدنيا، وتحذر من الاغترار بها، وتخوف من عواقبها. حتى اذا بلغنا صلب الموضوع وهو الرثاء في قوله :

وانظر إلى حسن في حسن صورته جاءت اليه صروف الدهر من أمم

رأينا الشاعر ينعي في المرثي ما حذر الباقيين منه، وهو حلول مصائب الدهر بساحتها رغم كل القوي التي كانت تحيط به وتقوم بحمايته، كما فصل ذلك في الأبيات اللاحقة، ويمضي في تأبينه، ثم يوجه التعزية لأبي حسن، وهي عبارة عن حكمة، يقول فيها :

(٧) المصدر السابق : ٥١١

(٨) نفسه : ٤٨٣

مفارق وحياة المرء كالحلم
تقاصر العمر أو أدى إلى الهرم

و يا أبا حسن صبرا فكل فتى
و الموت كل امرئ لابد ذاته

فالصلة بين الغرضين - كما قلنا - صلة تلاحم وامتزاج. ولعل ابن المقرب متأثر في مطالعه الحماسية، هذه بالمتibi والشريف الرضي وأبي عثمان الخالدي العبدى .

وفي قصيدة لابن المقرب عاتب فيها الأمير فضل بن محمد، وأوجع فيها باللوم عليه، لأجل جفائه وقطيعته لرحمه، وتضعييف حقوقه التي يستوجبها عليه، واحلائه نواحية، وذكر ما كان جري عليه من جهة ميله اليهم، وضرب فيها الأمثال الموجعة، وأظهر الندم على ما قال فيه من المدح فيه، وانشاده اياته، ورحل لوقته، في هذه القصيدة بدأ الشاعر عتابيته بسبعة أبيات في الحكمة، هي :^(٦)

و هب لصروف الدهر ما أنت واجد
فلا عجبًا إن سالمتك الأبعد
فذا الناس أما حاسد أو معاند
بصاف، فما تعمى عليك الموارد
على ظمأ وانصعت والريق جامد
بيل الصدي منها وتوكي المزاود
بغلتـه والموجـ جـارـ وـراـكـ

تجاف عن العتبـيـ فـماـ الذـنـبـ وـاحـدـ
إـذـاـ خـانـكـ الأـدـنـيـ الـذـيـ أـنـتـ حـزـبـهـ
وـلـاـ تـشـكـ أـحـدـاثـ الـلـيـلـيـ إـلـىـ اـمـرـىـءـ
وـعـدـ عـنـ الـمـاءـ الـذـيـ لـيـسـ وـرـدـهـ
وـكـمـ مـنـهـ طـامـيـ الـنـواـحـيـ وـرـدـتـهـ
فـلـاـ تـحـسـبـ كـلـ الـمـيـاهـ شـرـيـعـهـ
فـكـمـ مـاتـ فـيـ الـبـحـرـ الـمـحـيـطـ أـخـوـ ظـمـاـ

و هذه الأبيات توضح احدى مميزات الشاعر، وهو عرض المعنى الواحد في صور مختلفة، مما يدل على قدرة تخيلية وتعبيرية جيدة، مع صفاء فكرته ومتانة أسلوبه. فهو يتخذ من التشبيهات وسيلة من وسائل الاقناع، وهو يستمدّها هنا من العنصر الحسي الضروري الذي لا يستغنى عنه أي إنسان بل أي مخلوق من الكائنات الحية، إلا وهو الماء، ويوجّل في استعمال المشبه به والحديث عنه ايجالاً يعكس مشاعر الشاعر المتالمة وخلجاته النفسية المعذبة، وتساميه على الآلام والمواجع، فهو قادر على الصبر على

٦) المصدر السابق : ١٤٠

العطش، إذا لم يكن الماء الذي أمامه نقياً صافياً، حتى لو أفضي به ذلك الظماً إلى الموت، لأن الماء الملوث مع صعوبة تجراه مميت أيضاً، كذلك من يقيم مع حاسد وبغض فانه يلقي نفس المصير. وابن المقرب في هذه الأبيات يخالف رأي بشار في قوله :

ظمنت وأي الناس تصفو مشاربه
مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
فععش واحداً أوصل أخاك فانه

وقد جاءت المقدمة ممهدة للموضوع العام لهذه المعاتبه التي بلغت ثلاثة وسبعين بيتاً. أما القصائد الأخرى لابن المقرب فقد وردت حكمه في ثناياها، وهذا ما نجده في كثير من قصائده. وفي قصidته التي بلغت سبعة وخمسين بيتاً يعاتب فيها، ويذكر الخمول، ويشكو قلة المال، وكثرة الأعداء، ويفخر في آخرها بمنصبه ونسبه، ومطلعها : (١٠)

لا أرى النوم على شوك القتاد

خلياني من وطاء ووساد

تتاثر الحكمة في انتهاء القصيدة ومجموعها عشرون بيتاً، منها قوله :

فهو بحر ليس يروي منه صاد
لا يلام المرء بعد الاجتهداد
بمسير أو طعن أو جلاد
ليس عيش الذل يوماً من مرادي
ناتلي يرجي ولا يخشى عنادي
لا وجري الماء رزقاً للعبداد
فلعمرى إن قلبي في طرداد
وهو في اطراقه حية واد
لست من دون شبيب ومصاد
باللدان السمر والبيض الحداد

واتركاني من أباطيل المنى
وابذلا في العز مجهد كما
إنما تدرك غaiات المنى
جئت يا موت فان شئت فذر
لا حياتي تمنع الجار ولا
أحذار الموت أبقي هكذا
أن ترى شخصي لأمر ساكنا
رب ذي هم تراه مطرقا
ان يكن عزاً وإلا فردى
لا يطيب العز ما لم تجنه

وقد كانت هذه الحكم متجانسة مع الجو العام للقصيدة، ومساعدة في تحقيق أهدافها، ومقدمة الحجج والبراهين على صحة توجهات الشاعر، وما ينشده من شحذ الهمة لبلوغ ما يريد. وفي عتابية ابن المقرب الممزوجة بالفخر، وعدها خمسة وأربعون بيتاً أولها : (١١)

أمير لا تتكرري حلي ومرتحلي
ان الفتى لم يزل كلا على الأبل

نجد الحكمة في القصيدة تحت الشطر الثاني من بعض أبياتها، التي تدور حول العتاب، كما في قوله :

وليس يبدو فرند السيف في الحل
لا بارك الله في ود على دخل
فنهلة الطرف مجرزة عن العلل
البعد آنس من قرب على دخل
فاستبدلوا الآن مني شر ما بدل
لا خير في آدم يطوي على نغل
كما تزان بيوت الشعر بالمثل

تكلفوني مقاماً بين أظهركم
وكلما زاد نصحي زاد عليكم
ان أترك العود في أمر اغتنائكم
لا تحسبوا أن بعد الدار أو حشني
لقد تبدل منكم خير ما بدل
شر الأخلاء من تسرى عقاربه
يزان ناديكم يوم الخصم به

كما سلك ابن المقرب الطريقة ذاتها في قصيدة شكر للأمير مقدم بن ماجد وقد بدأها بالعتاب الشديد لأهل وطنه البحرين، مستهلاً ذلك بقوله: (١٢)

ببني فما أنت من جدى من ولعبي
مالي بشيء سوى العلياء من أرب

حيث نجد الشاعر يركز حكمته في الأسطار الثانية من بعض أبيات القصيدة التي وصل عددها إلى سبعة وسبعين بيتاً، كما نرى في قوله :

ما بين حر وبين الدار من نسب
ما كل دار مناخ الويل والحرب
الترب ترب وفيه منت الذهب

في كل أرض اذا يممتها وطن
لي عن ديار الأذى والهول متسع
لا تنس بوني إلى منشأي بينكم

(١١) المصدر السابق : ٣٧٨
(١٢) نفسه : ٧٤

فإنما راحة الأبدان في التعب
الذئب من طبعه أن يقتدر يثب
ذو اللب يكسر فرع النبع بالقرب
فربما جاء أمر غير محتب
فالملك ليس بثبات على اللعب
فكم غدى يومه غاد فلم يؤب

تقول لي هممي خل المقام وقم
لا تركن إلى من لا وفاء له
ولا تكون لذوي الألباب محترقا
واحسب لشر العدي من قبل موقعه
وغير علي الملك من لعب الرجال به
واحذر تؤخر فعلا صالح لغد

يقول الخضيري : أن أسلوب ابن المقرب في كثير من أبيات حكمته هو امتزاجها بالشكوى والتحسر ، واقتراها باعلان الرحيل والبعد عن منازل المذلة والصغراء ، حيث تجتمع هذه المعانى غالبا في عدة أبيات تشكل في مجموعها الشكوى مع الحكمة . فقد يجمع الشاعر هذين الغرضين في بيت واحد فيجعل الشطر الأول بيانا لحاله مظهرا فيه الشكوى و يجعل من الشطر الثاني حكمة مستقلة بذاتها لو فصلت عن الشطر الأول ، كأنه يقدم السبب أو البرهان ليثبت به حكمته .^(١٣)

وربما نهج ابن المقرب منهج زهير في بناء حكمته على الشرط الذي يحرك الخيال
لغاية تتمثل في الجواب ، كما في قوله :^(١٤)

يعش عرضا للذل عيش البهائم
تُقدَّ نحوه عوج البُرُى والشكائم

ومن لم يلتج بالنفس في كل مبهم
ومن لم يقدها ضامرات إلى العدا

أما من ناحية المعانى ، فعلى الرغم من أن أكثرها مسبوقة ، الا أن ابن المقرب استطاع أن يسكبها في قالب جعلها تبدو وكأنها جديدة ، فقد أعطت تجربته هذه المعانى عمقا أكبر ، ومكنته من أن يعبر عنها بحرارة أكثر ، - فمثلا - تطرق الشعراء القدماء إلى هوان قدر الفقير بين قومه ، وأكثروا من الحديث عن ذلك ، إلا أن ابن المقرب ربط حديثه في هذا المعنى بالدعوة إلى السعي الجاد في سبيل الغنى ، وصور ذلك في صور مختلفة تحمل البراهين الحسية والأدلة الحية على صحة ما يدعو إليه ، كما نري في قوله :^(١٥)

(١٣) علي بن المقرب : ٢٥٦

(١٤) ديوانه : ٥١٣

(١٥) نفسه : ٥٤

رمته عداه وأجنوته أقاربه
يمر عليه الدهر والفقير صاحبه
أفاد الغني بالمركب الصعب راكبه
عن الغمد لو كانت حداداً مضاربه
فإن حراماً أن تدمي مخالفه
عن النقص لاستعلت عليه كواكبه

إذا المرء لم يملك من المال ثروة
ومن يجعل العجز المطيبة لم يزيل
فقم واركب الأحوال جداً فطالما
فما يقطع الصمصام إلا إذا انتهي
وما دام ليث الغاب في الغاب كامنا
كذا البدر لولا سيره وانتقاله

وقد تأثر ابن المقرب ببعض سابقيه من الشعراء، وكان أقرب اليه منهم المتتبى الذي
تأثر به كثيراً في أسلوبه ومنهجه وتفوقه في حسن التخلص ومعانيه، ومن شواهد ذلك
قوله:

لئيم اذا ما نال شيئاً تمرداً

وأشقي بنى الدنيا كريماً يسوسه

فهذا البيت يذكر في الحال بقول المتتبى المشهور :

وان أنت أكرمت اللئيم تمرداً

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

ومن ذلك أيضاً قوله :

بشرفة الضيم لم يحسس لها ألمًا

و ذو الدناءة لو مزقت جلته

فقد نظر ابن المقرب في قوله هذا إلى قول المتتبى :

ما لجرح بسميت اسلام

من يهن يسهل الهوان عليه

وأخذ ابن المقرب قوله :

وما المال إلا في شبا كل خاضب

و ما العز إلا في صها كل سابق

من قول التتبى :

وخير جليس في الزمان كتاب

أعز مكان في الدنيا سرج سابق

وقد استمد ابن المقرب من تراثه التاريخي الكبير في بناء حكمته، وساعدته هذه التراثة على الاطالة وطول النفس. ففي قصيده الميمية التي مطلعها :

أمضى من الذكر الصمصامة الخذم

أيدي الحوادث في الأيام والأم

والتي امتدت أبيات الحكمة فيها إلى تسعه وعشرين بيتا، اشتملت على كثير من الاشارات التاريخية، وبخاصة فيما يتعلق بفرسان الجاهلية، ومن ذلك قوله :

عقد الرئاسة عن آبائه القدم
سهم المنون على عمد فلم يرم
بكر سقاوه بكاسات من النعم
بسطام مد اليه كف مخترم
به الأعاريض واستولت على العجم
بحدر فارس التحلاق للمم
بناه والده اذا كان ذا همم
عن رأسه التاج عمدا غير محشش
منه الحمام ولم يطلب له بدم
أعني كليبا قريع العرب والعجم
منه وكان عدى أي معتصم
يترك لهم من حمي حام ولا حرم

أودي ابن مرة هماما وكان له
ومانع الجار جساسا أتيح له
والحوفزان الذي كانت تتواء به
وفارس العرب العرباء ان ذكرت
ولم تدع هانئا وهو الذي انتصفت
والحارث بن عباد غاله وسطا
والجعد مسلمة لم يحمه فدين
وهودة بن على حط منتزعا
وشيخ عجل أبا معدان عاجله
وفارس العرب وسيدةها
ولم يكن لعدي بعده عصم
والآل كلثوم سادات الآرقام لم

وابن المقرب يحسن استخدام ثقافته، وتوظيفها في تأدية ما يرمي إليه، ففي نصيحته لأبناء عمه حكام البحرين بالكف عن اغراق المال على الأعداء المنافسين للسلطة، يستشهد الشاعر بسد مأرب وما أدي إليه بعد انفجاره من دمار وخراب وتشريد. يقول :

في كل حين للعلا وأوان
سدوه كي يرضي بمال فلان
بعد افتتاح السد بالطوفان

أرجال عبد القيس كم أدعوكم
لم يغضب البدوي الا قلتم
والسد أخراب مأربا فتيقتو

كما أن المامه الواسع بالأمثال العربية القديمة، أعانه كثيرا على التعبير عما يريد، وأمده بطاقة بيانية كبيرة جعلته قادرًا على الاصحاح بأسلوب مؤيد بالبرهان. ومن أمثلة ذلك قوله : (١١)

لِيالٍ يَعْصِي فِي قَبَائِلَهُ الْأَرْد
مِنَ الْجَرْذِ الْعَيَّاثِ فِي صَخْرَهَا الصَّلَد
- أَيَادِي سَبَا فِي الْغُورِ - مِنْهَا وَفِي النَّجْد

وَإِنِّي فِي قَوْمِي كَعْمَرُو بْنُ عَامِرٍ
أَرَاهُمْ اَمَارَاتِ الْخَرَابِ وَمَا بَدَا
فَلَمْ يَرْعُوْا مَعَ مَا لَقَوْا فَتَمَزَّقُوا

فهو هنا يقارن حاله مع قومه بعد أن يئس من نصحهم بحال عمرو بن عامر الأزدي الملك مع قبائله اليمنية التي أصابها الدمار بسبب استخفافها بنصحه .

واستعمل ابن المقرب المثل الجاهلي المشهور (المنية ولا الدنيا) في مقام الحث على رفض حياة الذل، والمحافظة على الكرامة، يقول :

وَلَا الدُّنْيَا هَانَ الْأَمْرُ أَوْ عَظِّمَا
انَّ الْمُنْيَةَ فَاعْلَمُ عِنْدِ ذِي حَسْبٍ
وَفِي قَصِيْدَتِهِ الَّتِي عَارَضَ فِيهَا عِيْنِيَةَ قَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَاءَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُمُ لَنْ تَرَاعِي
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعَا

استعمل ابن المقرب المثل العربي القديم (اذل من فقع بقاع) لتحميس نفسه على الاقدام وركوب الخطر. فيقول :

وَمَاتَ أَذْلَلُ مَنْ فَقَعَ بِقَاعَ
وَمِنْ هَابِ الْمُنْيَةِ أَدْرَكَهُ

وَهَذَا الْبَيْتُ وَاحِدُ مِنْ تِسْعَةِ أَبْيَاتٍ فِي الْحِكْمَةِ تَدُورُ حَوْلَ مَعْنَى الْمُثَلِّ، حِيثُ يَعْلَمُ
الشَّاعِرُ ابْيَاهُ لِحَيَاةِ الْمُضْعَفِ وَالْمُضْعُفِ وَالْهُوَانِ وَمَا يَنْتَظِرُ الْأَغْنِيَاءِ فِي الْبَحْرَيْنِ مِنْ خَطَرٍ
مَحْدُقٌ بِهِمْ، فَهُمْ كَالْبَقَرِ الشَّبَاعِ وَسَطِ الْأَسْوَدِ الْجَيَاعِ، وَمَا جَاءَ فِيهَا :

ولكن بين آساد جياع
اذا ما آتست صوت السباع
وأرجو أن يذللها قراعي
فما تتبوا المطي عن انتجاعي
ولو من بين أنياب الأفاعي

فإن بأرضنا بقرا شباعا
وهل يهني الديهيمة خصب مرعي
تقارعني المانيا عن مراد
إذا يوما نبت بي دار قومي
سأطلب حق آبائني وحقي

ومن ناحية الموسيقى الخارجية لقصائد ابن المقرب المركبة، فقد نظم أغلبها في الطويل والبسيط والكامل والوافر.

أما القافية - وهي عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر والأبيات من القصيدة - فقد وفر ابن المقرب لها نصيبا كبيرا من الموسيقي، فاستخدم ألف التأسيس التي يفصل بينها وبين الروي حرف، كما نري في قوله : ^(١٧)

فجرد له سيفا من العزم قاضيا

أبي الدهر أن يلقاك إلا محاربا

فما الدهر سماعا لمن جاء عاتبا

ولا تلقه مستعثبا من ظلامة

وقد التزم قبل الروي حرف مد معين في عدد من قصائده، مما وفر لها قدرأ أكبر من الموسيقي، كما نري في قوله :

فامنن ببقيا وأودعها يدا فينا
فدون هذا به يرضي معادينا

بعض الذي نالنا يا دهر يكفيننا
ان كان شأنك ارضاء العدو بنا

ومن ذلك قوله :

لا أري النوم على شوك القتاد
فهو بحر ليس يروي منه صاد

خلياني من وطاء ووساد
واتركاني من أباطيل المنى

كما التزم حركة ساكنة قبل الروي في بعض قصائده، كقوله :

(١٧) المصدر السابق : ٢٥

ولا لوم مثلي يا أميم على وتر
سوى عزتي والعيس والمهمة القفر

ذرني فضربا بالمهندة البتر
فقد كنت أبي الضيم إذ ليس ناصري

وقد أكثر ابن المقرب من الجناس الناقص ولا سيما جناس الاشتقاد، مما وفر لحكمته
قدرا حسنا من الموسيقى الداخلية المؤثرة، من ذلك قوله :

لم تكثروا قالا على وقila

لو ذقتما ما ذقت من ألم الجوى

وقد يرد الجناس الناقص في بيتين من القصيدة، كقوله في احدى عينياته :

وهم عدو فهو يمشي بلا عقل
كرأس علاة القين أو كفة الطبل

و ذو الفقر في همین هم معيشة
فأراو لهم من راح فيهم برأسه

وفي فائنته يقول :

فلو كان يشفى داءه اللوم لا شتفى
كريم متى صرفت عزمي تصرفأ

دعوه فخير الرأي ألا يعنفا
ويابي لي الكفران اني ابن حرة

وربما تردد الجناس في عدة أبيات من القصيدة، كقوله :

أو أن تقول لي الآمال خذ ودع
ورأي ماض وعزم غير مفترع
ويلحق السيد المتبع بالتبع

الليت أنفك من حل ومرتحل
يابي لي المجد أن أرضي بغير رضا
لا خير في نزل تشقي الكرام به

وقد وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبد القيس منذ العصر الجاهلي.
فالمتقب العبدى عدة قصائد من هذا القبيل، أشهرها نونيته التي تناولت الحديث عن المرأة
والطعنان والرحلة وخطاب عمرو بن هند، ومن قصائد المتقب المركبة ميمنته التي مدح
فيها خالد بن الحارث العبدى، وقد بدأها بمقعدة غزلية وخلص بلفظ إلى المديح، ثم إلى
الحكمة والفخر الحكيمى. أما هانية المتقب فقد بدأت بمقعدة طالية مناسبة للموضوع فالمتقب

تولمه أحداث قومه وتحزنه المصائب التي حاقت بهم، فقد أصيّبت الأموال وتبّدت المنازل والديار ورحل القوم عنها، ولهذا أشار المتنبّي في قوله :

فان تك أموال أصيّبت وحولت ديار فقد كنا بدار نقيّمها

وهكذا الحال في ديار صاحبته فقد رحل عنها أهلها فاقفرت وأجدبت وتغيّرت معالمها واختلفت أوصافها، ووقف الشاعر فيها فثارت ذكرياته القديمة وحن إلى سالف عهده ووده فيها، فدعا لها شأن بقية شعراً الجاهليّة بوابل من الأمطار وبغزير من الديم، وقال : ^(١٨)

ألا حيّيا الدار المحيل رسومها
تهيج علينا ما يهيج قدّيمها
ذهاب الغوادي وبلها ومديّمها
سقي تلك من دار ومن حل ربّها

وفي أنشودة الطلل هذه نرى صورة الكرب والعذاب والاحساس بالدمار والرغبة العارمة في البكاء والتواح، ومنذ البداية يجسد الطلل صورة الضياع والهدم والموت في صحراء عارية لم يستطع الجاهلي تذليلها .. إن استدعاء الماضي ليس سوي محاولة للتخفّف من آلام الحاضر، وذكرى الحبيبّة التي يستدعيها الشاعر تعويض عن الواقع المؤلم الذي يراه ماثلاً أمامه، ثم ينتقل إلى الحديث عن الرحلة عبر ناقته التي يراها الشاعر الجاهلي الملجاً والملاذ للضائع والخائف والبائس، فهي وسيلة التطهير من الألم والمخاوف، على ظهرها العزاء والسلوى، وهي تنتقل بالشاعر من حالة اليأس والقنوط إلى حالة الأمان والسلام والاستقرار النفسي، وكاهن الناقّة الرحب قمّين بأن يستوعب كل الآلام وكل الآمال ^(١٩). بعد ذلك يصل المتنبّي إلى الغرض الأساسي وهو المواساة والعزاء، فيعلن استنكاره من جزع الجازعين التي يراها الشاعر غير مألفه ولا لائقه منبني قومه، فهذا الانهزام النفسي ليس من عادة العبدّيين الذين عرّفوا بالزعامة والقوامة والقيادة والسيادة، وإن لهم مما ورثوه من أجدادهم أقوى حصن، فهم أهل بأس وصبر ومكانة، وأبو الشاعر - أو جده على الأصح - كان يلقب بالمصلح لاصلاحه بين بطون قبيلته من ناحية، وبين بكر وتغلب من ناحية أخرى. يقول مصوّراً مواقفهم البطولية في حماية التغور المهدّدة، ورجوعهم بالغائم من أسلاّب قتلّاهم وأسرّهم عظيم أعدائهم وذبّهم عم المحارم والمنع لها عند الحروب :

(١٨) المعيني : شعراً عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢٨٧ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ - قسم الدراسة.

(١٩) أنور أبو سويلم : قراءة في معلقة طرفة بن العبد ص ٣٦٧ و ٣٦٨ - مجلة جامعة الملك سعود - الأداب (٢) ١٤١٢ هـ.

ونحمي عن التغر المخوف وينقي
صبرنا لها حتى تفرج بأسنا

بغارتنا كيد العدي وضيومها
وفتنا لنا أسلابها وعظمتها

وقد كانت المقدمة - كما رأينا - أطول من الغرض الأساسي، حيث اشتملت على بكاء الطلل ووصف الرحلة والراحلة، وكانت متلائمة مع الموضوع ومتصلة به نفسيًا و موضوعياً .

ومن شعراء عبد القيس ذوي القصائد المركبة أبو عثمان الخالدي، ففي قصيده التي أرببت على الأربعة والعشرين بيتاً تناولت أبيات الحكمـة العـشرة بين الـبداـية والـوسط والـنـهاـية، وقد عـبر المـطلع عن رـوح الشـاعـر المـفعـمة بالـاعـتزـاز والـتـقـة بالـنـفـس، وـكـان استهلاـلا حـامـسـياً مـؤـديـاً لـفـرـض القـصـيـدة الأسـاسـيـ وـهـوـ الفـرـ. يقول: (٢٠)

لا بالأمانـي والتـأـمـيل للـقـدر
فـلاـتـقـفـ فيـهـ بـيـنـ الـبـثـ وـالـحـذـرـ
وـفـيـ سـنـاـ الشـمـسـ ماـيـغـنـيـ عنـ الـقـمـرـ

نيـلـ المـطـالـبـ بالـهـنـديـةـ الـبـرـ
فـانـ عـفـاـ طـلـلـ أوـ بـادـ سـاـكـنـهـ
فـيـ شـمـكـ الـمـسـكـ عـذـرـ عـنـ مـذـاقـتـهـ

وـأـمـاـ ماـجـأـ فيـ الـمـنـتـصـفـ وـالـخـاتـمـةـ فـقـدـ كـانـ تـبـرـيرـاـ لـوـجـهـةـ نـظـرـ الشـاعـرـ. يقولـ:ـ

فـلـاـ نـقـلـ أـنـنـيـ فـيـ النـاسـ ذـوـ بـصـرـ
إـذـاـ نـضـاـهـاـ فـلـمـ تـصـدـقـهـ فـيـ النـظـرـ
خـوـفـ الـقـبـيـحـيـنـ مـنـ كـبـرـ وـمـنـ بـطـرـ
لـأـنـهـ قـدـ نـجـاـ مـنـ طـيـرـةـ الـعـورـ
وـأـيـ عـارـ عـلـىـ عـيـنـ بـلـاحـورـ

إـذـاـ تـشـكـكـتـ فـيـمـاـ أـنـتـ تـبـصـرـهـ
وـكـيـفـ يـفـرـحـ اـنـسـانـ بـغـرـتـهـ
لـقـدـ فـرـحـتـ بـمـاـ عـانـيـتـ مـنـ عـدـمـ
وـرـبـمـاـ اـبـتـهـجـ الـأـعـمـيـ بـحـالـتـهـ
لـاـ عـارـ يـلـحـقـنـيـ أـنـيـ بـلـاـ نـشـبـ

وـمـنـ شـعـرـاءـ عـبـدـ القـيـسـ الـذـيـنـ وـرـدـتـ لـهـ حـكـمـةـ فـيـ قـصـائـدـهـ،ـ اـبـوـ الـبـرـ الـخـطـيـ،ـ وـمـنـ ذـلـكـ قـصـيـدةـ لـهـ بـلـغـتـ ثـلـاثـةـ وـعـشـرـينـ بـيـتاـ،ـ عـزـىـ فـيـهـ الشـاعـرـ بـعـضـ الـأـعـيـانـ بـفـقـدـ طـفـلـ لـهـ،ـ وـقـدـ أـنـتـ الـحـكـمـةـ فـيـ أـبـيـاتـ سـتـةـ حـامـلـةـ فـيـ أـعـطـافـهـ الـبـرـهـانـ المـقـنـعـ لـمـوـضـوـعـ الـقـصـيـدةـ،ـ وـهـوـ التـعـزـيـةـ،ـ وـمـشـكـلـةـ نـقـاطـ قـوـةـ فـيـ النـصـ،ـ وـخـيـوـطـاـ مـضـيـئـةـ فـيـ النـسـيـجـ الـعـامـ لـلـقـصـيـدةـ،ـ

يـقـولـ:ـ (٢١)

(٢٠) ديوان الخالدين ١٢٨/٢ - تحقيق سامي الدهان - مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٢١) ديوانه : ٦٨.

نضارته إلى وقت المجز
رطيب القد معندي المهز
فشيطان الأسي بالصبر مخزي
على ما فات منه ومن معزي
لعظم جلاله ولفرط عز
لجماعة عليه ولا لصبر

فان الناس مثل الزرع تنمو
فلم يجث إلا كل غصن
فيا ابن مبارك بن حسين صبرا
بذا حكم القضاء فمن معزي
هي الأيام لا تبقي كييرا
ولا يبقي صغير السن بقيا

وله قصيدة أخرى تقع في خمسة وثلاثين بيتاً، موضوعها الرئيسي هو المدح، وقد بدأها
بالغزل حتى اذا بلغ إلى قوله : (٢٢)

نوازع يستحوذن من غير الصبا

اذا هو كف الشيب منه تراجعت

سجل خطراته الحكمية المستمدة من تجاربه في علاقاته الشخصية، والقائمة على
الاستدلال والبرهان، يقول محسنا التخلص من التشبيب إلى الحكمة المبطنة بالشكوي :

أظنك علمت الطماعة أشعها
تعال فسل عما جهلت المجرها
فأشكى ولا استعنت خلا فأعثبا

أمست جلبا ود الرجال بعتها
لك الخير ان لم تدر ما خلق الوري
انبئك أني ما شكوت لصاحب

ثم ينتقل إلى موضوع المديح عبر جسر حكم يربط بين الشكوى والثناء. يقول :

بأسوا ما جوزي مسىء وعوقبا
وفاء وأدناهم ودادا وأقربا

جزى كل فرد منهم من اخاته
سقى ورعى الله الأولى ما أشد هم

وخلال مدحه نجد مسحة من الحكمة حول معندي قد لا يكون جديدا ولكن الشاعر أجاد
صياغته حتى بدا وكأنه مبتakra، فهو يقول في ممدحه أنك جمعت في شخصك كل الفضائل
والمحاميات، ولم تترك لآخرين شيئا منها، فهلا تنازلت عن بعضها لهم، لتهذب السخيمة
من نفوسهم، مع أنك لن تصل إلى رضاهم، لأن المعالي والأمجاد لا توهب وإنما تكتسب
بالجد والكافح. يقول :

تطب أنفس حري عليك تغضبا
لطالبها أني توجه مطلبا
لتعطى ولا كان الفخار ليوهيا

حناينك هب للقوم شيئا من العلا
ملكت أقصايهما عليك فلم تدع
ولست بمرضيهم فما كانت العلا

والخنيزي قصيدة عنوانها (علي ثبج الموج) تدور الأبيات الأربع عشر منها حول الشكوى من الحياة، وقد جاءت هذه الشكوى ابتداء من المطلع في قوله : (٢٢)

وقفت وحيداً مني واجفه

على ثبج الموج في العاصفه

وحتى قوله :

یقہہ من حاضری الساخر

كأن غدي موجة من ظلام

وهي ذات قواف متعددة، وفي الأبيات الستة الأخيرة من القصيدة يفيء الشاعر إلى الحكمة، فيدعوا إلى الأمل والتفاؤل من خلال فعل الأمر الارشادي، ولكي يعطي طلبه المزيد من الأهمية والتأثير نراه يعمد إلى تكراره أربع مرات، كما يكرر أسلوب التشبيه للابانة والاقناع، حيث يقول :

رمي عريت من رجا ناظر
ع فتورق دنيا كدنيا الزهر
ع تضمد - عطفا - جراح البشر
ين فيسيقي القلوب ويسقي الفكر
يضىء الحياة شعاعاً أغر
ولولا الرجاء غدت كالحر

فان الحياة كدنيا القبور
فكن أملاً أخضراً كالربيع
وكن نسمةً كحنان الرياح
وكن جدولًا يملأ الخافق
وكن مشرقاً مثل بدر السماء
فان **قواعد الحياة** الرجاء

وفي قصيدة الرجعي لمحمد سعيد الخنيري نجد الحكمة تتوسط القصيدة، فقد أشار فيها الشاعر إلى بعض فضائل الإسلام ومزاياه المتعددة على مر العصور، بينما تحدث في البداية عن أولئك البعثيين الذين رموه بالرجعية لتمسكه بالدين، وعبر عن موقفهم بأسلوب ساخر، موضحاً زيف ادعاءاتهم، وضلاله أفكارهم، وقد استهل قصيده بقوله : (٢٤)

قيل لي أنك رجعي قديم وعтик

وقد تمثلت حكمته في الأبيات الأربع التي أولها :

انما الدين جديد ساطع مثل الشهاب

اما نهاية القصيدة فقد كان متصلة ببدايتها، وهو كشف حقيقة زعيم الحزب
ميشيل عفلق وحياته الخفية اللاهية .

حوله الحزب عبيد وهو فيهم كالأمير

وهكذا نجد أن الحكمة في قصائد عبد القيس المشتركة كانت متصلة أو توثق اتصال
 بالموضوعات الرئيسية التي لا يمتها، وانها وجدت في بداية القصائد كما وجدت في وسطها
 وخواتيمها .

(٢٤) ديوانه (مدينة الدراري) : ١٥١.

ثالثاً

الحكمة في القصيدة البسيطة

يقصد بهذه الفئة من القصائد تلك التي تتصف بالوحدة الموضوعية، وهي ذات الغرض الواحد من أغراض الشعر، فالحكمة أو الخطرة الفلسفية والتأملية تشكل الموضوع الكلي للقصيدة، وهذا ما يجعلها أكثر تماسكاً وترتباً وانسجاماً، ويقلل من أدوات الربط التي نجدها في القصيدة المتعددة الأغراض. ولعل أكثر القصائد العبدية التي تنتهي إلى هذه الفئة - بشيء من التجوز -، لامية الشاعر الأموي بشر بن منقذ المعروف بالأعور الشني، فقد رويت له قصيدة من أربعة عشر بيتاً تحتوي على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، وهي وان جاءت في قالب الفخر إلا أنها تصب في جدول الحكمة، لأن الفخر فيها يستمد مادته من معين الخلق الكريم والأدب القويم، وقد بدأها على طريقة الفرسان حين يجعلون المرأة الشاهد والحكم على صدق ما ينسبوه إلى أنفسهم من فضائل، كفضيلة الكرم مع الجار والقريب خاصة، والصدق في الوعد، وعزّة النفس، والعفة في حالة الفقر، وعدم البطر والافحاش في حالة الغنى، والوفاء للصديق، وهذه المحامد والخصال الجميلة هي مما اكتسبها من تجاربها الطويلة ومخالطتها الآخرين، وهو يرى أن السن كفيل أن يهذب الإنسان العاقل، أما الذي يبلغ الأربعين عاماً - وهو سن النضج والاكتمال - ولم تكتمل شخصيته ويظهر اتزانه فهذا لا خير فيه ولا أمل في ترقيه، بل على العكس فهو في نزول وانحطاط لصغر عقله وأضلال شخصيته. والوحدة الموضوعية في هذه القصيدة موجودة، لأنها تتحدث عن موضوع واحد هو الأخلاق الفاضلة وأثر السن والتجربة في اكتسابها، وهي على درجة لا يأس بها من الترابط والانسجام، يقول: ^(١)

اذا ضن المثمر من عالي
بنصري في الخطوب ولا نوالى
بأمر لا يصدقه فعالى
وأخلاق الدنيا من خلاى
اذا ما قل في اللذبات مالي

لقد علمت عميرة أن جاري
وانى لا أضن على ابن عمى
ولست بسائل قولا لأحظى
وما التقصير قد علمت معد
وأكرم ما تكون على نفسي

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٦٣٩ / ٢

وتجمل عند أهل الرأي حالي
ولم أخصص بجفوتي المولاي
ولم يذم لطرفه وصالي
بلوت من الأمور إلى سؤالي
وما حلت الرجال ذوي المحال
عليه الأربعون من الرجال
فليس بلا حق أخرى الليالي
من الدنيا يحط إلى سفال
ملمات الحوادث كالخيال

فتحسن نصري وأصون عرضي
وان نلت الغني لم أغفل فيه
ولم أقطع أخا لأخ طريف
لقد أصبحت لا أحتج فيما
وذلك أني أذلت نفسي
اذا ما المرء قصر ثم مرت
فلم يلحق بصالحهم فدعه
وليس بزائل ما عاش يوما
وذلك في الرجال اذا اعتبرتهم

وللصلتان العبدى قصيدة من أنتي عشر بيتا تحدث فيها عن أثر السنين في الإنسان
وحاجاته التي لا تتوقف أو تنتهي إلا عند الموت، ثم يشير إلى رأي عامة الناس في الغني
وأثره في الملا ومكانة صاحبه في المجتمع وكأنه يدين هذه النظرة التي تحصر قيمة المرء
في المال. ويتأسى الشاعر بلقمان الحكيم فيوصي ابنه بجملة من الوصايا النافعة لحفظ السر
وعدم اطلاع ثالث عليه لكي لا يشيع وينتشر، وان يواجه الأخطار بشجاعة حتى يتغلب
عليها، ولا يقول من الشعر الا الحكيم النافع والا فليصم فذلك خير من الهزل.
يقول:(٢)

كر الليالي ومر العشي
أتي بعد ذلك يوم فتي
وحاجة من عاش لا تنقضي
وتبقى له حاجة ما بقي
أروني السري أروك الغتي
وأوصيت عمرا ونعم الوصي
فكن عند سرك خباء النجي

أشاب الصغير وأفني الكبير
اذا أهربت ليلة يومها
نروح ونغدو لحاجاتنا
تموت مع المرء حاجاته
اذا قلت يوما لمن قد تري
ألم تر لقمان أوصي ابنه
بني غدا خباء نجوى الرجال

وسر الثلاثة غير الخفي
اذا ما سواد بليل خشي
من الليل يخشى كما تخشى
فان الكلام كثير الروي
وبعض التكلم اذني لعي

و سرك ما كان عند امرئ
فكن كابن ليل على أسود
فكل سواد وان هبته
أرد محكم الشعر ان قلته
كما الصمت اذني لبعض اللسان

وهناك قصيدة لشاعر من عبد القيس عاش في العصر العباسي، وهي ليموت بن المزرع، وعذتها أحد عشر بيتاً، وجهها إلى ولده مهلهل، وفخر فيها بعلمه، وزهد ولده في المناصب والجاه، ولقته أدب اكتساب العلم، وأشار فيها إلى أثر الاحتكاك والخبرة في صقل العقل، وشكا فيها من ضيق ذات اليد، وعبر فيها عن قلقه على ولده بعد وفاته، ولكنه وجد في لطف الله العزاء والسلوكي. وهي وان بدت مختلطة الاحساسات متشعبه المشاعر، فيها فخر وشكوى وقلق وتوجيه، إلا أنها لا تخرج بوجه عام عن حدود الوحدة الموضوعية،
يقول : (٣)

وكافحني به الزمن العنوت
فاذعن لي الحثالة والرتوت
كريسم غته زمن غتوت
وأبناء العبيد لها التخوت
مخافة أن تصبى اذا فنيت
بمثلك ان فنيت وان بقيت
فلا تقطعك جائحة سبوت
ولا تلفتك عن هذا الدسوت
فذل لـه ودينك السكوت
يقال ومن أبوك فقل يموت
يعلم ليس يجده البهوت

مهلهل قد حلبت شطور دهري
وجاريـت الرجال بكل ربع
فأوجـعـ ما أـجـنـ عـلـيـهـ قـلـبـيـ
كـفـيـ حـزـنـاـ بـضـيـعـةـ ذـيـ قـدـيمـ
وـقـدـ أـسـهـرـتـ عـيـنـيـ بـعـدـ غـمـضـ
وـفـيـ لـطـفـ المـهـيـمـ لـيـ عـزـاءـ
وـأـنـ يـشـتـدـ عـظـمـكـ بـعـدـ مـوـتـيـ
فـجـبـ فـيـ الـأـرـضـ وـأـبـغـ بـهـ عـلـوـمـاـ
وـانـ بـخـلـ الـعـلـيمـ عـلـيـكـ يـوـمـاـ
وـقـلـ بـالـعـلـمـ كـأـنـ أـبـيـ جـوـادـاـ
يـقـرـ لـكـ إـلـاـ بـاعـدـ وـالـأـدـانـيـ

(٣) مهلهل بن يموت بسرقات أبي نواس، تحقيق محمد هداره، مقدمة المحقق ص ١٧، دار الفكر العربي بالقاهرة.

وبعد الشاعر العبدى المعاصر محمد سعيد الخنizي صاحب القدح المعلى في هذا المجال، فقد امتازت جل قصائده بالوحدة الموضوعية والعضوية، وبهذا التوحد استطاع الشاعر أن يضع لكل قصيدة من قصائده عنواناً خاصاً بها، فأكثر قصائده الحكمية والتاملية تتسم بالوحدة الموضوعية وجلها عالج موضوعاً تأملياً هو فكرة الحياة والموت، ورسالة الشاعر في الحياة، ففي قصيدة (النهر الطروب) وعدد أبياتها أحد عشر بيتاً يعلن الشاعر تجرده لأداء رسالة الشعر واحتشاده لهذا الأمر الهام، ولكي يكون قادراً على ذلك يقرر أن يتخلص أولاً من همومه الشخصية ثم أداء رسالة الشاعر في تصوير هموم الآخرين والعمل على تخفيفها، والبداية كانت اعلان خروجه من دائرة همومه الشخصية، وتأكيد هذا الخروج والتحرر بأداة النفي المزدوجة الدالة على الاصرار والصمود (لان). ويستمد صوره وتشبيهاته في تصوير حاله من البيئة الطبيعية مشبهاً عطاءه بالنهر المتتفق وصموده بالجبال الراسيات. ففي البيت السابع كما يقول الشاعر (مفتاح الحياة)، وعليه ترتكز سائر الأبيات، وفي البيتين الآخرين يلخص الخنizي الفكرة التي بسطها فيما سبق، وهي أن الفكر الحقيقي هو الذي ينفع الناس، وهو الذي يقوم على الفهم والعلم لا على الوهم والتخييط، وقد كان الفعل المضارع الدال على التجدد والحدث مدار أحداث القصيدة، كما كانت روح الثقة ونغمة الاعتداد عماد ارادة الشاعر في اتخاذ القرار. يقول:^(٤)

لأن أضيق بعالم الأحداث صدرا
سأظل كالنهر الطروب يضاحك الأنوار ثغرا
يسقي الصحاري والحقول فينبت الأحلام زهرا
أنا في العواصف كالجبال تكون للأحداث قبرا
أنا كالمرامم للجروح أسيل فوق الجرح عطرا
والليل إن أرخي الظلام طلعت في الظلماء بدرا
والصبر مفتاح الحياة ولا يطيق الناس صبرا
ورسمت أحلام الشباب تجسست في الدهر سطرا
ومسحت آلام الفقر فصارت الآلام تبرا
والفكر ما يبني الحياة وكان فيها العلم فكرا
إن الحياة خواطر فيها يمر المرء ذكرا

(٤) ديوان سعيد الخنizي : شمس بلا افق : ١٣٣

وفي قصيدة الخنزي (سراب) رمز الشاعر إلى المصائب يالليالي بجامع الظلمة والوحشة في الكل، واعتمد في بناء قصيده ذات التسعة عشر بيتا على فعل الطلب الايجابي والسلبي (أ فعل - لا تفعل) حيث كان الأمر اثنى عشر فعلا وكان النهي أربعة أفعال، ومن هذه الأفعال تشكلت جزئيات الأحداث، وكأن القصيدة وصية موجهه من الشاعر إلى سائر الشعراء، ويستعين الشاعر بالتشبيه في توضيح غرضه، فالانسان في هذه الحياة بمثابة الزوج الصغير وسط بحر كبير تتقاذفه العواصف من كل ناحية، وما من انسان أفلت من هبة ريح عاتية في يوم من الأيام، ثم ان هذه الحياة تنتهي إلى عدم، وبقاء الانسان فيها إلى حين، فهو كالظلل الزائل، وتأسيسا على ذلك يرسم الشاعر فلسنته الداعية إلى مواجهة الحياة الصعبة بالابتسام والتفاؤل، داعيا غيره من الشعراء إلى تبني هذه الفكرة الرشيدة القائمة على مواساة الناس وتحفيظ آلامهم، ويرمز الشاعر بالبوم وهو الطائر الذي يكثر بالليل ويسكن الخرائب إلى شاعر الشؤم، وينعي على بعض الجهلة انخداعهم بهذا الصنف المغدور المخرب، ووصفهم اياه بالهزار، وهو الطائر المفرد، بينما هو في الحقيقة عاجز عن التحليق في أجواء الشعر بسبب غروره وسوء تفكيره، ويلاحظ استخدام الشاعر لأدوات الحصر حيث وردت (إنما) ثلث مرات و(إلا) مرة واحدة. يقول: (٥)

عَرْ مَنْهَا وَلَا تَضَقُّ بِالْبَلَاءِ
دَافَ فِي عَاصِفٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ
إِنَّمَا الْكَوْنُ عَالَمُ الْأَشْقِيَاءِ
مِنْ كَئُوسٍ تَفِيضُ بِالْبَرَحَاءِ
دَاثُ صَفَقٍ فِي وَجْهِهَا بِالرَّجَاءِ
مَنْ وَكَنْ بِاسْمَا كَوْجَهٍ الْفَضَاءِ
سَوْفَ تَطْوِي كَهْذِهِ الْأَفْيَاءِ
رَاءُ كَالْفَجْرِ مُشَرِّقُ الْأَلَاءِ
مَ وَقَالُوا هَذَا هَزَارُ السَّمَاءِ
هَاضِ جَنْحِيَهٍ عَاصِفُ الْخِلَاءِ

الليلي لا تبتنس أيها الشا
أنت فيها كالزورق التائه المج
لاتظل الحياة إلا شقيا
أي فرد لم يجرع الم فيها
فابتسم للخطوب والليل والأحد
لا تكون ضيق الفؤاد مع العي
انما هذه الحياة سراب
ابتسم كالزهور كالليلة القمر
لا يغرنك عشر قدسوا البو
نخوا فيه كي يطير ولكن

يف مثلاً ممدوه الكبرياء
غ تمحي بالريح دون ذكاء
ر وغرن الحياة لحن الصفاء
ت حساناً سحرية الأغراء
ليل تسفر ظلماً به بالضياء
س عليه في زحمة الظلماء
ك وفي عاصف من الارزاء
وحلق في عالم الشعراء

رفعوه جهلاً على قمم الز
انما هذه الضفادع كالأصبا
فترنم يا شاعري بالمزامير
واخلق اليوم من حياتك جنا
أرسل الشعر كوكباً وسط هذا الـ
وأرفع المشعل الذي يهتمي لنا
اننا في الحياة نمشي على الشو
خل دنيا الرعاع يا شاعر الحب

وما ينفك الخنزيري في العديد من قصائده عن الحديث عن دوره في الحياة كشاعر يتغنى بجمال الطبيعة، ليدخل السعادة والسرور إلى قلوب القراء والسامعين، فتلك رسالة آمن بها الشاعر وحرص على أدائها بكل جد ومثابرة، والقصيدة التي بين أيدينا وعددتها ثلاثة عشر بيتاً يتanax بطولتها اثنان هما الشاعر نفسه وأسماء وهي احدى عرائس شعره، ويتجلّي دورها في استهلاص همة الشاعر في أداء رسالته في الحياة، وهي ابداع الشعر الجميل الذي يحمل معه البهجة والرغبة في الحياة وتحمل أعبائها بتفاؤل وابتسام. ويبداً بناء القصيدة بسؤال تطرحه فتاة خياله عليه فيه العجب والاستغراب عن سبب صمته وتوقفه عن الانشاد في فصل الربيع خاصّة، حيث الجمال والتفتح والبهاء، على الرغم من شاعريته الفذة التي جعلت الزهر يسّكر من فرط سروره ويشيع سره في رائحته الذكية انها تكرر ندائها له بلقب خلعته عليه، وهو نجي الطيور والحلق والورد، طالبة حثه أن ينشد شعره الذي يشبهه في اطرابه حنين الأوّتار ونغم العود ونسمة الصباح المشرق، وتمضي في إلتحاحها في أن يقوم بالانطلاق مع الطبيعة والتعمّن بجمالها والتّمتع بها وأن يعيش كما تعيش الطيور المنطلقة المفردة على الدوام. وحيث أن محور القصيدة يعتمد على الحث والتّرغيب والطلب فقد استعان الشاعر بفعل الأمر الذي تردد في النص ثمانى مرات، كما استعمل الشاعر بعض الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة، ولجأ إلى الاطناب لاعطاء المزيد من الإبارة والإيضاح وتقرير المعنى في الذهن. يقول :^(١)

(١) ديوانه : شمس بلا افق : ٧٣

عن سكوني وحيرتي وفتورى
الشدو وهذا الربيع فجر الطيور
رفذاعت أسراره في العبير
نغمات مع الصباح البكور
دترنن على أغاني الغدير
د وما نسمة الصباح المنير
ودموع لجرح قلب كبير
لحياة مملوءة بالسرور
يحبوا على بساط الزهور
ل فما أنت غير ظل قصير
أنت حر تعيش مثل الطيور
بجناح الخيال والتفكير
بجمال الطبيعة المأثور

وللخنزير قصيدة عنوانها (لا تقولي) وهي تتكون من أربعة عشر بيتاً. شكل العنوان الأساس الأول في بنائها، ولعب تكراره سبع مرات دوراً أساسياً في التعبير عن الحالة النفسية للشاعر، فعروسة شعره تحدثه عن الموت وتذكره بعالم الأموات وفناً كل شيء في الحياة ونحو ذلك مما تنفر النفوس من سماعه، وهو يطلب منها الكف عن هذا القول الذي يبعث الحزن والشجن، وقد استخدمت صوراً قوية، وكانت الاستعارة المكنية هي مادة هذه الصور (كتفي الحياة وموت الغرام وغفوة الأحلام وسكب الفؤاد في الراحتين)، كما استعملت ألفاظاً ذات صدى رنان وصيحة شديدة، ومن ذلك تذكيره بما سيحدث له في القبر من عبث جيوش الديدان بجثته في القبر. وفي رده على فتاة خياله تبرز الأنماط الشاعرة في مواجهة فقد لتوذك خلودها فتتكرر في النص عدة مرات وتظهر في صورة التشبيه المتعدد الألوان، فهو كشاعر صاحب رسالة في الحياة، يشبه الزهر العاطر والحن الشجي والنهر الخالد والبدر المنير والشجر الوارف الظلل، وفكرة المنير الباقي كالثريا وكالشمس وكالفجر. فشعره الذي هو قطعة منه يجعله حياً على الدوام، وإن غاب جسده. وحيث أن الشاعر يتحدث عن شيء لم يقع بعد، وإنما يتوقع حدوثه مستقبلاً، فقد استعمل الفعل المضارع،

والماضي المقترن فإذا الدالين على المستقبل، المحرك الرئيس للأحداث في هذا النص.
يقول:^(٧)

ويموت الغرام شيئا فشيما
وتعفوا الأحلام في مقلتيا
وسكبت الفؤاد في راحتيا
صداه يرن في أذنيا
زهراء عاطرا ولحنا شجيا
في فم الدهر كوثرا علويما
أنا كالخصب يفرش الجدب فيها
جدول يملأ السبابس ريا
ومات الربيع في شفتيا
من الشعر مشرقات المحيا
وزهور جفت على شاطئيا
كان يزهو في أفقه كالثريا
تمد الحياة نورا سنيا
زهرات تفوح عطرا زكيا

لاتقولي ان الحياة ستطوي
ويموج الديدان في الثغر والخد
لاتقولي لقد آثرت شجوني
لاتقولي فان صوتك لا زال
لاتقولي فانني سوف أغدو
سوف أغدو بعد الحياة حديثا
أنا كالبدر ضاحكا في الروابي
أنا في الكون قطرة فاض منها
لاتقولي اذا ذوي غصني الرطب
وتوارت وراء عيني ألوان
وتلاشت على فمي بسمات
لاتقولي قد غاب فكر منير
لاتقولي فانني أنا كالشمس
أنا في الفجر والندي والروابي

وفي قصيدة الخنزيزي التي عنوانها (إليها) يوجه الشاعر إلى احدى عرائس شعره
وصيته الأخيرة من خلال مرثيته لنفسه وتنطلق الوصية أو المرثية من ضمير الفصل
المتكلم (أنا) لتأكيد الحضور متبعا ذلك بحرف الشرط (إن) الدال على المستقبل، محددا
زمن الموت وهو (غد) الذي يعني أول النهار، وما ينطوي عليه من معنى التعلق بالحياة،
أما دلالات العدم فهي (حين يصبح هاما كالحجر) (جامد العين) (جهم الوجه) (كئيب
المنظر) (طعمة الديدان)، ثم مجرد خيال عابر، يقول :^(٨)

(٧) ديوانه : شيء اسمه الحب : ٤٥

(٨) ديوانه : النغم الجريح : ٢٧

خِيالاً يطوف بالأذهان
ولفت أشلاء في النسيان
غَاب الشَّعاع من اجفاني
أَك بالأمس زينة الندمان
وأَمسَيت طعمة الديдан

أَنَّا نَمَتْ فِي غَدٍ وَتَحَولَتْ
وَانْطَوَى شَخْصِي الْكَثِيرُ مِنَ الْكَوْنِ
وَتَحَوَّلَتْ هَامِدُ الْحَسْ كَالْأَحْجَارِ
نَفَرَ الصَّحْبُ خَائِفِينَ كَأَنَّ لَمْ
وَالْفَضْلَ جَهَتْ يَدَاهُ مَحْيَايِ

ثم يأتي جواب الشرط ضمن الجملة الاستفهامية، التي تجسد الهاجس المقلق للشاعر وهو خوفه من نسيان الحببية لعهود الحب والصفاء، ولكن قلقه سرعان ما يزول، حين يتذكر أن حياته لا تزال باقية من خلال ديوان شعره الذي لا يموت بما انطوى عليه من قيم ومثل وذكريات وأحلام وأمال وألام وكل شيء في حياته ذي بال. ان الشاعر يوصي المحبوبة أن تفتح ديوانه لتعلم ان صاحبه هي متجدد على مر الزمان كتجدد الفجر، وان دوي الناعي مهما كان قويا لا يعني انعدامه بل حضوره، وان كان موت جسده يستدعي بكاءها الهدادي الرقيق، فان انشادها لشعره يعني وجود روحه وبقاء فكره، وكذلك فإذا كان نعشة الحامل لجثمانه، يرمز إلى وفاة الشاعر ويبعث على الحزن والريبة، فان تغنيها بمقطوعات من شعره، لحظة رفع الموكب لجثمانه واتجاهه نحو القبر يعني حضور الشاعر واضطراب فؤاده بين صفحات ديوانه، وهنا تظهر ذاتية الشاعر، واستيقاظ الذاتية هنا يمثل وجها آخر من وجوه الأنما تصويرا لحالة فقد وتأكيدا على ماضي الذات المجيد، ومن مظاهر الذاتية قوله (أَك بالأمس زينة الندمان) وقوله (صدى الناعي يدوي بصوته الرنان) وقوله (كيريء الممات والأحزان). ثم يجسد الشاعر كل القيم التي حرص على تزويد فتاته بها، ويشير إلى المحافظة على هذه القيم القائمة على الایمان والوفاء، ويطلب من صاحبته أن تلقي نظرة وداع عليه قبل أو يودع في مثواه الأخير. يقول:

كطیور الرّبیع فی الأغصان
وَجَفَتْ أَزْهَارُهُ وَالْأَمَانِي
جَدِيدٌ عَلَى مَرِ الزَّمَانِ
تَمَدَّ الْحَيَاةُ بِالْأَلْوَانِ
يَدُوي بِصَوْتِهِ الرَّنَانِ

هَلْ تَصْوِينِينْ عَهَدْنَا يَوْمَ كَنَا
أَمْ تَقْوِيلِينْ قَدْ مَضِيَ وَانْطَوَى الْحُبُّ
أَفْتَحْيَ سَفَرَ حَبْنَا فَهُوَ كَالْفَجْرِ
صَوْرٌ لَا تَزَالُ فِيهِ وَأَطْيَافٌ
أَفْتَحْيَهُ إِذَا سَمِعْتَ صَدِيَ النَّاعِي

مثلاً للعالم الروحاني وأذربيي الحنان في الألحان كبريء الممات والأحزان من قصيدي يرف فيها جناني عامر بالوفاء والإيمان نظرة للوداع والحرمان

تجديني مصورة ملء عينيك
افتاحيه وابكي بقلب رقيق
ان بدا نعشه الذي جالته
فانشدي خلف موكبى قطعات
زودياني بخفة من فؤاد
زودياني بنظره من فؤاد

ويمضي الشاعر في وصيته لحبيبه، فيطلب منها ان تزور في المساء محيط ذكرياته، وهو الوقت الذي كانا يلتقيان فيه عند ضفة النهر الخضراء، من غير أن يحس بهما احد، فزيارتها بالنسبة له كهمس النسيم في أغصان الشجر. وعليها أن تقوم بذكر تلك الضفة سالف الذكريات الجميلة، التي شهدتها وشهدت مبلغ حبه لها وشغفه بها، حتى كانت له بمثابة نور عينيه، ومنهل قلبه الظمآن، ويطلب منها قبل مغادرتها لمowell الذكريات أن تقطف وردة، وتنزّرها على قبره، بدموعها القانية اللون. يقول :

كمس النسيم في الأنفان
يتجاوبن كالصدى في كيانى
في ظلال الغرام عند المجانى
ومعین بقلبى **الظمان**
ورويه **بالدموع القوانى**

ثم زروي المساء ضفتی الخضراء
ذكریها بامسیاتی اللواتی
حین کنا نسلهم الحب شعرا
حین کنا وانت نور بجفني
و اقطفی وردة و میلی على القبر

وأجلسى في كأبة الحيران

ثم عودي لغرفتى بخشوع

في سماها تطوف والجدران
أتجلي في الفجر في الأقحوان
أنزل الشعر من سماء الجنان
ونور الخيال بين بناني
وما فيه من ضروب الأماني
هو حي يرعى النجوم الدواني
فهمانا ناطقان في ديواني
وليل الآلام والأشجان
روحى في عالم الديدان

وانظري روعة الممات أطلت
لا تخافي من وحشة الموت أني
مثليني اذا أخذت مكانى
مسلمًا فكري الشريد إلى الشعر
مثليني حيا أشاركك العيش
غالطي النفس ثم قولي اليها
ثم عودي لصورتي وشعوري
أقرئيه فيه فجر ابتساماتي
أقرئيه كائنا شاهدت روحك

ولعل المرأة التي وجه إليها الشاعر وصيته، ترمز إلى جزء من الحياة بكل عوامل حيويتها وجمالها ورونقها، والتشوق لها هنا تشوّق للحياة، والحديث عنها حديث عن الدنيا البعيدة وعن عالمها المفقود بالنسبة للشاعر، ولما كانت مرثة الشاعر لنفسه تتضمن الوصية، فقد اعتمدت أحداث القصيدة بالدرجة الأولى على فعل الأمر الذي تردد فيها أربعاً وعشرين مرة. كما تكرر بعض هذه الأفعال عدة مرات لما لها من دور خاص في بناء القصيدة ذات الوحدة الموضوعية، فيما يتصل بديوان شعره يتكرر طلب فتحه وقراءته ست مرات باعتبار أن هذا الديوان هو الوجه الآخر لوجوده وهمزة الوصل التي تربطه بالحياة. وعلى الرغم من طول هذه القصيدة التي بلغت اثنين وثلاثين بيتاً فقد جاءت متلاحمـة الأجزاء تجمعها وحدة الفكر والشعور .

وفي قصيدة (من أنت) وهي من عشرة أبيات يبدأ الشاعر بأداة الاستفهام (من) ويجيب عنها اجابة حائرة متعددة تحمل النقيضين (ملاك - شيطان) ثم يفصل في الأبيات التالية ما أجمله في البيت الأول تفصيلاً يتكئ على التكرار، ويقوم على التقابل والمطابقة، وعلى التذليل والتنميم، وعلى التشبيه الكاشف للمعنى. وينتهي في البيتين الأخيرين إلى النتيجة، وهي تقدير دور الشعر في سمو النفس، وتخليصها من هموم الحياة، مع اعلن عجزه عن تفسير التناقض في النفس البشرية العميقـة الأغوار. يقول :^(٩)

أَمْ أَنْتَ شَيْطَانٌ شَقِّيْ قَاهِرْ
 فَكَانَكَ الصَّبَحُ الظَّرُوبُ الزَّاهِرْ
 فَكَانَكَ الْلَّيْلُ الدَّجِيْ الْكَافِرْ
 تَوْحِيْ الشَّعُورَ فَتَسْقُرُ خَوَاطِرْ
 قَتْصِيْنَخَ آذَانَ لَهَا وَمَشَاعِرْ
 فِي عَرْشِكَ الْفَضِيْ مَلِكَ بَاهِرْ
 فَكَانَكَ الْبَحْرُ الْخَضْمُ الْهَادِرْ
 فَكَانَمَا أَنْتَ الْخَيْلُ السَّافِرْ
 وَسَمُوتُ بِالشِّعْرِ الَّذِي هُوَ طَائِرْ
 حَارُ الْلَّبِيبُ بِهَا وَضَلَّ شَاعِرْ

مِنْ أَنْتَ يَا نَفْسِي مَلَكُ طَاهِرْ
 أَنِي أَرَاكَ مَعَ الظَّلَامِ ضَحْوَكَةَ
 وَأَرَاكَ فِي الصَّبَحِ الْجَمِيلِ حَزِينَةَ
 وَأَرَاكَ أَحْيَانًا نَبِيَا مَلِهْمَا
 صَوْرَ تَحْرِكَ قَلْبَ شَعْبَ جَامِدَ
 وَأَرَاكَ فِي دُنْيَا الْخَيْلِ مَلِيْكَةَ
 وَأَرَاكَ فِي أَفْقِ اضْطَرَابِ ثَائِرَ
 وَأَرَاكَ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ طَلِيقَةَ
 أَفْلَتَ مِنْ سَجْنِ الْهَمْمَوْنِ وَقَيْدَهَا
 أَنِي أَرَاكَ مِنَ التَّنَاقْضِ صَوْرَةَ

وفي قصيدة (الصديق الضائع) يلخص الشاعر نتيجة تجربته في البيت الأول من خلال أسلوب النفي، ثم يفصل أحداث تلك التجربة في الأبيات الباقية، متخذًا من البدر محوراً أساسياً لهذه الأحداث. ويبداً دور البدر في البيت الثالث حين يطرح عليه الشاعر أسئلته حول الصداقة والصديق وأنواع الأصدقاء. حتى يأتي الجواب في البيت الأخير معلقاً غير حاسم، وان كان السياق العام يوحي بعدم وجود الصديق المثالي كما يشير إلى ذلك العنوان. وقد اعتمد الشاعر في بناء قصidته على عدة أدوات فنية ونحوية وبلاغية، أهمها التكرار الذي جمع بين عناصر مختلفة من هذه الأدوات كالحال الذي تكرر تسع مرات مثل (باحثاً - مشرقاً - صادق الود - حافظاً - يفديك - يواسيك - تمثال وهم - تمثال كذب - حلماً) وكالفعل الماضي (شهد) الذي تكرر خمس مرات، و(هل) المفيدة للتصديق التي تكررت ثلاث مرات، وأم المقطعة الدالة على الاضراب التي تكررت مرتين إلى جانب تكرار لفظ (الصديق) سبع مرات باعتباره قطب رحي الموضوع، كما استند بناء القصيدة على أسلوب التطابق والمقابلة بين الصديق الحقيقي والكاذب، وذلك في الأبيات رقم (٣،٤،٥،٦،٧،٨)، والسؤال : هل لاختيار الشاعر للبدر ليكون حكماً في هذه المسألة معنى محدد أو فلسفية معينة؟، والجواب نعم، فالبدر هو مثال الجمال وال تمام والكشف والإيضاح والمناجي الأكبر للساهرين في الليل، وهو مصدر الهم الشعراً وموضوع تأملاتهم وتشبيهاتهم الجميلة، يقول:^(١)

(١) ديوانه : مدينة الدراري : ٣٥

لا نقش طيات هذا الوجود
 طالما قد سهرت أرנו إلى النجم
 أيها البدر هل شهدت خيلا
 هل شهدت الصديق يفديك بالمال
 و الصديق الذي يواسيك في الخطب
 لا الصديق الذي يفيض رباء
 أم شهدت الصديق تمثال وهم
 أم شهدت الصديق تمثال كذب
 هل شهدت الصديق حلما تراءى
 فإذا البدر هامس بصدقي الوحي
 إن هذا السؤال قد حار فيه

باحثا عن صديك المنشود
 وللبدر مشرقا في الورود
 صادق اللود حافظا للعهود
 وبالنفس ذاك أقصى الحدود
 وفي مذبح الشقاء الشديد
 من ضمير مصور من حقود
 خلقته رؤي الخيال الشرود
 ورباء مزخرف في البرود
 فتواري وراء أفق بعيد
 باذني مسهد مجهود
 عبقري من قبل رب القصيد

ولسعيد الخنizi قصيدة مكونة من أربعه عشر بيتا عنوانها (نجمة الفجر) كان أسلوب النداء حجر الزاوية في بنائها، وقد صحب الشاعر نجمته منذ بداية القصيدة وحتى نهايتها فأشركها أولا في بثه وشكواه من قسوة الدهر معه وجور الزمان عليه، كما أشركها أخيرا في تمنياته أن يعيش الناس جميا في خير وسعادة ومحبة ونقاء، وقد اعتمد الشاعر في التعبير عن مشاعره المختلطة والمتناقضه على أسلوب الاطناب الذي تمثل في التكرار القائم على الجملة الفعلية والاسمية. وقد أصبحت القصيدة بهذا الأسلوب الذي تكرر أربع عشرة مرة أشبه ما تكون بفاصلة موسيقية متعددة النغم والألوان إلى جانب ما أضافه الجنس التام في البيت العاشر من جرس موسيقي عذب كذلك كان لأدوات الاستفهام هل المفيدة للتصديق وكيف المبينة للحال وأي المحددة للسبب والنوع، أثر في ابراز شكوى الشاعر، وكأنه يسجل اقرار النجمة لما يلقاه من الدهر من عناء وبؤس، ولم يقتصر أثر التكرار على الجانب الشكلي فقد كانت له دلالته الواضحة على نفسية الشاعر المترجمة بين اليأس والرجاء والألم وقد جاءت أكثر أحداث النص في صورة الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، كما لعب النعت والحال دورا في اضفاء المزيد من الوضوح والحركة والحيوية في الأسلوب، بالإضافة إلى ما أضافته الصور المتمثلة في التشبيه والاستعارة من ابانية وقوه وجمال، كما نجد ذلك في تشبيه دموع القلب بالأسمهم الحمراء،

والاستعارة المكنية في مد الدهر جنابي ونحو ذلك، ولم يخل النص من الطباق المميز للأشياء كما في الضياء والظلماء وغيرها. يقول: ^(١١)

ومن ناحية الموسيقي الخارجية في قصائد محمد سعيد الخنizi الحكمية فقد جاء أكثرها في البحر الخفيف ثم المديد فالرجز فمشطور الكامل، أما القافية فقد استعمل في رويها حرف الراء بكثرة ملتصقاً بـ ألف التأسيس في بعضها كما في قصيده التي مطلعها :

حائر الفكر شريذ الخاطر

پا شبا پا تائھا فی دربہ

وقوله أيضاً:

أم أنت شيطان شقي قاهر

من أنت يا نفسي ملاك طاهر

٦٧ : شمس بلا أفق : ديوانه (١١)

والتزم في بعضها حرف الياء الذي قبل الروي كما في قصيده التي اولها :

سألتني أسماء ذات مساء عن سكوني وحيرتي وفتوري

وفي بعضها الآخر التزم ألف الاطلاق التي بعد الروي، كما في قوله :

لأن أضيق بعالم الأحداث صدرا

كما استخدم روي الدال التي قبلها مد، فيقول في مطلع قصيده (الصديق الصانع) :

باحثا عن صديقك المنشود لا نقش طيات هذا الوجود

واستعمل النون رويها في قصيده (اليها) ملتزما حرف المد قبلها أيضا. يقول :

خially يطوف في الأذهان أنا إن مت في غد وتحولت

كما استعمل الياء المطلقة رويها في قصيده (لا تقولي) التي تبدأ بقوله :

لأ تقولي إن الحياة ستطوي ويموت الغرام شيئا فشيما

واستعمل حرف النون رويها ملتزما حرف الردف قبلها، وذلك في قصيده (في ظلال عكاظ) وفيها يقول :

عبد القيس نطل في كوة الأم س وترجي الخطأ إلى العرفان

وفي قصيده الحوارية الطويلة استخدم الخنزيري عدة قواف ضمت روي الميم والراء والدال والهمزة والهاء، وكلها كانت مردفة بحرف المد الذي قبلها. وقد بدأت القصيدة بخطاب الهيكل للروح في الأبيات التي مطلعها :

حديثي يا نفس عن أفق الروح وكيف الحياة في الأرحام

وقد أجابته الروح بالأبيات التي اولها :

أيها الهيكل الذي ان تجرد
ت من الروح كنت كالأحجار

واستمر الحوار بينهما حتى نهاية القصيدة التي بلغت تسع وأربعين بيتاً، وقد اتخذت من الخفيف قالباً موسيقياً لها. واستعمل الخنيري الهمزة المكسورة روايا في قصيده التي مطلعها :

نجمة الفجر هل شهدت دموعي
وأيني وزفرتي وبكائي

كما وفر الخنيري لقصائده بعض الموسيقي الداخلية المتمثلة في الجناس الناقص الاشتقافي، كما في قوله :

أنا كالمرأه للجروح أسير فوق الجرح عطرا

وكما نري في قوله :

ورؤاد يجلو خفايا الصدور
بين عقل يحس كل خفي

وكما في قوله أيضاً :

لست أدرى سر الحياة ولا الموت وسرا لاتراح والأفراح

وهكذا نجد أن الشاعر محمد سعيد الخنيري يكاد ينفرد بين شعراء عبد القيس بهذا الكم من القصائد المستقلة بموضوع الحكمة .

رابعا

الألفاظ والمعاني

جاءت حكمة العبدية في عمومها سهلة الألفاظ قريبة التناول، واضحة التراكيب، عنده الكلمات، دققة التعبير، سواء ما ورد منها على لسان شعراء الجاهلية أو الإسلام، نجد هذا في شعر المتنبّع العبدى وغيره، فقد تميز أسلوب هذا الحكيم الجاهلي بالسهولة والوضوح - غالباً - كما نرى في قوله : معلنا رأيه الصريح وموقفه الحكيم من الصنف المتلدون من الناس والصنف الواقع منهم. ^(١)

حين يلقاني وان غبت شتم
عنه أذناي وما بي من صمم

ان شر الناس من يكشر لي
وكلام سيء قد وقرت

وسجل يزيد بن خذاق في ألفاظ مألوفة وكلمات سهلة حكمة قبيلته في اتخاذها الموقف المناسب من مكر النعمان بن المنذر، عندما قرر غزو قبيلة الشاعر، وبين أنها جاهزة لرد عدوانه بكتائبها الساحقة للمعددين. يقول : ^(٢)

تلق الكتائب دوننا تردي
والمكر منك عالمة العمد

ان تغز بالخرقاء أسرتنا
و مكرت معتليا مختتنا

واستطاع الممزق العبدى بألفاظه الرقيقة السهلة وعباراته السلسة، أن يستل غضب النعمان، ويظفر بالعفو منه، بسبب اتهامه بالاشتراك مع التائرين في عمان، موضحاً بالحجة عدم وجود ما يدينه من كفالة موقعة أو اتفاق مكتوب، فيقول : ^(٣)

والا فادركني ولما امزقني
والا تداركني من الهم أغرق
كفالت عليهم والكفالة تعنق

فان كنت مأكولا فكن انت آكلا
اكفلتني أدواء قوم تركتهم
فلا أنا مولاهم ولا في صحيفه

(١) ديوان المتنبّع العبدى : ٢٣٠

(٢) الضبي : المفضليات : المفضلية ٧٨

(٣) الأصماعي : الأصماعيات : الأصماعية : ٥٨

وفي وضوح تام، ولغة تقترب في سهولتها من لغة هذا العصر، يدعو ابن خذاق العبدى
إلى المجازاة بالسوء ومنع الناحية، فيقول:^(٤)

لhma لآkhlه بعوD يشتوi
امنع من الأعداء عرضك لا تكون

وإذا كانت السهولة والبساطة من سمات شعراء عبد القيس، فإن المسألة ليست مسألة
بساطة وإنما هي مسألة اختيار كلمات، تؤدي دورها في إبراز العاطفة والشعور، فليست
الألفاظ في بساطتها هي المحك ولكن الطاقة أو العاطفة التي يسbigها الشاعر عليها هي التي
تحدد قيمتها.^(٤) فالمتقب العبدى عندما أراد أن يشبه مغتاباً وغاً في اعراض الناس استخدم
لفظة الضرم التي تعنى في الأصل اشتعال النار لتدل على شدة الجوع عند الأسد :

في لحوم الناس كالسبع الضرم لا تراني راتعاً في مجلس

والشاعر حرث العبدى رأى في كلمة يخر إيحاء بحركة ليس أنساب منها في وصف
السيف الذي يحمل الموت للدفاع عن الشرف :^(٥)

الأمنا اليوم الذي يفر منه الردى يخر

وابن المقرب العيوني عندما أراد التعبير عن يقظته واستعداده لما يطمح إليه، استعمل
كلمة طلقي القوية التأثير : فيقول :^(٦)

انما طيب الكري بعد السهاد يا جفوني طلقي عنك الكري
والمنايا رائحت وغوادي ما الذي يقعدني عن همتني

والأمثلة كثيرة إذا رحنا ننتبه، فحكمة العبديين في جملتها من هذه النماذج السهلة
الألفاظ الواضحة المعاني، ويعلل د. المعيني : سبب ذلك في قوله (ولعل مصدر هذه
السهولة البيئة المدنية، فإن المدن والمناطق الساحلية كانت أكثر استقراراً وتحضراً فلانت

(٤) البحترى : الحماسة ١٦٩، العالم : شعراء البحرين في العصر الجاهلي ٢٢٨ (مخطوط)

٣٩ نفسه

(٥) (٦) ديوان ابن المقرب : ١٨٠

لغتها وسهل شعرها، وقد لاحظ ابن سلام أن عدي بن زيد إنما لأن لسانه وسهلت أشعاره لأنه يسكن الريف وال hairy. ومن هنا فإن اتصال العبيدين بالأمم الحضارية القريبة منهم والبعيدة عنهم كان له أثر في سهولة لغتهم ووضوح عباراتهم قد يكون هذا وذاك وهم على أي حال غير قابعين في معامل التعبير والتتفيق الشعري فلا يتصنون العبارات ولا يغتصبون الألفاظ وإنما صدروا عن طبع سهل في بيئة حضارية فجاء شعرهم سهلاً في الألفاظ صافياً في كلماته واضحاً في تراكيبه ومعانيه^(٧).

ونحن نري هذه السهولة عند الشعراء الآخرين الذين شاطروا عبد القيس في بيئتها المدنية، فما لک المزموم الذهلي - وهو من شعراء البحرين القدماء - لم يجد أحسن من لفظة (طironi) للتعبير عن سرعة خروجه من البلاد بعد أن يئس من عدل الحكام، حتى صارت ناقته هي وطنه المتنتقل. يقول :^(٨)

ما لک النصف من بنی الحکام السیر وکونی جوالة في الزمام	طironi عن البلاد و قالوا ناق سيري قد جد حقا بنا
--	--

ولكن ذلك لا يعني عدم وجود بعض الكلمات الغريبة والتركيب العويصة والصعبة، كما نري في قول أم النحيف العبدية :^(٩)

ما زال ذو البغى شديداً هيصه
يطلب من يقهره ويهمصه
ظلماء وبغياء والبلاء ينشصه
حتى أتاه قرنه فيقصه
فغاد عنه خاله وعرصه

(٧) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢٠٨ - قسم الدراسة.

(٨) المرزباني : معجم الشعراء ٣٦٣

(٩) المرزباني : أشعار النساء : ٩١ تحقيق سامي العاني وهلال ناجي، الهيسن : العنف بالشىء . يهمصه : يدقه ويكسره. ينشصه : يقهره، يقصه : الوقص : كسر العنق. عرصه : العرص : النشاط

ونجد في حكمة ابن المقرب بعض الغريب، من ذلك قوله : (١٠)

أباح اليعر لحم الشيدمان
يما كرني وجلف حنظيان

ولج باب الخمول فذا زمان
أ Axel د بين خب أحوالان

ويقول أيضا : (١١)

يصير الفتى أحدوة في الشكانك
إلى مقرف رجم الظنون الأوابك

وحافظ على الذكر الجميل فانما
ولا ضارع طوع المنى يستقرني

وقد استعمل المتقب العبدى ألفاظا ليست في المعجم، وان كانت مألوفة، من ذلك كلمة
(لطم) في قوله :

حسن مجلسه غير لطم

باكر الجفنة ربعي الندى

وفي المفضليات أن هذا الجمع ليس في المعجم. ويقول المتقب :

فقد كانت حواجبهم تشيب

يطيف بنصبهم حجن صفار

وكلمة حجن لم ترد في المعاجم، كما يذكر محقق الديوان، ومعناها صبيان (١٢)

كما تسربت إلى شعر العبديين - وعلى رأسهم المتقب - العديد من الألفاظ الأجنبية، ولا
سيما الفارسية، عن طريق الاختلاط والاحتكاك بهؤلاء القوم، من ذلك كلمة (قسطار)
الفارسية التي استعملها المتقب حينما تحدث عن البدرات التي تؤخذ من مال ملك تجبي له
الغرائب وتصل إلى سبعين قسطارا من الذهب :

سبعون قسطارا من العسجد (١٣)

من مال من يجب ويجب له

(١٠) ديوان ابن المقرب : ٦٢٥ - اليعر : الجدي - الشيدمان: النب.

(١١) نفسه : ٣١٣ - الشكانك : الجماعات من الناس . المقرف في النسب : الهجين.

(١٢) ديوان المتقب : ٢٦١

(١٣) نفسه : ١٣

و عند حديثه عن رحلاته اللاهية والجادة، ووصفه لزاقته بالضخامة والقوة، استعمل الشاعر لفظتي دكان و دربان، فarsiستان الأولى بمعنى الحانوت أو دكه الرحيل، والثانية بمعنى الباب، فيقول : ^(١٤)

دكان الدرابة المطين

فأبقي باطلي والجد منها

وفي وصف ابو محمد العبدى الهمذانى صورة شبدىز وصفا يقوم على التأمل والاعتبار ، نجد شيئاً من الفارسية ، فيقول : ^(١٥)

مقالته صورة شبدىز
في ملك الدنيا أبرويز
يلحق موطواً بمهمور
بخطرسم ثم مرمز
رنق يعانيها بتوفير

من ناظر معتبر أبصرت
تأمل الدنيا وأثارها
يوقن أن الدهر لا يأتي
أبعد كسرى اعتاض من ملكه
يغبط ذو ملك على عيشه

ومن ذلك (روزنة) كما في قول أبي المظفر العقسي ^(١٦)

لأن العين روزنة القلوب

و ضاق لأجل عينك كل قلب

ومن غير الفارسية (جذث) بمعنى القبر ، وهي من أصل عبراني ، وقد وردت في شعر مسعود بن سلامة عندما طلب من صاحبته ألا تلومه على شجاعته وانفاق ماله في وجوه الفتنة والغروسيه ما دام الانسان يسير إلى قبر تذروه الرياح : ^(١٧)

أقلى على اللوم اني صائر

إلى جذث تسفي عليه الأعاصر

وقال عمرو المحاربي وهو يبكي الريان بن حويص صاحب هراوة عبد القيس داعيا
لقبره بمطر هطول : ^(١٨)

(١٤) المصدر السابق : ٢٠٠

(١٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٣٢٠/٣

(١٦) الباخري : دمية القصر ٤٨١/٢ - دار العروبة بالكويت . والسيد ادی شیر : الألفاظ الفارسية المعربة ٧٢ - مكتبة الآباء اليسوعيين - بيروت

(١٧) البحيري : الحماسة : ٢٠٥

(١٨) الكلبي: أنساب الخيل. ص ٩٠ - الدار القومية للطباعة والنشر.

سقي جدث الريان كل عشية

من المزن وكاف العشي دلوج

وإلى جانب الألفاظ الداخلية ورد في المصادر أن عبد القيس كان لها ألفاظ تستخدمها خاصة بها مثل (معين وأقواع ومداف) ، كما أنهم كانوا يستعملون ألفاظ التضاد، ومنها لفظة (جل) التي تعني العظيم والصغير، إلا أنهم استعملوها بالمعنى الثاني، يقول المتنبب العبدبي :^(١٩)

غير يوم الحنو في جنبي قطر

كل يوم كان عنا جلا

و تقول ابنة حكيم العبدية :^(٢٠)

قتل اليوم حكيم بن جبل
كل شيء ما خلا هذا جل

يا آل عبد القيس أزرى بالأمل
قطعت رجل أبي من ساقه

يقول د. المعيني : "وليس الأمر في هذه الدراسة أن ننتبه كل الكلمات الأعجمية ولا أن ننحرى عن جميع مفردات اللغة العبدية والبرهانية، فهذه مسألة في حاجة إلى بحث طويل ليس مكانه هنا، ومن جانب آخر فإن شعر العبديين كما ذكرنا لم يصل إلينا كاملاً لتفه فيه على مثل هذا البحث وتلك الظواهر "^(١١). وحول تعليل تأثر لغة عبد القيس بالألفاظ الأعجمية يقول المعيني : " وكل ما أردناه من تعقبنا لبعض المفردات والكلمات أن نشير إلى أن لغة عبد القيس تأثرت بالمواطن والماراكز الحضارية وبلغات الأمم التي اتصلت بها، وأشهر تلك الأمم الفرس، ومن هنا كان هذا الظهور للمفردات الفارسية في لغة العبديين، وقد لاحظ الباحثون المفردات الفارسية في شعر الأعشى والمتنميس وأبي داؤد الأيداري وعدي بن زيد، وذلك لصلتهم وصلة قبائلهم المباشرة وغير المباشرة مع الفرس^(٢٢). ويقول د. مصطفى عبد اللطيف : " يمكن أن نلحظ بصفة عامة أن الحكمة والوعظ والرثاء المباشر تمتاز بلغة ما تزال حية في اللسان العربي"^(٢٣).

(١٩) ديوان المتنبب : ٧١

(٢٠) الحطي : الأضداد ١٤٩ / ١

(٢١) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي / قسم الدراسة ص ٢١١.

(٢٢) نفسه ص ٢١١.

(٢٣) الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص ٢٥٥.

وكذلك لم تكن معانيهم غامضة في جملتها، وقد جاء بعضها جديداً مبتكرة، فغلب على أفكارهم شرف المعنى وصحته، وجده وظرافته، يقول أبو عمر بن العلاء أن ما قاله يزيد ابن خذاق العبدى في ذم الدنيا هو أول شعر قيل في هذا المعنى ولعله يعني أبياته التي منها: ^(٤)

وأبدي لنا ظهر أجب مسلعا
وصعر خديه وأنفا مجدعا

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة

ويرى أحمد بن أبي طاهر أن الفرزدق أخذ أبيات الأعلم العبدى التي أولها :

ستور بيوت الحي حمراء حرفة

اذا أغرب آفاق السماء وكشفت

والتي كان آخرها :

فلا هو مما ينطف الجار ينطف

ترى جارنا فيما يجير وان جنى

فأخذها الفرزدق من قصيده التي مطلعها : ^(٥)

وأنكرت من حوراء ما كنت تعرف

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف

اما قول الأعور الشنني :

عليه الأربعون عن المعالي
فليس بلاحق أخرى الليلي

اذا ما المرء قصر ثم مرت
ولم يلحق بصالحهم فدعا

فقد أخذ معناه الخريمي فقال : ^(٦)

له دون ما يهوى حياء ولا ستر
وأن جر أذىال الحياة له الدهر

اذا المرء وفي الأربعين ولم يكن
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى

(٤) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : ٢١١

(٥) الموشح : ١٧٤ - نهضة مصر

(٦) الخالديان: الأشباه والنظائر ١٢٨/٢

ويقول المتقب العبدى :

أن تتم الوعد في شيء نعم
و~~قبيل~~ قولاً لا بعد نعم

لا تقولن اذا مالم ترد
حسن قول نعم من بعد لا

وقد أخذ أحد الشعراء هذا المعنى فقال :

فإن نعم دين على الحر واجب
لئلا يقول الناس أنك كاذب

إذا قلت في شيء نعم فأتمه
وإلا فقل لا تستدح وتبها

ولعل شوقي حين قال :

ولكن تؤخذ الدنيا غالباً

ما نبا، المطالب بالتنمية

نظر الله، بنت ابن المقرب، وهو قوله (٢٧)

مسیر او طعاز او چلاد

ازما تدریک خارجات المنه

وربما أخذ شعراء عبد القيس بعضهم من بعض، فقد أخذ عمرو الشنوي من الأعور
الشنوي أبياته التي أولها :

بسالمة العينين طالبة عذرا

وَعَوْرَاءُ حَاجَاتِهِ مِنْ أَخْفَرِ دَدْتِهَا

كما فعله أنه غير القافية، وبعض الكلمات يقول : (٢٨)

ولم أخذ فيما مضى بيننا جرما
ولم أفع عنها أورثت بيننا صرما
ولم أخذ ما فات من حلمه غنما
لأظهرت للاقوم في وجهه وسما
وأعطف من نفسي اذا لم أخف هضما

و عوراء جاءت من أخ فرددتها
ولو أني اذ قالها قلت مثلها
ذكرت بها الود الذي كان بيننا
ولولا الذي لم يرجه ورجوته
و اني لاعفو عن ذنوب كثيرة

١٧٦) ديوان ابن المقرب (٢٧)

(٢٨) **الخالبيان** : المختار من شعر بشار ١١٠، ١٠٩ تحقيق السيد محمد العلوى - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

وأخذ ابو البحر الخطبي تشبيهه في قوله : (٢٩)

فمكّة وهي أشرف كل أرض
تحمل ظاعنا عنها الرسول

من قول ابن المقرب الذي كان أكثر تقصيلا، حيث يقول : (٣٠)

إلى يثرب تسرى به العيس مصعدا
سبيل العدا والبغض من قومه بدا
فقد رحل المختار عن خير منزل
و جاور في أبناء قيلة اذرأى

أما المثل المعاصر الشائع (ضرب به عرض الحائط) فقريب في معناه مما ورد في
قول الشاعر العباسي أبي هفان العبدى، يقول ساخرا : (٣١)

والمال يرفع كل وغد ساقط
(واضرب بكتب العلم وجه الحائط)
المال يستر كل عيب في الفتى
فعليك بالأموال فاقتصر جمعها

ولعل المثل المتدال في الأوساط الشعبية (ما تحرق النار الا رجل واطيها) مأخوذ من
قول ابن المقرب : (٣٢)

(لا تحرق النار الا رجل واطيها) ولا تلفت إلى قول يزيد ضئلي

ولم يفت شعراء عبد القيس الاستفادة من معانى الساقدين، ومن هؤلاء ابن المقرب الذي
استعان لاثراء حكمته بثقافته الأدبية الواسعة، وكان يأخذ معانى ساقديه، ويصوغها حكما،
ولكنه كان يتصرف فيها بالإضافة أو التغيير في بعض الجزئيات، وكان معينه الأول
دواوين شعراء الجاهلية، فقد أخذ قوله : (٣٣)

أبيح حماه واسترقت حلاله
ومن لم يبح رزق الآسن لحمه
من قول وهير :

(٢٩) ديوان أبي البحر الخطبي : ٨٦

(٣٠) ديوان ابن المقرب : ١٥٥

(٣١) مقدمة كتاب أبي هفان : أحبكار أبي نواس بتحقيق عبد الستار فراج : ١٢٠

(٣٢) ديوان ابن المقرب : ٦٥٠

(٣٣) نفسه : ٢٢٨

يذم و من لا يتقى الشتم يشتم

و من لم يزد عن حوضه بسلاحة

كما نظر في قوله : (٣٤)

ومات أذل من فقع بقاع

و من هاب المنايا آدركته

إلى قول زهير أيضا:

وان يرق أسباب السماء بسلم

و من هاب أسباب المنايا ينله

و أخذ قوله : (٣٥)

أشد على الأحشاء حرا ولا هبا

بلى ان ظلم الأقربين وجده

من قول طرفه :

على المرء من وقع الحسام المهند

و ظلم ذوي القربى اشد مضاضة

و استمد قوله : (٣٦)

و عرفت ما يبدي وما يتغيب

ولقد حلبت الدهر أشطر نابه

من قول لقيط الأيدي :

يكون متبعا طورا ومتبعا

ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره

ونظر في قوله : (٣٧)

اذا أنت عوذ الرأقي ولا النشر

وليس تدفع عن حي منيته

(٣٤) المصدر السابق: ٢٦٦

(٣٥) نفسه : ٣٩

(٣٦) نفسه : ٨٦

(٣٧) نفسه : ٢٣٤

إلى قول يزيد بن خذاق :

أم هل له من حمام الموت من رافق

هل للفتى من بنات الدهر من واق

ويقول ابن المقرب : (٣٨)

قليل افكار في أمور العوائق

و ما بلغ العليا إلا ابن حرة

و هو من قول جعفر بن علباء :

يرى غمرات الموت ثم يزورها

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة

ويقول المتنبئ العبدى على لسان ناقته : (٣٩)

اما يبقى على ولا يقيني

أكل الدهر حل وارتحال

ولابن المقرب بيت قريب من هذا، يقول : (٤٠)

اما لذنو دارك من تداني

أكل الدهر نأي واغتراب

ولعل ابن المقرب في قوله : (٤١)

وانى لأدنها اذا ناب مغم

و انى لأقصاها اذا ناب مغم

تأثير بقول عنترة :

أغشى الوغى وأعف عند المغم

ينبئك من شهد الواقعة أنتي

٦٦ (٣٨) المصدر السابق :

١٩٨ (٣٩) ديوان المتنبئ :

٦٢٥ (٤٠) ديوان ابن المقرب :

٤٤٩ (٤١) نفسه :

أما قول ابن المقرب : (٤٢)

جوارك ضبعانا وسيدا وخددا

وخير جوار من عدو مكاش

فانه يذكرنا بقول الشنفري :

وأرقط زهلو وعرفاء جيال

ولي دونكم أهلون سيد عملس

هذا إلى جانب تأثره الواسع بالمتتبى . كما رأينا فيما سبق . كما عارض ابن المقرب بعض سابقيه من فحول الشعرا ، فصاغ شعره على نهجهم ومنوا بهم ، من هؤلاء قطرى بن الفجاءة صاحب العينية التي مطلعها :

من الأبطال ويحك لن تراعي

أقول لها وقد طارت شعاعا

فقد نظم ابن المقرب عينية له عدتها ثلاثة وخمسون بيتا ، سلكت مسلك السابقة في البحر والقافية ، وربما في بعض المعاني والألفاظ والصور . والقصيدة ذات شقيين متساوين الأول في الحكمة والثاني في الفخر ، وفي القسم الأول وضح الشاعر منهجه في الحياة ، وهو منهج القوة والاقدام والمخاfraة في سبيل المجد والكرامة ، مستندا إلى اسلوب الاستفهام الاستكاري تارة ، وإلى اسلوب النفي تارة أخرى ، وهو في اسلوب الاستفهام يحتمكم إلى العقل والمنطق ، فكل تجمع يؤول إلى فراق ، وكل حي ماله إلى الموت ، والأمل في بر الله ورحمته عظيم ، أما في الأسلوب الثاني وهو النفي فيحتمكم إلى العاطفة الفواردة لذل والهوان والضعف والخور . يقول : (٤٣)

فما خوف المنية من طباعي
بصدق العزم صار إلى اتساع
تصيره الممنون إلى اندفاع
سينعاه إلى الأقوام ناع
وربى بالكرام أبر راع

ردى من الحنوف ولا تراعي
و عزما صادقا فلكم مضيق
الأحل بالفارق وكل شعب
وأرعب أن أموت وكل حي
وأخشي الفقر والدنيا متاع

(٤٢) المصدر السابق : ١٥٤

(٤٣) نفسه : ٢٦٦

بعيد اليأس داعية اجتماع
ملقيها بآراء شعاع
وباع في المكارم أي باع
لدي ولا حياني في اتساع

وكم من فرقة طالت فكانت
ولست اذا الهموم تأوبتي
ولكنني سألقهاها بعزم
وان الموت في طلب ارتفاع

وقد ضمن ابن المقرب قصيده بالبيت التالي :

"اذا ما عد من سقط متاع"

"فما للمرء خير في حياة

وهو من شعر ابن الفجاءة في تلك العينية، يقول **أحمد الخطيب** "وحين نقرأ هذه القصيدة نستشعر بروح قطري الخارجي تطالعنا في ألفاظه ومعانيه، كما لا نحس أدنى اختلاف في موسيقاها القوية الصاحبة التي تخلع القلوب ^(٤٤) ، وعلى الرغم من ان قصيدة ابن المقرب من قبيل المعارضات التي يتکيء فيها الشاعر اللاحق على الشاعر السابق، إلا أن قصيدة شاعرنا كان لها نكها وخصوصياتها إلى جانب ما تميزت به من الطول، يقول د. الخطيب : "أيضا: ولكن قارئ ديوان ابن المقرب لا يحس أن هذه القصيدة تمثل نغما نشازا بين قصائده، فقد ارتفع فيها ابن المقرب إلى قطري بالاتكاء على قصيده، وجاءت قصيدة شاعرنا منسجمة تماما مع طبعه ونفسه، كما استطاع أن يطبعها بطوابعه، ويلقي عليها ظلا من نفسه وفنه، وأن يجعل منها عملا فنيا ذا شخصية مستقلة لا يعييه أن يتمثل تجربة سابقيه . ^(٤٥)"

وعارض ابن المقرب نونية ابن زيدون التي مطلعها :

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

أضحي الثنائي بديلا من تدانيها

بقصيدة طويلة عدتها اثنان وستون بيتا، بدأها بالشكوى مما آلت إليه البلاد في عهد أميرها أبي القاسم مسعود بن محمد، من تمكين الأعداء وتقريبهم، واقصاء الأقربين الناصحين والأصدقاء المخلصين، ومطلعها : ^(٤٦)

(٤٤) شعر على بن المقرب العيوني ٢٤٦

نفسه

(٤٥) نفسه : ٦١١

(٤٦)

بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا

فامنن ببقيا وأودعها يدا فينا

وتشتمل القصيدة على أبيات حكمية صيغت بأسلوب ساخر ، كقوله :

اذا لم يكن ضعفنا الا بأيدينا
من قبل الحق تالينا بماضينا
ارضا قراراها بأيدينا ولا لينا
تظنن القوم زهدا في مغانينا
من الغنى والقليل النزر يرضينا
في أرضنا لا لأن المال يطغينا
شأننا عظيما ودونه الدوايننا
وكان أرجحها عقلا وتمكينا

فالحمد لله حمدا لا نفاذ له
خافت بنو عمّنا أمرا يعاجلنا
فلم تدع لمراج سلب نعمتها
هذا هو الحزم والرأي السديد فلا
والفقر في أرضنا خير لصاحبها
لما يعانيه رب المال من تعس
فانظر أخا العقل والتديير ان له
لم يهتد المرء كسرى أن يدبره

كما تأثر ابن المقرب بروح أبي تمام في قصيده التي مطلعها :

في حده الحد بين الجد واللعب

السيد أصدق أنباء من الكتب

فنظم قصيده التي مطلعها : (٤٧)

ما لي بشيء سوى العلياء من أرب

بيني بما أنت من جدي ومن لعبي

وتنقارب القصيدتان في بعض أبياتهما ، كما في قول ابن المقرب

س المنيرة قد غابت ولم تغب

الضا ربي الهم في يوم تخل بالشمس

فهذا القول يماثل قول أبي تمام في بائيته :

والشمس واجبة في ذا ولم تجب

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت

يقول د. الخطيب : فإن المقرب - كاي شاعر آخر - قد تأثر بفحول شعراء العربية بعد أن قرأ أسفارهم ووعاها، وقد أسهمت هذه القراءة أو الاحاطة - دون شك - إسهاماً حسناً ملحوظاً في تكوين شاعريته، وفي تحديد أبعادها، ولكن ذلك كله لا يعيب قدر شاعرنا فتاك سنة الشعراء، منذ قديم الزمن. ^(٤٨)

وتشيع الروح الإسلامية في ألفاظه ومعانيه، وتقبس أحياناً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يشير إلى تضلعه في الثقافة الإسلامية، ففي قوله : ^(٤٩)

و صل واحتمل واخفض جناحك رحمة لهن ولا تقطب عليهم حاجبا

تأثر بقوله تعالى (واخفض لها جناح الذل من الرحمة). وفي قوله : ^(٥٠)

فان ساعني منهم على القرب معشر وأصبح من تلقائهم ما أكابد

فقد باعثت الأسباط قبلي أخاهم ببخس وكل منهم فيه زاهد

فالبيت الثاني يشير إلى قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدوده وكانوا فيه من الزاهدين). وجاء معنى قوله تعالى : (لا تأسوا على ما فاتكم ولا تقرحو بما آتاكم) في قول ابن المقرب :

و لست بمفراح بمال أفيده لعمري ولا أسي على أثر هالك

وتكرر هذا المعنى أيضاً في قوله : ^(٥١)

وما أنا في السراء يوماً فرورها ولا أنا في الضراء يوماً جزوعها

وتمثل بمعنى قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها) في قوله أيضاً : ^(٥٢)

(٤٨) شعر على ابن المقرب ٢٤٧

(٤٩) ديوان ابن المقرب : ٤٠

(٥٠) نفسه : ١٤٣

(٥١) نفسه : ٢٥٨

(٥٢) نفسه : ٦٥٠

فإن لحولك فقل كل له شجن

وفي قوله : (٥٣)

بسوء ولا باتت له عقرب تسرى

و عف فلم يمدد إلى مسلم يدا

اقتبس ابن المقرب معنى الحديث الشريف (المسلم من سلم المسلمين من لسانه و يده).

وقد يضمن شعره حكماً فقهياً، كقوله : (٥٤)

ولكن يحل الشيء وهو حرام

و ما ذاك مني باختيار ولا رضا

فهو يشير هنا إلى الحكم الفقهي (الضرورات تبيح المحظورات)

أما قول محمود الوراق :

وساعدت نفسه فيها أمانيتها

يهوي البقاء فان مد البقاء له

لما يري من تصارييف البلي فيها

أبقي البقاء له في نفسه شغلا

فقد اختصره عبد الصمد بن المعتذل العبدى في قوله : (٥٥)

وانما يفني من البقاء

يهوى البقاء رهبة الفناء

ويستعين زياد الأعجم ببعض ألفاظ القرآن الكريم في قوله : (٥٦)

وان أغب فلأنت الها Mizan

اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة

حيف على الناس أن يغتابني غمرة

ما كنت أخشى وإن طال الزمان به

(٥٣) المصدر السابق : ٢٠٤

(٥٤) نفسه : ٤٨٢

(٥٥) ابن طباطبا : عيار الشعر : ١٣٢ - دار العلوم بالرياض

(٥٦) شعر زياد الأعجم : ٧٨ - تحقيق يوسف بكار - دار المسك

وكذلك يفعل محمد الخنizi، فيستمد بعض ألفاظه ومعاني شعره من القرآن الكريم.

يقول :

موت وسر الاتراح والأفراح
والروح (فالق الاصباح)

لست أدرى سر الحياة ولا
ذاك صنع الخلاق مبدع هذا الكون

وقد تأثر الخنizi بـإيليا أبي ماضي تأثراً واضحاً، سواء في اتجاهه المقاوِل في الحياة بشكل عام، أم في بعض المعاني والأغراض الشعرية، أو في استنتاجه حكمته ونظرياته من مظاهر الطبيعة المختلفة. فكثيراً ما نجده في قصائده مثل إيليا متأملاً متكلساً حائراً فلما ظهر للناس ابتسامته ويخفي حزنه، فإذا ما خانه صبره في لحظة ما، وأظهر شكوكه وتبرمه، بادر بتغليب جانب البهجة، والأمثلة على ذلك عديدة، وان شئت فاقرأ قصيدة الخنizi التي مطلعها :

عن سكوني وحيرتي وفتوري
الشدو وهذا الربيع فجر الطيور

سألتني أسماء ذات مساء
ما الذي أسكن الهاز عن

تجدها قريبة إلى حد كبير من قصيدة أبي ماضي المنشورة في خمائله وعنوانها (وقائلة) وهي تلخص مذهب الشاعر في الحياة، وطريقته التي سار عليها أمام الناس، وذلك أن صاحبته سأله لما ذا هجر الشعر وتوقف عن اظهار اعجابه بمحاسن الطبيعة وجمال الربيع، وما بال نفسه سكتت فجأة، ويؤتى برغم أنه في ريعان شبابه، وأوج بهائه، وحوله الدنيا جميلة مغيرة. فيجيب بها الشاعر بما يطمئنها ويشفي غليلها، يقول (٥٧):

وان حطمت أباريقي ودني
ولا ضنا على الدنيا بقني
ولي وحدي تباريحي وحزني

فما حطمت يد الأيام روحني
ولم أعقد على خوف لسانني
ولكنني امرؤ للناس ضحكي

وقد اكثرا شعراء عبد القيس من استخدام أسلوب الطلب لاحدات المشاركة الوجانية بينهم وبين السامع، أو لتحقيق أغراض نفسية وتربيوية، ويعود سبب ذلك إلى أن قسماً كبيراً من حكمتهم اشتغلت على النصح والتوجيه والوصية، يقول المتقب العبدى مستعملاً صيغة النهي الإرشادية :

أن تتم الوعد في شيء نعم لا تقولن اذا مالم ترد

ويقول أيضاً مستخدماً أمر الإرشاد ونهيًّا :

هييت الفؤاد همه للوسائل فعال جسيمات الأمور ولا تكن

ويقول نشبه بن عمرو العبدى مستخدماً نهي التحذير :

لا تأمنن فساداً بعد اصلاح يا أيها المحتفى بالدهر يمدحه

ويقول الأعور الشنوى مستعملاً أمر الإرشاد :

بكف الالله مقاديرها و هون عليك فان الأمور

ويستعمل أبو المياح العبدى نفس المعنى، فيقول :

سواك وعن دار الأذى فتحول اذا خفت من دار هوان فولها

ويقول نفيل بن مرة مستخدماً أمر الإرشاد :

فأوف بها ان مت سميت و افيا اذا ما امرؤ أسدى اليك أمانة

وقد أكثروا من الالتماس في مخاطبتهم لزوجاتهم أو عرائسهم الشعرية ودعوتهم اياهن إلى الكف عن لومهم على فتوتهم. يقول مسعود بن سالم :

إلى جدث تسفي عليه الأعاصر أقلي على اللوم اني صائر

ويقول عبد الصمد بن المعتذل :

أعذلتني أقصري أبع جدتي بالمن

واستخدم حكماء عبد القيس وبخاصة أهل الجاهلية منهم أفعالاً مشتقة من صيغ التبليغ، وكأنهم بذلك يريدون اذاعة الخبر أو يطلبون من السامع تبليغه للناس، فمن ذلك قول عمرو بن أسوى : (٥٨)

فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر

ألا ابلغوا عمرو بن قيس رسالة

و يقول أنس بن مساحق : (٥٩)

وصنوي قديماً إذا ما اتصل

ألا أبلغوا خلتي رشدا

كما استخدموا أسلوب الاستفهام يريدون بذلك إيصال الأخبار والحقائق للناس وتبثيتها،

يقول الممزق العبدى : (٦٠)

والا تداركني من البحر أغرق

أكافتنى أدواء قوم تركتهم

و يقول يزيد بن خذاق :

أم خلتنا في البأس لا نجدى

احسبتني لحما على وضم

و يقول مسعود بن سلامة مخاطباً صاحبته : (٦١)

جميعاً واحوانى الذين أعاشر

الم تعلمى أن قد ترحل أخوتى

ولعل أكثر شعراء عبد القيس استخداماً لهذا الأسلوب ابن المقرب العيوني وسعيد الخنizi، أما ابن المقرب فقد لجأ إلى استخدام كافة أساليب الطلب وتكثيفها في شعره، ويقاد رصيد الشاعر من أساليب الأمر والنهي والاستفهام يسيراً في ثلاثة خطوط

(٥٨) البكري : معجم ما استجم ٨١/١ تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت

(٥٩) المرصفي : أسرار الحماسة ص ١ و ٢ مطبعة أبي الهول - القاهرة ١٩١٢

(٦٠) الحماسة : البحترى : ٢٢١

(٦١) نفسه : ٢٠٥

متوازية، وربما كان مرد انتشار صيغ الأمر والنهي في شعره إلى وفرة الحكمة واتساع مساحة النصح، ولم ينصح الناس والحكام فحسب، بل انه يوجه هذه الصيغة للحديث مع نفسه، فيأمرها ويستثثها وبينهاها^(٦٢)، وتعاورت صيغة الأمر والنهي في أسلوبه في طلب الارشاد حين يقتضي الموقف هذا التلوين الأسلوبي الذي أجاد الشاعر استخدامه فأضفي جوا من الحيوية على أبياته، وهو ما يقتضيه أسلوب الحكمة من مثل هذا التجاور والتعاور، يقول:^(٦٣)

والله والبيض الصوارم فاسأل
رزق الأسنة فهي أصدق مرسل
أن الرسول يبين فضل المرسل

لا تسألن الناس فضل نوالهم
واعمل رسولك ان بعثت إلى العدي
واعلم هديت ولا أخالك جاهلا

كما يتعاقب الأمر والنهي في مقام نصح الحكام، وأهل الحل والعقد في مواطنه، كقوله من قصيدة بعث بها إلى ابن أبي جروان، وكان من زعماء الاحساء :^(٦٤)

ترس منهم فكلهم أخو كيسان
بالنبح صولة ضيغهم غضبان

وأحذر أصحاب النصائح واح
لا تحسبن الكلب يوما دافعا

وقوله في نصح الأمير أبي منصور على بن محمد العيوني :^(٦٥)

آراء من في حبل غيرك يحطب
في الكائنات بكل من يستصحب

لا ترکن إلى العدو ولا تطبع
وأعص الذليل اذا أشار ولا تتق

أما رصيده الوافر من أساليب الاستفهام، فلعل مرده إلى احباطه وحيرته وقلق نفسه، لذا كثر هذا الأسلوب، وانتشر انتشارا واسعا في شعره، وتعددت معانيه التي أجاد الشاعر استغلالها لخدمة أغراضه، ويتقدم الاستفهام الانكاري والتعجبي على سائر معاني هذا الأسلوب، ويشكل تقوقا ملحوظا في مواطن شکواه بخاصة، كقوله :^(٦٦)

(٦٢) احمد الخطيب : شعر على بن المقرب العيوني ٣٢٤

(٦٣) بيوان ابن المقرب ٤١٢

(٦٤) نفسه : ٦٤١

(٦٥) نفسه : ٩٠

(٦٦) نفسه : ٦٥٨

أجاجا ويسقي الغير عذبا وصافيا

آلام بنى الأعمام نستيقى نطافها

وقوله : (٦٦)

إلى شامت أو باكيا أتظلم

أصبر إما شاكيا متعينا

كما أكثر من استخدام التمني في موافق الشكوى، كقوله : (٦٨)

تغادر دار القوم رباعا معطلا
وتغدو خطوط الغير أوفي وأكملأ

وهل أصبح الأعداء منكم بصيلم
أيصبح حظي فيكم وهو ناقص

ويلاحظ أن استخدام التمني يأتي غالبا في عدة من الأبيات المتتالية، وقلما يحدث ذلك في سائر معاني هذا الأسلوب، كقوله من استفهام النفي في موقف الحث والنصح: (٦٩)

فتي لو طيس الحرب مازال مفندنا
وهل فاز راض مورد الذل موردا
مليك تمطي الملك كهلا وأمراها
لو أن المداري راح بالخلد واغتندي

وهل مات من خوض الردي قبل يومه
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمداراة أو صفا

وقد يلجم إلى أسلوب الاستفهام في مقام الاتعاظ والاعتبار، ونلاحظ في هذه الحالة تلاحم الاستفهام في عدد من الأبيات المتتالية، مما يترك أثره الواضح في اثارة ايقاع هذه الأبيات، يقول : (٧٠)

ساد القبائل من عاد ومن ارم
أولاد حمير والسدات من ععم

أين الملوك وأرداد الملوك ومن
وأين طسم وأولاد التابع من

ويكثر توظيفه للاستفهام في حث قومه على النهوض ودعوتهم إلى القتال، ومنه

قوله: (٧١)

(٦٧) المصدر السابق : ٤٥١

(٦٨) نفسه ٣٦٧

(٦٩) نفسه ١٤٩ و ١٥٠

(٧٠) نفسه : ٤٨٥

(٧١) نفسه ٤٥٧

وكم يعترينا ضيمها واهتضامها
بنات الوعى يعلو الروابي قناتها

إلى كم مداراة العدى واحتراها
أما حان يافرعي ربيعة أن أرى

أما أسلوب الطلب في حكمة الخنizi فقد جمع بين الارشاد والالتماس، وقد أكثر هذا الشاعر من طلب الارشاد في صيغتي الأمر والنهي، إلا أن الصيغة الأولى كانت الغالبة، من ذلك قوله في الأمر الارشادي :

وغن الحياة لحن الصفاء
جنات حسان سحرية الاغراء
الليل تسفر ظلماوه بالضياء

فترنم يا شاعري بالمزامير
وأخلق اليوم من حياتك
أرسل الشعر كوكبا وسط هذا

ويقول جاما بين الأمر والنهي الارشاديين :

ث صدق في وجهها بالرجاء
من وكن باسمها كوجه الفضاء

فابتسم للخطوب والليل والأحدا
لا تكن ضيق الفؤاد مع العي

ونراه أحيانا، مكررا أمر الارشاد على سبيل الحث والتشجيع، ومستعملا اللفظة ذاتها لتوفير معادلات صوتية وموازنات ايقاعية، كقوله : (٧٢)

فكن أملأ أخضراء كالربيع فتفرق دنيا كدنيا الزهر
وكن نسمة كحنان الربيع تضمد عطفا جراح البشر
وكن جدولأ يملأ الخافقين فيسقي القلوب ويسقي الفكر

وقد يرد هذا الأمر الارشادي غير مكرر، كقوله يخاطب الشباب :

تبصروا الدين كفجر سافر

ارفعوا البرقع عن أبصاركم

(٧٢) ديوان سعيد الخنizi النغم الجريح ١١٤

كما أكثر الخنيري من استعمال الأمر والنهي المتضمنين معنى الالتماس، وقد تكررت هاتان الصيغتان بنفس اللفظ في أول الأبيات، مما أضفي على الأسلوب نغماً موسيقياً جميلاً، كما في قوله في الأمر :^(٧٣)

جديد على ممر الزمان
يدوي بصوته الرنان
وأذيعي الحنان في الألحان

افتحي سفر حبنا فهو كالفجر
افتحيه اذا سمعت صدي الناعي
افتحيه وابكي بقلب رقيق

و يقول ناهيا :^(٧٤)

وسكبت الفؤاد في راحتيا
ل صدأه يرن في أذنيا
زهرا عاطرا ولحنا شجيا

لا تقولي لقد أثرت شجوني
لا تقولي فان صوتك لازا
لا تقولي فانني سوف أغدو

و جاءت صيغة الأمر الالتماسي غير مكررٍ كما في قوله :

من قصيدي يرف فيها جناني

فانشدي خلف موكيبي قطعات

(٧٣) المصدر السابق : ٢٩
(٧٤) ديوان شيء اسمه الحب : ٤٥ و ٤٦

خامسًا

التصوير والتلوين البدائي

كان التشبيه أداة شعراء عبد القيس الرئيسية في التصوير، وقد كانت صورهم مادية في معظمها، استمدوها من واقع حياتهم وبيئتهم، فجاءت في كثير منها بسيطة واضحة، نري فيها صوره السابع، حين يشبه المتنبب العبدى المغتاب الذى ينهش فى أعراض الناس بهذا الحيوان. يقول : ^(١)

في لحوم الناس كالسبع الضرم لا تراني راتحا في مجلس

ونري فيها صور الملائكة، حين يخاطب يزيد بن الخذاق ابن المعلى، ويعلن له أنه ليس من هذه الفتة التي ترضي بالجور وتدفع المكوس والضرائب بذلة واذعان : ^(٢)

صراري نعطي الماكسين مكوساً ألا ابن المعلى خلتنا وحسبتنا

ونري فيها صورة الرجل الملدوغ عندما تطارد الهموم الممزق وتكلته الأهواز، يقول : ^(٣)

كما تعترى الأهواز رأس المطلق تبيت الهموم الطارقات يعذنني

وهذا التشبيه للملدوغ يتكرر عند المتنبب، وقد راح يضم رجليه إلى صدره مخافة أن يتسرّب الألم إلى جميع جسمه. يقول : ^(٤)

كأني راقي حية أو سليمها فبت أضم الركبتين إلى الحشا

ويستعين يزيد بن الخذاق بمفرمة الجزار واللحم عليها عندما أراد أن يصور للنعمان عدم قدرته على الفتاك بهم وذبح رجالهم، يقول : ^(٥)

أم خلتنا في البأس لا نجدي أحسبتنا لحما على وضم

(١) ديوان ابن المتنبب العبدى: ٢٢٩

(٢) المفضليات : المفضليات ٧٩

(٣) الأصميات : الأصميات ٥٨

(٤) ديوان المتنبب العبدى: ٢٣٨

(٥) المفضليات : المفضليات ٧٨

وقد أكثر شراء عبد القيس من استعمال التشبيه الضمني في حكمتهم، كوسيلة من وسائل الاقناع، والاعتذار، يقول جندل بن أشسط : ^(٦)

والليث منفرد والسيف منفرد
فاليحر من فوقه الأقداء والزبد

ان أمس منفردا فالبدر منفرد
او كنت أنكرت بردية وقد خلقا

ويقول أبو هفان العبدبي : ^(٧)

لا تعجبني فطلع النجم في السدف
وما درت در أن الدر في الصدف

تعجبت در من شيبني فقلت لها
وزادها عجبا أن رحت في سمل

ويقول أيضا : ^(٨)

ثيابي أن ضاقت على المأكل
له حلية من نفسه وهو عاطل

لعمري لئن بيعت في دار غربة
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه

ويقول أبو بكر الخالدي معللاً امكانية تحول العدو إلى صديق بتحول حصرم العنقود

إلى عنب : ^(٩)

صديقًا م Glam في المجالس ممعظما
يرى عنباً من بعد ما صار حصرما

و كم من عدو صار بعد عداوة
و لا غرو فالعنقود من عود كرمة

واستعمل ابن المقرب التشبيه الضمني، لتجسيد المعنى، وابرازه، وتأييده بالدليل المحسوس، فمثلاً عند نصيحته للأمير على بن ابراهيم بن جروان بتولي السلطة الآيلة للسقوط، ولكي يعيد إليها قوتها وتماسكها، يطلب الشاعر من هذا الأمير، أن يهتم باصلاح حال العشيرة، ولم شتاتها، فيضرب له الأمثلة المادية على أهمية الأعوان المخلصين، مستمدًا بذلك من الحياة الطبيعية حوله، فالنسر رغم قوته لا يستطيع التحليق في الفضاء بلا ريش، والصعو وهو الطائر الصغير جداً لا يقدر على الطيران إلا بأجنحته السليمة الملتفة حوله، والشجرة الضخمة لا تبدو جميلة رائعة إلا بأغصانها الوراثة. يقول : ^(١٠)

(٦) العبدبي: التذكرة السعدية للأشعار العربية : ١٥٤

(٧) أبو هفان: أجيال أبي نواس: مقدمة المحقق عبد الستار فراج ص ٨

(٨) نفسه ١٠

(٩) ديوان الخالدين: ٦٤

(١٠) ديوان ابن المقرب العيوني : ٦٤١

حياناً فيقعده عن الطيران
حتى يحوز مواكب الغربان
مغضودة وتزرين بالأغصان

واعلم بأن النسر يسقط ريشه
والصعو ينهضه وفور جناه
والدوحة القنواه أشين ما تري

و عندما يريد الشاعر أن يحذر أميره من الاصغاء لنصائح أدعية الصدقة والاخلاص
يشبههم بالنسبة للشاعر بالكلاب التي لا يغنى عواوها عن زئير الأسد، وبالثعالب العاجزة
عن حماية ولد الطبي من الذئاب، وبالبوم التي لا تستطيع أن تحمي الحمام من الصقر،
يقول:

بالنبح صولة ضيغم غضبان
منعت طلا بالجو من سرحان
باز لاما منعه عن ورشان

لا تحسين الكلب يوما دافعا
فثعالب الدهنا لو اجتمعت لما
ولو أن الفي بومة صالت على

ويقول أبو البحر الخطبي معلا الارتحال عن بلاد الذل : (١١)

فخير من اقامتني الرحيل
وطاول للعزيز بها الذليل
لمن أودي بهمته الخمول
تحمل ظاعنا عنها الرسول

نبت بي أرضكم فرحت عنها
اذا ذل العزيز بأرض قوم
فليس يسوغ فيها المكث إلا
فمكة وهي أشرف كل أرض

كما استخدمو التشبيه الصريح للكشف والإيضاح، يقول محمد سعيد الحنزي مبينا ما فعلته
السنين من أفاعيل غير سارة، مبتدئا باسم الاشارة الدال على الاتهام : (١٢)

نحو ي كأرافق الشجر
م وانداحت مأسى للبشر
أحلام شيخ بالصغر
ماضي بالواح الذكر

هذه السنون تكدرت
يبرست بها الأحلا
رسمت على صفحاتها
و مضت شريطا تعرض الد

(١١) ديوان أبي البحر الخطبي ٨٦

(١٢) ديوان سعيد الحنزي شمس بلا فرق ١٣٥

ويستخدم أحد شعراء عبد القيس الشجر - أيضا - كوسيلة من وسائل الإيضاح لفكته التي تقوم على أصالة المزدرى عند المنظر وأفن المجتهر عند المخبر على حد تعبير البحترى يقول داعيا إلى مجاملة الناس، وخاصة في بداية الاتصال بهم، وعدم التأثر بالجانب الشكلي أو الظاهري من شخصياتهم : (١٣)

انما الناس كأمثال الشجر	جامل الناس اذا فاجيthem
وهو صلب عوده حلو الثمر	منهم المذموم في منظره
طعمه مر وفي العود خور	وترى منهم أثىثا يانعا

وهكذا نرى أن شعراء عبد القيس قد اعتمدوا في تشكيل صورة الحكمة على التشبيه بالدرجة الأولى. ولهذه الظاهرة علاقة بالشاعر الفكرية والعاطفية، لأن الحكمة من ثمرات العقل. فالعقل أصل في الحكمة والعاطفة مساعد. والتشبيه لا يستخدم في حالة الانفعال الشديد. وقد استغل الشاعر التشبيه في تبرير حالته النفسية، وفي التبرير قدر كبير من الاحتجاج، ومن شأن هذا الاحتجاج أن يخفف من درجة العاطفة (١٤). وقد شكلت الصور البصرية غالبية هذه التشبيهات، وسبب ذلك يعود إلى أن الشاعر نقل صورا يراها بعينه، وينقلها لآخرين يمكنهم أن يرونها بعيونهم، وما يري بالعين لا يحتاج إلى تحليل. أما استعمالهم الاستعارة في حكمتهم فقد كان قليلا. مع أن الشعراء العبدية هم أول من عبد هذا الطريق، ووسعه أمام من جاء بعدهم. يقول شاتم العبدى: (١٥)

وأبدي لنا ظهرا أجب مسلعا	ولما رأيت الدهر وعرا سبيله
عليه ولونا ذا عاثنين أجدعا	ومعرفة حصاء غير مفاضة
وصعر خديه وأنفا مجدعا	وجبهة قرد كالشراك ضئيلة
وقلت لعمر والحسام ألا دعا	هناك ذكرت الصالحين أولى نهى

والشاعر هنا يشرح لنا تقلبات الدهر، فهو قد تنكر للعبدية، وشمخ بأنفه، وصعر خده، وتطاول وتكبر. وكان على الإنسان ألا يرکن إليه، فقد طوي أمما كثيرة، والأمر اذن

(١٣) البحترى : الحماسة : ١٣٦

(١٤) انظر لمخيم صالح : رثاء الأنبياء في الشعر العربي ١٦٠ و ١٦١ - مكتبة المنار -الأردن.

(١٥) أبو تمام : الوحوشيات ٢٢٠ دار المعرف - مصر ١٩٦٣

أن يترك النزاع والخصام، ويستمع إلى صوت العقل، ويتأمل في أخبار الذاهبين الأولين، فذلك أجدي وأنفع^(١٦). ويقول صاحب الموازنة معلقاً على أبيات يزيد الشنني : تملح بهذه الاستعارات في هجائه للدهر، وجاء هازلاً، ومن مثل تلك الاستعارات احتطب أبو تمام وغيره من الشعراء.^(١٧)

ويتخيل ابن المقرب بعيه وفرسه يشاركانه أحاسيسه، ويتعلّم معه إلى ربي المجد والشرف، ويقبلان عليه بالعتاب، وينحثان على المسير والرحيل من دار الهوان والمذلة، فهذا بعيه قد اشتاق إلى البيداء ينطلق في رحابها بلا قيد ولا عقال. وهذا مهره قد حن إلى الصحراء يudo فيها بين طرد وطراد، وهو يصور احتجاجهما عليه بالحنين والصهيل، وكأن هذا الحنين والصهيل لغة تقاهم بين الشاعر وصاحبيه، يقول :^(١٨)

وَمَلْ حَسَامِيْ مِنْ مَجاوِرَةِ الْغَمْدِ
إِلَى الرَّحْلِ وَالْأَنْسَاعِ وَالْبَيْدِ وَالْوَخْدِ
أَبْقَى كَذَا لَا فِي طَرَادٍ وَلَا طَرَدٍ

لَقَدْ مَلْ جَنْبِيْ مَضْجُعِيْ وَاقْمَتِيْ
وَلَجَ نَجِيْبِيْ فِي الْحَنِينِ تَشْوِقَا
وَأَقْبَلَ بِالْتَّصْهَالِ مَهْرِيْ يَقُولُ لِي

وهو يعني برسم الانفعالات والأحساس الإنسانية، ومظاهرها على الوجوه والأجسام، فنراه يقابل تكبر أعدائه بالترفع عنهم، والتعالي عليهم، فيشمخ بأنفه كلما زم أحدهم أنفه:^(١٩)

وَكَنْتَ إِذَا مَا أَحْمَقْ زَمْ أَنْفَهُ
شَمَخْتَ بِأَنْفِيْ عَنْهُ وَأَزُورْ جَانِبِيْ

وَلَهُذَا فَهُوَ يَرْسِمُ لِنَفْسِهِ أَيْضًا صُورَةً رَائِعَةً يَبْرُزُ فِيهَا سُكُونَهُ وَهَدْوَهُ، أَمَّا قَلْبُهُ فَيَنْبَضُ بِالْحَيَاةِ وَالْحَرْكَةِ وَالْطَّمُوحِ، وَيَضْرِبُ لِحَالَهُ مَثْلًا بِالْحَيَاةِ الْمَطْرَقَةِ الْمُتَرْقَبَةِ لِلْوَثْبِ عَلَى فَرِيسَتِهَا :^(٢٠)

وَهُوَ فِي اَطْرَاقِهِ حَيَّةٌ وَادٌ
فَلَعْمَرِيْ إِنْ قَلْبِيْ فِي طَرَادٍ

رَبُّ ذِيْ هُمْ تَرَاهُ مَطْرَقاً
إِنْ تَرِيْ شَخْصِيْ لِأَمْرِ سَاكِنَا

(١٦) المعيني : شعراء عبد القيس في البصر الجاهلي : قسم الدراسات ١٩٥٥ رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة

(١٧) الأمدي : الموازنة بين الطائفتين ٢٥٨/١٩٦١ دار المعارف مصر ١٩٦١

(١٨) على النصيري : على بن المقرب : حياته وشعره ٣٥٧

(١٩) نفسه : ٣٦١

(٢٠) نفسه : ٣٦١

كما يرسم لنفسه صوراً أخرى وهو يظهر الغباء أو يتظاهر بالعمي والصمم، مخدعاً أعداءه، وهو بينهم ذلك الفطن الذي الدقيق للحظة والمرهف السمع : (٢١)

لأفحى في بلاغته زياداً	أريهم منطقاً عياً واني
حديث عمى يخرج أن يقاداً	وأغضي ناظري حتى كأني
وان لم يور قادحه الزناداً	ونسار الزند تدركها لحظي
يحس النمل اذ يخفي السواداً	وأبدى فيهم صمماً وسمعي

وربما لونوا بيانهم بالكناية. ويستعمل معارك بن مره كناية الصفة، فيكتن عن النضج والأكمال بـ(شيب العارض) والغرة والغفلة بـ(سوداد الشعر) يقول: (*)

اتطبع في هضمي وقد شاب عارضي وقد كنت أبي الضيم والرأس أسود

وقد كانت الصورة في حكمة الجاهليين من عبد القيس تميل إلى التشاؤم، فلم يتعرضوا إلا للجوانب غير السارة في حياتهم - غالباً - شأن غيرهم من سائر الشعراء الجاهليين، فالحياة عندهم متاع نافذ وهو عارية ترد لصاحبها، ومثلها المال والشباب والأهل، يقول عمر بن ثعلبة: (٢٢)

عمرك هل تدرين أن الفتى شبابه ثوب عليه معار

و من صورهم المتعلقة بقصر الحياة وتبدلها قولهم أنها تبدو كالحلم أو الذكري أو الحركة العابرة. يقول جندل بن أشمس العبدى : (٢٣)

فكان ذلك لم يكن إلا التفكير حين بادا

وأكثر صور الموت شيئاً في الشعر الجاهلي تتخيله في صورة الماء وما يتعلق به، فهو كأس شرب أو حوض تشرع للواردين، أو غمرة تخاص أو سحابة تمطر (٢٤). وقد امتدت بعض هذه الصور إلى شعراء عبد القيس اللاحقين. يقول ابن المقرب : (٢٥)

سقاه كأس الردي صرفاً بغير فم	وعاقد الفيل يوم القدسية قد
كأس الحتوف بلا سيف ولا سقم	وقد أذاق شبيباً في شبيته

(٢١) المصدر السابق : ١٨٣.

(*) البحترى : الحماسة : ١٥٠.

(٢٢) السجتاني : المعمرون والوصايا ٤

(٢٣) أبو تمام : الوحيشيات ١٦٢

(٢٤) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢٤٨

(٢٥) ديوان ابن المقرب ٤٨٧

كذلك عبروا عن الموت بأكل السباع للإنسان، وكان ذلك مما يخيف الجاهلي، ولذلك فهو يذكرها متلما حين يتحدث عنمن يحب، وشامتا أو متهدا اذا تحدث عن عدو له، يقول جندل بن أشمسط العبدى :^(٢٦)

يَا لِبْنَةَ الْعُمْرِيِّ عَنْ أَهْلِ قَطْرٍ
قَعْدَكَ اللَّهُ أَلْمَا تَخْبُرْنِي
ضَبْعَ الْوَادِيِّ وَتَرْمِيَهُ الشَّجَرَ
تَسْرِكُوا جَارِهِمْ تَأْكِلُهُ

أما تمثيلهم بالقصص الانساني التاريخي فلا تبلغ أكثر اشارات الشعراء الجاهلين إلى حوادث التاريخ وشخوصه إلى أن تكون رواية لقصة، فالحادثة اذا كانت شهيرة معروفة اكتسبت في كلامهم صفة المثل الوجيز، واكتفي الشاعر بالالاماح إلى حوادثها وأبطالها، ومن هذا أكثر قصص ملوك العرب وقبائلهم القديمة والبائدة، أما قصص العرب من القبائل القديمة والبائدة والتتابعة الأوائل فالإشارة إليه كثيرة ولكن التفصيل فيه نادر، وأكثر الاشارة إليهم تستخدمهم أمثلا في القوة والكثرة، والأمن الذي لم يدم لهم، وأمثلة في الاندثار^(٢٧). يقول جندل بن أشمسط العبدى:^(٢٨)

أَمَامُ الْدَّهْرِ أَهْلُكَ صِرْفَهُ أَرْمَا وَعَادَا
وَاحْتَطِ دَأْوُودَا وَأَخْرَجَ مِنْ مَسَاكِنِهِ أَيَادَا
وَسَمَا فَأَدْرَكَ أَسْعَدَ الْخِيرَاتِ قَدْ جَمَعَ الْعَنَادَا

وقد يتمثلون في العظة والاعتبار بقصص الحيوان. ويصور ربيعة بن توبة العبدى سطوة الموت ونفاده وعدم النجاة منه، من خلال قصة ذلك الوعول المتحصن بأعلى الجبال الوعرة التي لا يستطيع أن يصل إليها أحد، فيبينما هو آمن منع لديه من البنات ألوانا، ومن الماء الكثير، اذا بصادى يرميه فيلaci حتفه رغم حذره وأمنه. يقول :^(٢٩)

عَمَّا يَةِ إِذْ رَاحَ الْأَغْرِيْ المُوقَفَ
لَوْ كَانَ شَيْءٌ فَانْتَ الْمَوْتُ أَحْرَزْتَ
يَصِيفُ بِهَا بَعْدَ الرَّبِيعِ وَيَخْرُفُ
بِهَا بَأْرَضَ مَأْوَاهَا فِي قَلَاتِهَا
لَدِيهِ وَذُو ظَلِّ مِنْ الْغَارِ أَجْرَفَ
إِذَا شَاءَ طَلَعَ أَوْ أَرَاكَ وَسَخَبَ

(٢٦) أبو تمام : الريحيات ٢٢١

(٢٧) مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ٢٠٦ و ٢١٣

(٢٨) البحترى : الحماسة ٩١

(٢٩) نفسه ٩٩

أبو صبية طاو من الزاد أعجف
مذرية رزق وفرع معطف

فما زال عنه الحين حتى سماله
يعالجه عن نفسه وبكته

أما شعراء عبد القيس الإسلاميون فأكثر من تمثل منهم بالقصص والشخصيات العربية والاسلامية القديمة ابن المقرب العيوني الذي منحته ثقافته الواسعة كما ضخما من الموروث، أيد به حكمته وأقام منه المثل واللحجة. من ذلك قوله في مقام حث قومه على نفض غبار الذل والضعف، معددا أيام ربيعة وشخوصها، وهي القبيلة التي تجمع بين عبد القيس وبكر : (٢٠)

ضيم ولا رضيت بدار هوان
قار ويوم أحزة السلان
خطأ وكان الرأس من غسان
نزع عن رداء الملك من صهبان
تكن الدنيا من بنى عمران
كسرى ووفوا ذمة النعمان
والشيخ حنظلة أبا معدان
ينزع الخلافة من بنى مروان
كرها اليه منابر البلدان

لم يحك أن ربيعة أغضت على
قوم لهم يوم الكلاب ويوم ذي
قتلوا لبيدا في جريرة لطمة
ودعوهم مضر فصالوا صولة
ان ترضي تغلب وائل بفعاله
وهم على حكم الأسنة أنزلوا
بفوارس تدعوا يزيد وهاننا
وشبيب في مائتين قام فقاد
ودعى أمير المؤمنين وسلمت

واستعمل العبديون في حكمتهم الطباق والمقابلة لتوضيح المعنى وابرازه. فالأشياء تتميز بأضادها، ولتجسيد المفارقات والحالات النفسية، فمن الطباق قول أبي بكر الخالدي: (٢١)

فيمن يزيد عليه لا من ينقص

يا ليته اذ باع ودي باعه

و يقول جمال العبدى : (٢٢)

كانت نحوسا أو سعوضا

لا تصرفناك الطير ان

(٢٠) ديوان ابن المقرب ٦٣٥

(٢١) ديوان الخالدين : ٣٥

(٢٢) أحمد قبش : مجمع الحكم والأمثال ٥٠

ويقول سعيد الخنizi : (٣٣)

ن وكن باسما كوجه الفضاء

لا تكن ضيق الفواد مع العي

ومن المقابلة قول ابن المقرب العيوني : (٣٤)

فترضي أخا سخط ونسخط راضيا
وكم غادر قد عد في الناس وافيا

اما حان منكم يقطة وانتباها
فكم ناصح قد عد في الناس خائنا

ويقول الهمام العبدى : (٣٥)

وآخر منهم ناقص الحظ كامل

وما الناس الاكمال الحظ ناقص

ويقول أبو بكر الخالدي مثابلا بين ما يعطيه للدنيا، وما تأخذه منه : (٣٦)

ومن جورها على وصيري
ران أيامها وتخرب عمري

يا خليلي من عذيري من الدنيا
عجبأني أنافس في عم

ويجمع الخنizi بين عدة ألوان بيانية وبديعية كالتشبيه والاستعارة والطباقي، فيقول
مصورا تحسره على سرعة نفاذ العمر وقصر الحياة، مع كثرة ما يقترفه المرء فيها من
آثام: (٣٧)

في صراع الآمال والألام
ضر في فجر عمرها البسام
مرء في موجة من الآثام

ينشر اليوم كالكتاب ويطوي
وتموت السنون كاللورق الأخ
وأراها مكدسات وراء الـ

و يقول أبو عثمان الخالدي مضمونا ومشبها و مقابلة : (٣٨)

(٣٣) ديوان سعيد الخنizi : النغم الجريح ٩٥

(٣٤) ديوان ابن المقرب العيوني ٦٦٣

(٣٥) القطبي : أنباء الررراه ٢٤٠/٢ دار الفكر العربي - لبنان

(٣٦) ديوان الخالدين : ٦١

(٣٧) ديوان سعيد الخنizi (شمس بلا افق) : ٣٥

(٣٨) ديوان الخالدين : ١٠٩/٢

و اذا قدمت ابا حاك الترحيبا
كقميص يوسف اذ اتي يعقوبا

ان غبت اودعك الله حياطة
و يكون من مقة كتابك عنده

و استعمل بعضهم أسلوب المدح بما يشبه الذم يقول أحدهم : (٣٩)

أنسر بنا والناس في كل جانب
وأفني الردي أعمارنا غير عائب

وليس لنا عيب سوي أن جودنا
فأفني الندي أموانا غير ظالم

واستعمل شعراء عبد القيس في حكمتهم الجناس، في غير عنت ولا اسراف، فأكسب
أسلوبهم نغمة داخلية هادئة، وكان النوع الاشتقافي منه اكثر ورودا في شعرهم، فمسعود بن
سلامة العبدى استخدم الفعل الماضي (سار) واسم الفاعل منه (سائز) في قوله :

اذا سار من خلف الفتى وأمامه
وأوحش من حداثة فهو سائز

وابن عبد الأعلى العبدى استعمل المصدر (جزع) والفعل المضارع له (يجزع) في
قوله :

و لقد أقول لذى الشماته اذ رأى
جزعي ومن يذق الحوادث يجزع

و عبد الله بن سلامة العبدى استخدم الفعل الماضي الدال على التحقق، ومضارعه الدال
على التجدد، يقول :

اذا غدوت فلا أغدو على حذر
من خيفة الشمس أخشاها ولا زحل

و عبد الصمد بن المعدل استعمل الفعل الماضي (هجرنا) المشتمل على تحقق الحدث،
ومصدره (هجران) الدال على مطلق الحدث، وعكسهما في (قيل و قال) : (٤٠)

(٣٩) أبو هفان : أخبار أبي نواس : مقدمة المحقق عبد الستار فرج ١٠ - مكتبة مصر

(٤٠) ديوان عبد الصمد ابن المعدل ١٥٦

وفي موضع آخر يستعمل الفعل الماضي (هان) ومضارعه (أهان) والفعل (تقول) وماضيه (فقلت) في قوله :^(٤١)

و هان علیها أن أهان لتكرما
فقلت سليه رب يحي بن اكتما

تكلفني اذلال نفسي لعزها
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم

وربما جاء الجناس، بين فعليين متماثلين، مع اختلاف بسيط بينهما، كما في قول عبد الصمد أيضاً: (٤)

ولم ترع الذي سلفا
عليك ولم تمت أسفًا

صرفت هواك فانصرفا
و بنت فلم أمت كلها

ومن ذلك قول احمد بن المعدل، مجازاً بين الفعل المضارع (نقضي) و(نقضوا)

أفي حق المودة أن نقضى
ذمامكم ولا تقضوا الذماما

ويقول الصلطان العبدى في الجناس بين الفعل المضارع (يرزقنا) ومعادله (نرتق)

ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا
ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

وجانس عبد الصمد بن المعدل بين المصدر (أحدوثه) ونظيره (حديثا) في قوله :

فکونی حدیثاً حسن

أري الناس أحذو ثة

ويستعمل عبد الواحد الخينزي الجناس الناقص بين (ظلمه) و(الظلم) يقول :

ث تبصر على الظلام نهارا

ابتسم للحياة في ظلمة الأحدا

(٤١) المُصْدَرُ السَّابِقُ :

١٢٩ (٤٢) نفسه :

واستخدموا بقلة الجنس الناقص، غير الاشتقافي، كما نرى في قول أبي البحر الخطي
مجانسا بين الصبا والصبا : (٤٣)

نوازع يستحون من غير الصبا
ببلة ماء عند عاصفة الصبا

اذا هو كف الشيب منه تراجعت
و هل تستكف النار ما اشتد وقدها

ويجمع يزيد بن الخذاق بين الجنس الاشتقافي، وغير الاشتقافي في قوله :

أم هل له من حمام الموت من راقي
وأليسوني ثيابا غير أخلاق

هل للفتي من بنات الدهر من واق
قد رجلوني وما رجلت من شعث

كما يجمع خلید عینین بين الطباق والمقابلة، والجنس الناقص، مما يمنح أسلوبه جمالا
وألقا وجرسا موسيقيا مؤثرا، فيقول : (٤٤)

حقا سوى الظن وقول اليقين
من حدث الدهر وریب المنون
أو رائح في أثر المغتدين

قد علمت نفسي بما أمرني
ما الحي والميت فيما ترى
إلا كفاد راح أصحابه

وقد ينطوي أسلوبهم على التطريز، وهو أن يقع في أبيات متتالية في القصيدة كلمات
متتساوية في الوزن، فيكون فيها كالطراز في الثوب، وهذا النوع قليل في الشعر، ومن ذلك
قول زياد الأعجم مشيرا إلى ميل الفطر السليمة إلى الأريحية والندي (٤٥)

في أن يوجد لدى الرجاء يقل جد
بعد الكرامة والحباء يقل عد
للمستزيد من العفة يقل زد

و متى يؤامر نفسه مستلحيما
او أن يعود له بنفحة نائل
او في الزيادة بعد جزل عطية

ولم تخل حكمهم من العقد، ومن ذلك قول على العبدی : (٤٦)

(٤٣) ديوانه : ص ١٠ الميرد : التعاري والمرانی ص ٨٣ - تحقيق محمد الدبياجي - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١٣٩٦هـ.

(٤٤) العسكري : الصناعين ٤٤

(٤٥) القرآن الكريم : البقرة آية ١٩٥ . وانته الرواه ٢٤٣/٢

(٤٦) القرآن الكريم : البقرة آية ١٩٥ . وانته الرواه ٢٤٣/٢

لو أنها تفضى إلى المملكة
تقوا بأيديكم إلى التهلكة

لا تسلك الطرق اذا أخطرت
قد أنزل الله تعالى (ولا

واحتل تضمين الأمثال مكانا في شعرهم الحكمي. يقول أبو بكر الخالدي : (٤٧)

فشكوا الهوى بالكتب والرسل
مثل الذي قد قيل في المثل
وأنك من مصر على جمل"

يا من جفا في القرب ثم نأى
مهلا فانك في مقالك ذي
"ترك الزيارة وهي ممكنا

ويقول أحمد بن المعذل معاذبا عبد الله بن سوار : (٤٨)

ذمامكم ولا تقضوا الذماما
رأه الألوون لهم اماما
ولم أغضب لذلكم فذاما

أفي حق المودة أن نقضى
لقد قال الحكيم مقال صدق
"إذا أكرمتكم وأهتموني

وكان أهل البصرة في القرن الثالث الهجري يكونون عن القواد أنه يمد الحبل. ويقول
أبو هfan مضمنا وساخرا : (٤٩)

وقرب اولاد النعم
يوما ويثيري من عدم
ويمشي قدام الغنم "

من سره طيب الحياة
حتى يعز بدهره
"فليأخذ الحبل الطويل

ويقول عبد الصمد المعذل مضمنا أحد الأمثال العربية :

فكل بلاد وطن
ك في بعض أمر فهن"

اذا وطن رابنـي
" اذا عـز يوم أخـو

(٤٧) ديوان الخالدين : ٨٧

(٤٨) ابن منظور : مختار الأغاني ١٣٧٥ الدار المصرية للتأليف والنشر

(٤٩) عبد الستار فراج : مقتمة لأخبار أبي نواس لأبي هfan ١١ - مكتبة مصر

ويقول حرب بن المنذر مضمنا : (٥٠)

وأثواب كتان أزور بها التربى
(فما سألنا إلا المودة في القربي)

فحسيبي من الدنيا عفاف يقيمنى
وحبى ذوي قربى النبي محمد

وقد ضمن ابن المقرب كثيرا من شعره بالامثال، حتى صارت احدى المميزات
لأسلوب حكمته. وهو لا يكتفى بمجرد الاشارة إلى المثل، بل يذكر قصته بكاملها ليكون
تأثيره أبلغ وأقوى. ففي احدى قصائده نراه يحذّر قومه من الركون إلى الأعداء أو
تغريتهم، وان من يكرمهم يلقى من المصير مثلاً لقى (سنمار) المهندس الرومي،
يقول: (٥١):

ومال إليها كهلهما وغلامها
وأيدها أجرها ورخامها
ولا ذنب إلا حسنها وانتظامها

جزاء سنمار جزاء به اقتدت
بني القصر حتى استحكمت شرفاته
وغودر من أعلى ذراها منكسا

ويشهد بمثل آخر، وهو ينفض عن نفسه غبار الكسل والخمول، فيهب للتصدي
لأعدائه، دون أن ينتظر طويلاً وقت القصاص من ظالميه :

إلى قولهم بغي الرجال صروعها
بلى طالما أردى النفوس صروعها

و لا تتكل عجزا ولؤما وذلة
متى صرع الباقي فعاش قتيله

كما استعمل ابن المقرب بعض الأقوال المأثورة التي جرت مجري الأمثال، فقد ضمن
عبارة الإمام على (فما عدا مما بدا) قوله :

عونا على (فما عدا مما بدا)

قد كنتما عوني وقد أصبحتما

(٥٠) الجاحظ : البيان والتبين : ٣٦٥ / ٣

(٥١) ديوان ابن المقرب : ٤٥٨

وإذا كانت الحكمة في عمومها من الموضوعات التي يستأنر بها العقل غالباً حتى إن بعض النقاد يخرجها من عالم الشعر، ويسلكها ضمن موضوعات النثر، لاعتمادها على الأسلوب التقريري الجاف، فإننا نجد حكمة العبدية تتميز بالشاعرية، فقد طبعتها الشعراء العبديون بطوابعهم الشخصية والفنية التي عرروا بها منذ أقدم العصور الأدبية، كما رأينا عند يزيد الشني الملقب بشاتم العبد الذي اتكاً في أسلوبه على التصوير، ولا سيما الاستعارة، فلفت أنظار الشعراء اللاحقين إليها مترسمين خطاه، كما وفر شعراء عبد القيس لحكمتهم أهم العناصر الفنية الأخرى، وهو عنصر العاطفة، فكانت تجربتهم الذاتية ينبوعاً ثرّا حكمتهم أدخلها في الشاعرية، وأبعدوها عن التقريرية الجافة التي منيت بها على الأسنة أصحاب المنظومات العلمية، وغيرهم .

كما كانت موهبتهم الأدبية أهم الركائز الفنية التي قامت عليها حكمتهم، وقد عرفنا من كلام الجاحظ الذي وصف فيه شعراء عبد القيس بأنهم من أشعر قبيل في العرب، انهم لم يكونوا كذلك حينما كانوا في تهامة، وهي سرة البدائية ومعدن الفصاحة على حد تعبيره، الأمر الذي أثار دهشته وتعجبه من ذلك ، ولعل للوسط الحضري والفكري الذي عرفت به البحرين قدّما أثراً في شاعريتهم، وحكمتهم على وجه الخصوص. (هذا الباب الذي هو أكثر أبواب الشعر صعوبة، وأحوجها إلى الشاعرية، والطبع والملكة والالهام)^(٥٢).

سادساً

خصائص أخرى

(أ) الوحدة الموضوعية

(ب) الاطالة والملائمة

(ج) الستك رار

(د) الصدق والواقعية

(أ) الوحدة الموضوعية

من السمات العامة التي تميزت بها قصيدة الحكمة المستقلة، النضج الفني في التعبير عن المعاني التي يبرزها الشاعر في حكمته، من خلال تجربته الذاتية، وهو نضج يرتبط بنمو ثقافة الشاعر، ومحاولته جعل قصيده ذات وحدة متكاملة من حيث التعبير عن المشاعر^(١). وتحقق الوحدة الموضوعية في القصيدة حين تترتب معانيها ترتيباً يقوم على النمو المطرد، بحيث ينشأ أحدها من سابقه نشوءاً عضوياً، ويقود إلى لاحقه بالطريقة نفسها، بحيث تتكامل أجزاء القصيدة، في توضيح عاطفتها المسيطرة، واتجاهها الفكري^(٢). ولعل أكثر من يمثل هذه الوحدة من شعراء عبد القيس المعاصرين محمد سعيد الخنزيري الذي تميزت أكثر قصائده التأملية الحكيمية بهذه الميزة - كما رأينا سابقاً - وكما نري في قصيده التي جعل عنوانها (لان يموت الشعر) وقد دارت فكرتها حول ما يستطيع الشاعر أن يقدمه للناس من أسباب السعادة والحبور، حيث يتغلب على آلامه ومصاعبه الذاتية، ويملاً قلبه بنور الأمل والتفاؤل، ويسلط الآخرين أفرادهم وأتراحهم، فيحول شعره إلى روضة ناضرة للحياة المجدبة وجدول يرويها بماء الحب والخير والجمال وقد تميز أسلوب الخنزيري باستخدام الصور لتشخيص أفكاره وتجسيد معانيه، وكان التشبيه أداته الرئيسية في الكشف والإيضاح. يقول :^(٣)

ر في قلبي المجرح بالخطوب	ل ان يموت الشع
ينفتح الدنيا بطيب	سأظل ينبوعا سخيا
فتعود في ثوب قشيب	يسقي الحياة ربىعه
حالم من فيض الغيوب	كأسا من الأطياف والا
والعطر سر في الجيوب	خلف الكمام فجرها
لحان في سمع الطروب	وجداول تناسب كالأ
ة مفاتن الحب الرحيب	فيصوغ من صور الحيا
دثات ووسط طوفان غضوب	ويعيش بين الحا

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي : ١٣٠/١

(٢) يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ٣٧٢ - دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٩

(٣) ديوان سعيد الخنزيري (شمس بلا أفق) : ١٧

ع على سماء من لهيب	كالنجم يزهو بالشعا
ع لا ولا طيف الغروب	لا يرعب الحزن المرو
دث لم بلاده للكروب	سيظل قبرا للحوا
ت وفي الظلام المستrip	في العاصفات الهائجا
ع قدا على جيد الكثيب	كالفجر خصل ضوءه
الا لتطلع في الغيب	لم تتطفف منه السنى

ولابن المقرب العيوني قصيدة قصيرة عدتها عشرة أبيات اشتغلت على نقد ساخر البعض الظواهر المدانة في المجتمع، وهي الرشوة، التي يسمى بها البعض هدية تلطفاً أو مغالطة أو احتيالاً. الواقع أن هناك فرقاً جوهرياً بينهما، فالهدية هي التي تجري بين الأصدقاء والأقربين، وتقدم لوجه الصدقة أو القرابة، أما الرشوة فهي ما أدت إلى إبطال حق أو إحقاق باطل. وقصيدة ابن المقرب التي كنى في بدايتها بالهدية وصرح في نهايتها بالرشوة، قصيدة تتسم بالوحدة الموضوعية الكاملة، فهي تتحدث عن موضوع واحد لا أكثر، هو موضوع الرشوة، ويستخدم الشاعر أسلوب السخرية الانتقادية، لإدانة هذه الظاهرة وتنفير الناس منها، لما تجلبه من تضييع الحقوق، وخلق العادات، وتقديم الخاملين، على حساب النابهين. وقد عدد ابن المقرب في أبياته محسن أو مساوٍ للهدية أو الرشوة، وقد تجلت سخرية الشاعر في استعماله اسم فعل الأمر المتضمن معنى الذم (عليك) ثم في تعاقب الحركة من خلال أفعال المضارع الدالة على استقبال الحدث وتتجدد من مثل (نرى) و(يصفع) و(يغرى) و(يضحى) وكذلك نجد هذه الحركة المتعاقبة في البيتين الثامن والتاسع باستخدام الأفعال المتحققـة (بردت) و(عمرت) وقد احصت هذه الأفعال منافع الرشوة على سبيل السخرية، كما ظهرت سخرية الشاعر في استعمال بعض المبالغات مثل (شأنا عظيماً) و(أعدى عدو) و(يمتني النجوم) وكانت (كم) الخبرية المكررة الدالة على التكثير احدى الأدوات في أسلوب السخرية، وقد ختم الشاعر قصيـته بأسلوب الطلب بمثل ما بدأها به. يقول : ^(٤)

(٤) ديوان ابن المقرب العيوني : ٥٧٨

وخف من الدهر خطبا جسما
لها عندنا اليوم شأنها عظيما
ديصبح مهديه موسى الكلما
ه في مصرنا ويفري الأديما
م يطأول من يتسمطي النجوما
لوافح من قبل كانت سوما
وابقت منازل قوم رسوما
فرريح الدواء تخيط الكلوما

ألا قبل لمن أرهقته الذنوب
عليك الهداية اني رأيت
وأيسر شيء يحل العقو
فبا لشاه يصفع زيد أخا
ويضحي الذي أنه في التخو
فكם من بططيحة بردت
وكم جلة عمرت منزلا
فلا تحررن قليل الرشا

وإذا كانت الوحدة الموضوعية سائدة في المقطوعة الشعرية القصيرة، مما لا يحتاج إلى التمثيل لها بمثال، فاننا نجد مثل هذا النصじ الفني في بعض المقطوعات الطويلة التي تقترب من القصيدة، وبخاصة تلك المقطوعات التي سلكت مسلك الوصايا التربوية والنصائح الأخلاقية، ومن ذلك أبيات المتقد العبدى التي جمع فيها بين الجانب النظري والتطبيقي، ففي قسمها الأول نراه يدعو الشباب إلى الطموح، والأخذ بمعالي الأمور، ونبذ الضعف والأمعية، مستمدًا من البيئة الطبيعية ما يساعد على توصيل فكرته إلى ذهن المتلقى، حيث يشبه حال من لا يعتمد على نفسه في تدبير أموره التدبير الصحيح، بحال السحاب الذي لا ماء فيه، حين تسوقه الريح سوق الأبل الفتية للطراز فلا يغيث الناس بشيء من المطر في موسمه وقت الشتاء، حيث تشتد الحاجة إليه، وفي القسم الثاني يقدم الشاعر للشباب النموذج الحي، والقدوة الصالحة من رجال القبيلة، وهم الذين تتمثل فيهم صفات الأريحية والحرم والنجدة والنبل والشرف، يقول : ^(٥)

إذا لم يثبت للأمر إلا بقائد
هبيت الفؤاد همه للوسائل
هذا ليله شل القلاص الطراز
وقطر قليل الماء بالليل بارد
على الحي منا كل أروع ماجد

وللموت خير للفتي من حياته
فعالج جسيمات الأمور ولا تكن
إذا الريح جاءت بالجهام تشله
وأعقب نوء المرزمين بغبرة
كفى حاجة الأضياف حتى يريحها

لما نال من معروفها غير زاهد
ولا عند خير ان رجاه بوحد
عظام اللهى منا طوال السواعد

تراء بتفريح الأمور ولها
وليس أخونا عند شر يخافه
إذا قيل من للمعطلات أجابه

على أننا لا نفقد هذه الوحدة الموضوعية في المقطوعات الطويلة الآخر فقدا تماماً، بل نجد بعضاً منها يتسم بهذا النضج الفني الذي يجعل من المقطوعة وحدة لا تتجزأ كما نرى في مقطوعة يزيد بن خذاق العبدى الذي قال عنه أبو عمرو بن العلا بأنه أول من نظم شعراً في ذم الدنيا، وقد رثى في هذه الأبيات نفسه ولا بأس من أن نوجز تحليل أحد الدارسين لهذه المقطوعة التي مطلعها :

أم هل له من حمام الموت من راق

هل لفتى من بنات الدهر من واق

يقول عبد الله باقازى : يستوقفنا في البدء هذا التقسيم الذي طرحته الشاعر في البيت الأول، حيث جعل الوقاية من بنات الدهر، وجعل أخذ الرقيقة من دنو الموت أو حلوله، ونلاحظ هنا أن الدهر أخذ صفة حيوان مفترس معتدى، يستهدف الإنسان، ويفتك به وأن بناته قد أخذن عنه هذه الصفات، وهن ضوار يستهدفن الإنسان ويفتكن به، والدهر وبناته هنا يشبهه المنيا التي أخذت شكل الحيوان المفترس، تقسيم آخر يطرحه الشاعر في البيت الثالى :

وأليسني ثيابا غير أخلاق

قد رجلوني وما رجلت من شعث

بين ترجيل الشاعر ولبس الثياب، وترجيل الشعر ولبس الثياب في الحياة مظهر جمالي، فيه دلالة القوة والشباب والحيوية، بينما الترجيل هنا فهو ترجيل شعر ميت، اللبس كذلك يختلف أنه لباس من نوع آخر لم يتعوده الشاعر في حياته، ان كلا من لفظي الترجيل واللباس يستبطان معنيين يتصلان بالحياة والموت، وقد مزج الشاعر بينهما مزجاً عجيباً، فالشاعر مرجل الشعر، ويلبس ثياباً غير بالية ولا ممزقة، كل هذا مظهر دنيوي جمالي عادي غير أن الجانب الآخر للموضوع أنه بهذا الترجيل يهياً للموت، وليس للاستمتعاب بالظاهر الجمالي الدنيوي. ان البيت الثالث تطور واضح للحالة التي هيئ فيها الشاعر للموت :

ورفوني وقالوا أيماء رجل وأدرجوني كأني طي مخراق

هنا تستمر مراسم حمل الجثمان، ويرفع على الأكتاف، ويُشاد به، ثم تُؤول الصورة إلى حالة متناقضة، ذلك أن الشاعر الرجل الذي يلبس النظيف من الثياب، والذي كان مرفوعاً ويُشاد به للحظات، ها هو يتحول إلى ما يشبه العمامة البالية بهذا الشكل يحل الشاعر الصورة من التكامل والجمال إلى الضالة والانكماش والبلى، وفي البيت الرابع :

ليسندوا في ضريح الترب أطباقي وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا

إنها المرحلة الثالثة والأخيرة، بعد الغسيل والترجيل جاءت مرحلة رفع الجثمان وتحوله إلى عمامة بالية مطوية، ثم تأتي الآن مرحلة ادخال الجثمان إلى القبر، ولقد أعطى الشاعر ترتيباً جاماً لعملية الموت والغسيل وحمل الجثمان والدفن، تستوقفنا في الأبيات الثاني والثالث والرابع طبيعة الأفعال : رجلوني - ألبسوني - رفوني - أدرجوني - أرسلوا ... إنها أفعالاً ماضية لكن الشاعر أعطى لها دلالات مستقبلية على اعتبار ما سيؤول إليه حال الشاعر في حالة الموت ويقول محل المقطوعة معلقاً على قول الشاعر :

فاما ما لنا للوارث الباقي هون عليك ولا تولع باشفاق

لماذا القت الشاعر الآن إلى المال وهو من شأنه وأن مصيره أن يذهب إلى الوارث؟ بعد ذلك الاستعراض لمراسم الموت والدفن؟ هل تقتضي ترتيب هذا البيت أن يتقدم موقعه من المقطوعة، لا سيما وأن البيت السادس الذي يليه يقتضي معناه تقدماً في الموضع أيضاً، إن البيت السادس

كأني قد رمانني الدهر عن عرض بنافذات بلا ريش وأفواق

يتسق معناه مع البيت الأول في المقطوعة ... ان قافية المقطوعة التي يشكل حرف القاف، إضافة إلى ظاهرة التصريح في موضعين من هذه المقطوعة، بحيث ورد البيت الأول في المقطوعة مصرعاً ... حيث ساهم التصريح بحرف القاف، إلى جانب ظهور

القافية بنفس الحرف في الابحاء بذلك القلق والاضطراب الذي سيطر على الشاعر في تلك اللحظات الحرجة التي يستقبل فيها الموت، وكان نهايات المقطوعة تصوير لحالات خروج الروح، ولفظ الأنفاس الأخيرة، كما أن حرف الراء بتكراره في المقطوعة عكس روح الاضطراب والارتعاش للحظات التي عاشها الشاعر في مواجهة الموت. ^(٦)

(٦) رثاء النفس في الشعر العربي : ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة

(ب) الاطالة والملاءمة

أما الحكمة في القصيدة المركبة فقد اتسع مجالها اتساعاً كبيراً، حتى لقد شغلت في بعض هذه القصائد مساحة تصل إلى النصف، وربما أكثر من ذلك (وكان العلاقة بين موضوع الحكمة ومواضيعات القصيدة، علاقة لها ما يبررها عند الشاعر من الناحية المعنوية، ومن ثم كان يناسب بين معاني هذه الحكمة وبين هذه القصيدة، وهذه الملاءمة تمثل مرحلة من النضج الفني التي بلغها الشاعر) ^(١) العبدى. وخير من يمثل ذلك من شعراء عبد القيس ابن المقرب العيونى، الذى تميز بطول نفسه الشعري، في بناء حكمته من خلال القصائد المركبة، فقد حقق في قصidته المتعددة الأغراض حسن الترابط والتلاؤم، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والانسجام، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد) ^(٢). والأمثلة على ذلك كثيرة، ومتعددة في شعر ابن المقرب ويمكن اعتبار قصidته التي مطلعها :

الام أرجي ضر عيش منكدا
وأغضي على الأفداء جفنا مسها (٣)

من القصائد التي تصل في تلارم لجزائها إلى حد الاقتراب من القصائد ذات الوحدة الموضوعية، فالتجربة الشعورية فيها واحدة، وبين موضوعاتها المتمثلة في الشكوى والخدر والهجاء ارتباط يكاد يكون عضوياً، وهي في جميعها تهدف إلى غاية حكمية وأخلاقية واحدة، هي رفض حياة الذل والخمول والدعة بكل أشكالها، فقد بدأها بالاستفهام المتضمن معنى الاستبطاء، فهو يعيش حياة ملؤها الضر والنكد، ولكنه يتحملها بباعث الأمل في تحسن الحال، وزوال الأكدار، وهو يشكو من طول الانتظار الذي لم يسفر عن شيء مما يرجوه، يقول مستعملاً كم الخبرية الدالة على التكثير، والتشبيه الدال على الثبوت :

و كم أعد النفس المنى ثم كلما
أتي موعدا بالخلف جددت موعدا

(١) محمد عويس : الحكمة في الشعر العربي : ١٣٠/١

(٢) احمد بدوي اسس النقد الأدبي : ٣٠٨

(٣) ديوان ابن المقرب العيونى : ١٤٩

وجاء غد قال انتد وانتظر غدا
كمثل نعاس الكلب ما زال سرما

اذا قلت يأتي في غد ما يسرني
فهلا انقضت تبالها من مواعي

ثم يستخدم ابن المقرب لغة حادة تعبير عن نفسية الشاعر الرافضة كل الرفض هذه الحياة، فيدعوا بالهلاك والموت على كل من يقبل مثل هذه الحياة المهينة، محاولاً اقناعه بالأدلة الواقعية بصحة ما يدعوه اليه، ويتوسع في هذا التدليل من خلال استفهام النفي المتعاقب أربعة مرات رافداً دعواه بلمحات تاريخية عن حسان بن أسعد الحميري أعظم ملوك اليمن في الجاهلية، يقول :

على خطأ يغتاله أو تعتمدا
جبانا على مر الليلي مخدلا
فتي لوطيس الحرب ما زال مفتدا
وهل فاز راض مورد الذل موردا
ملك تسمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخلد واغتندي

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردي
ولا عاش من يرضي الدنيا أهل رأي
وهل مات من خوض الردي قبل يومه
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعا
وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمداراة أو صفا

ويواصل الشاعر اباءه لحياة الذل والهوان، فيحدثنا عن نفسه المتفززة من هذه الحياة التي تختل فيها الموازين والقيم، فيضطر فيها المرء إلى التقرب من عدوه، والابتعاد عن صديقه، ويصبح فيها السيد مسوداً، واللئيم مسلطاً على الكريم، ويستخدم الشاعر صيغ التفضيل في تصوير هذا الواقع المؤلم الذي بلغ فيه السيل الزيبي، يقول معبراً عن استبطانه وتناثله ونفاد صبره، عبر هذا الاستفهام الاستبطاني :

وصدا وأبدي للأعداء توددا
كليباً مسوداً وابن آوي مسوداً
لئيم اذا مانال شبعاً تمردا

فحتى مأبدي للموالى تجنباً
وشر بلاد الله أرض تري بها
وأشقي بنى الدنيا كريم يسومه

ويستمر الشاعر في مخاطبة نفسه على سبيل التجريد، داعياً اياها إلى ترك هذه البلاد التي صارت نهباً للأعداء، يحتل فيها الأجلاف والأوباش والجبناء والخاملون وأهل قالة السوء والوشية مكان الصداره. يقول :

سما فعلا حتى علا النجم أتادا
تراها وما تحوي لأعدائها سدي
خفيفا على الأعداء خلفا ملها
هوت فاحتوت من هامة الحوت مقعدا
ترى بين أذنيه طريقا معبدا

فيإذا العلي والمجد والمنصب الذي
أعيذك أن ترضي المقام ببلدة
يجل بها من كان ذا عنجهية
أخو عزمه كالماء ببردا وهمة
ترى بابه لا يهتدى غير أنه

ويواصل حثه على الرحيل عن هذه البلاد حثا يقوم على الاسراع، واتباع القول
بالعمل، فإذا كان الشاعر أول من احتسي كأس المر، فلن يكون الأخير، والحلم الذي يجلب
الذل ليس من الرشد في شيء، بل الجهل خير منه وأهدى، ولا يخضع لمثل هذا الأذى إلا
الأحمق الجامع لكل شر، أما الشجاع القوي فهو الذي يفضل راحة النفس على راحة
الجسد، ويبت ساهرا مفكرا في الخلاص من دار الهوان. يقول :

أخو العزم من قد رام أمرا تجردا
أخوك ستسقى من فضالتها غدا
وجهل ترد الضيم شرته هدي
إليه الأذى أبدي خضوعا واسجدا
مقال أماء الحي لا غالك الردى
أوسد ذا الطعن الثري أم توسدا
يهين بها الأذنين مثني وموحدا

فقم والتمس دارا سواها فانما
وكأس اذا أُسقى بها اليوم مكرها
وحل يدنى الضيم منك سفاهة
ولا خير في هلاجحة^(*) كلما أتى
ومال إلى برد الظلل ورافقه
ولكن ذا عزم اذا هم لم يبل
كثير سهاد العين لا في مكيدة

وهذه الأبيات تذكرنا بقصيدة عروة بن الورد، في وصف السلوك الناشر، والصلوک
الخامل، ويمضي ابن المقرب في الشكوى مما يلاقيه من أعدائه الجناء الرعادي، مصورة
ما يعانونه من مفارقات أخلاقية عجيبة. يقول :

عقابيل خلف قد أزى وتجددا
إذا سأل الحسني أبغ وعربدا
وإما مشي بين البغايا تقيدا

فكم اتحسي الضيم مرا وامترى
وكم يعتريني بالأذى كل مقرف
فؤيد^(**) كعلوص الآباء لدى الولي

(*) الهلاجحة : الأحمق الضخم القم الأكول الجامع كل شر.

(**) الفئيد : الجناء. والعلوص : النب.

ويستند الشاعر إلى أسلوب الطلب الارشادي ناهيا وأمرا ومدلا ومقنعا، فينهي عن اكراه النفس على الاقامة في ديار الذل خشية الموت الحتمي الوقع، حتى لو امتلأت أرضها ذهبا وفضة، ويأمر بالسير في طلب المجد الذي لا ينال الا بالسعى الجاد، ويتخذ من التشبيه الضمني وسليته في الاقناع كعادته فالسيف لو لم يجرد من غمده في الحرب لما عد شيئا، والبدر لو لم ينتقل من برجه لما اكتمل نوره وسطع، وسيف بن ذي يزن لو أقام في واديه بزبيد ولم يذهب إلى فارس طالبا النجدة لاخراج الأحباش من بلاده، لما جلس على سرير الملك في قصره بصنعاء، فالموت لا يهم في سبيل المجد والنباهة، يقول:

ستأتي فما تلقى جوادا مخدلا
ولو فاض واديها لجينا وعسجدا
رأيت المعالي لا يواتين قعددا
لما راح يدعى المشرفي المهندا
به النقص لم يدرك كمالا وأسعدا
على الهول لم يدع الملك الممجد
ويجمع في غمدان شملا مبددا
حباك الموالي وانتقت بأسك العدي

فلا تقدعن محبن ظنا^(*) خوف ميته
ولا تك مئلا فالدار مذلة
وسر في طلب المجد جدا فانني
فلو لم يفارق غمده السييف في الوغي
ولولا انتقال البدر عن برجه الذي
ولو نال سيف بالحصيبي ولم يلتج
ولم ينشع الأحبوش كأسا مربيرة
وحسبك أن تلقى المنايا وقد رجت

ثم يخاطب الشاعر خليليه، خطاب المودع، طالبا منهما أن يبحثا لهما عن نديم آخر، لأنه عازم على السفر عما أسماه مناخ السوء، مقدما بين يديه ما يشد أزره، لتنفيذ هذا القرار، فكثير من الذين رحلوا عن أوطنهم حققوا نجاحا يحسدون عليه، وكثير من أقاموا في ديارهم لازمهم الخور والضعف والفشل، وليس في ارتحاله ما يعيب، وقد رحل عن بلده مكة إلى المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاور الأوس والخزرج، وكذلك يفعل الكريم الحر، فإذا ضاق به مكان، خرج إلى مكان أرحب. يقول :

(*) المحبنطي : الممتنى غضبا.

وجوزتنيما الحسني وجاوزتنيما المدى
تشامخت قولًا سيم خسفا فأبلدا
اذا النكس ظن العجز عقلًا فأفردا
وعيس بيارين النعام المطردا
جوارك ضبعانا وسیدا وخددا
فأصبح في كل النواحي محسدا
فأضحي بها من غير سقم مسخدا
ويصبح ربعي فيهم قد تأبدأ
إلى يثرب تسرى به العيس مصعدا
به وطن زم المطايا وأحفذنا

خليبي من حي انزار رعيتنا
الا فاطلا با غيري نديما فربما
فلي عن ديار الهون مناي ومزحل
وعندي على الأحداث رأي وعزمه
وخير جوار من عدو مكاشح
فكم فارق الأوطان من ذي ضراعة
وكم واتن الأوطان من ذي جلادة
فان ارتحل عن دار قومي لنبوة
فقد رحل المختار عن خير منزل
كذا شيم الحر الكريم اذا نبا

ويعلن من خلال الاستفهام الاستكاري رفضه لما لا يليق بأمثاله الأقوياء العظاماء
العلماء، مصمما على تحقيق رحلة ناجحة ينال فيها ما يريد، غير آسف على ذهاب الحياة
في سبيل ذلك. يقول :

كهاما ولا رث المساعي مزندنا
تمطئي وناجي عرسه وتلدا
نجائب لم يحملن الا منجدا
يرى العود فيما تكره النفس أح마다
يحدث عنها من أغمار وأنجدا
تريح فؤادا أح من غلة الصدى

القنع بالحظ الخسيس ولم اكن
ولا بلتعانيا^(*) اذا سيم خطة
والقى المنايا لم تسام بارحلي
سامضي على الأيام عزم ابن حررة
فاما حياة لا تذم حميده
أنال المنى فيها وإما منية

ولا يزال يبدئ ويعيد في تأكيد هجره لبلاده، مشيرا إلى الأسباب التي كان منها،
مصادر ماله، ولذلك فهو يري أن قارون الذي يضرب به المثل في كثرة المال لو نزل
بوطنه لأصبح فقيرا معدما، ومن تلك الأسباب أن حكام البحرين في عهده من الأخلاط
والسفلة والجهال، وقد بلغ من ضعفهم وغفلتهم أن رضوا بدفع الجزية لأعدائهم، وعدوا

(*) البلتعاني : المنظر المكيس وليس عنده شيء.

ذلك قمة النجاح في سياستهم الخائرة الهزلية، لأنهم عازفون عن جلائل الأمور بحياتهم اللاهية، فهم هؤلاء الأغبياء، اقامة الليالي في الرقص والغناء واللهو الفاضح، فلو كان على شاكلتهم أو سايرهم فيما هم فيه من المجنون والغفلة، لأحبوه وقربوه ووسعوا عليه ووهبوا له أنسى الجوائز، ولكنه ترفع عن هذه المجالس التي لا يغشاها عقلاً القوم وفضلاً لهم، فليس هو فيما ناله من الأذى، بدعوا بين أصحاب الفضل والباس والندي، كما يقول :

بها راح مسحوتا من المال مجها
عن الرشد حتى خلت ذا الغي أرشدا
بأخذ الجزي عدوه نصراً مؤيداً
كرام المساعي والثناء المخدلا
ورفع المثاني والغناء المهدوا
يمد إلى الضيم باعاً ولا يدا
بها نهلاً عباً وشربي مصدرداً
أو يطف رغاء لدبي الشد أكبداً
ضعيف الأيدي قاصر الجاه مسنداً
إلى حيث أهوي باديات وعدوا
لعرضي أن أعطي المعادي مقوداً
وفداً ومزماراً وعوداً وأعبدوا
ولو جار في الدهر ما شاء واعتدى
سبيل ذوي الأفعال والباس والندي

وأهجر دار الو يحل ابن قاها
يدبرها أوباش قوم تتكبوا
إذا رضي الأعداء منهم مهانة
أقاموا الأغاني بالمفاني وضيعوا
فلو أحسن التصفيق والرقص فيهم
لعشت عزيزاً فيهم ولما اجترأ
ولا راح شُرب المقرفين ذوي الخنا
ولو أني كنت أخذت رذية
وصاحبت من أدنى البوادي مكثماً
ل كانت سنيات الجوائز ترتمي
ولكنني لم أرض ذاك صيانة
وأكبرت نفسي ان أجالس قينة
وان أجعل الأنذال حزباً وشيعة
فلست ببدع في الكرام وهذه

وهكذا نرى ان هذه القصيدة التي بلغت تسعه وستين بيتاً تجمعها وحدة شعورية وفكرية، ساعدت على تحقيق التلازم بين اجزائها، حتى صارت كأنما أفرغت في قالب واحد. يقول ديوسف بكار : فليس معنى الوحيدة - كما اعتقد بعض من تناولوها - أن تحتوي القصيدة على موضوع واحد، ولكن معناها أن يكون بين موضوعاتها انسجام في العاطفة المسيطرة، وفي الاتجاه المركزي نحو حقائق الكون وتجارب الحياة. (٤)

وإذا كانت مشاعر هذه القصيدة توزعت بين الفخر والشكوى والهجاء، فان شاعرية ابن المقرب استطاعت أن تمزج بين هذه المشاعر مزجاً جعلها تبدو كأنها ذات وحدة موضوعية. فهذه الموضوعات بدت في القصيدة كالأواني المستطرقة يصب بعضها في بعض، يقول د. أحمد الخطيب : فالهجاء وبخاصة الوجданى منه ليس في الواقع سوى وجه آخر من الفخر أنه الفخر السلبي، لذا فإن هذين النوعين يتجاوران مع شعره ويمتد أحدهما في الآخر ويتكامل به. ^(٥) وشعر ابن المقرب في الهجاء الاجتماعي امتداد لشعره في النص و العتاب ولا يختلف عنه في النوع ولكن يختلف عنه في الدرجة. وهكذا يتجلّي النضج الفني في هذه القصيدة من خلال الملاعنة المحكمة بين أجزائها رغم طولها وتعدد أغراضها .

وبلغت أبيات الحكمة في لامية ابن المقرب التي مطلعها : ^(٦)

ظننت حسودي حين غالٍ غواهه يريع إلى البقيا وتطوى حبائله

ثلاثة وثلاثين بيتاً من مجموع القصيدة التي وصلت إلى ستة وستين بيتاً. وتأتي الحكمة بعد البيتين الأول والثاني اللذين شكا فيهما الشاعر من أذية الحсад ومكائدhem له، فقد سجل في أبياته الحكيمية تجربته المرة مع هؤلاء الحاذقين الذين بذل معهم كل ما يملك من وسائل الاستهلاك والمداراة، ولكن دون جدوى، وقد خرج بنتيجة تمثلت في اليأس التام من مودة الحسود مؤكداً بالبراهين الحسبية قدرته على امتصاص كل المضائق وتجاوزها، كما يتجاوز القدر الخسوف والبحر الجزر، يقول :

وأبديت سلماً ليس تخشى دغائله
على المرجل الأحوي وذيق توابله
رأيت ومهما قاله أنا قائله
ولا بشرت إلا بشر مخائله
وما نقتضي أخلاقه وشمائله
وان كنت تبدي وده وتجامله
فليس بمحن في دمال تدامله

فأغمضت جفناً والقدي ملء ناظري
وأطفأت نار الجهل بالحلم بعدها
ووطئت نفسي للمداراة ما رأي
فما زاد ذو الأضغان إلا تمادي
كذلك أحوال الحسود وخبه
فلا ترج يوماً في حسود مودة
ولا تبغ بالاحسان ارضاء كاشر

(٥) شعر على بن المقرب العيوني – دار المريخ بالرياض

(٦) ديوان ابن المقرب ٣٢٦

رويدك فات الزج في الرمح عامله
ذراعا فما ضاقت بحر مراكله
غيابهه عن نوره وغياطله
يسير ذات الجل بالمد ساحله

فقل لخليع همه ما يسو عنني
ولا تحسبني ضفت يوما بما جري
فقد يدرك البدر الخسوف وتنجلي
وقد يجزر الرجاف طورا وтارة

ثم يتحدث عن قومه الذين أساوا إليه بأسلوب يعتمد على التشبيه الاقناعي والتوصير الحسي الاستدلالي، ونحس من خلال هذا الأسلوب حرصه على ارضائهم، مستمدًا السلوى مما جري لجده الأعلى (رباب بن البركات) حجة أهل زمانه حين قال لبعضبني عمه احفروا لي حفرة، وادفنوني فيها، وادهبو عنّي بعيدا، فإذا رأيتم الوحوش قد اجتمعت على تلك الحفرة فاتركوها حتى تذهب، فإذا ذهبت فاكلشوا عنّي، فلما حفروا له لم يحفروا عنه حتى مات، يقول :

حقوقي وهدي المجد فيهم وكاهله
بنو عمه دون الوري وفضائله
وينجذب عنه غيره ويزايله
ويجرحه ماضي الشبا وهو فاصله

فان ساعني القوم الكرام وضيعوا
فقبلني أخوشن ابن أفصي أضاعه
ولا بد هذا الدهر يرجع صحوه
وقد يشرق الريق الفتى وهو غوثه

ويرى الخطيب أن أمثل هذه التشبيهات تفقد كل ما يمكن أن تتيحه للقاريء من ثراء عاطفي متعدد الدلالات وتنمية للتجربة التي تقدمها القصيدة، وتصبح ثانوية القيمة ازاء الفكرة التي هي الأساس والصورة مجرد وسيلة ثانوية. (٧)

ويواصل ابن المقرب عرض حكمته من خلال أسلوب الحوار القصصي. يقول:
ودمع الجوي قد جال في الخد جائه
يفوت الثنا من راح والصبر خاذله
فذا الدهر قد أودي وقامت زلزله
بأمنية والرزرق ذو العرش كافله
وقائلة والعيس تحدج للنوي
عليك بصبر واحتساب فانما
ولا ترم في الأهوال نفسا عزيزة
فكك كربة في غربة ومنية

(٧) أحمد الخطيب : شعر على بن المقرب العيوني ٢٧٤

أردها والصدر جم بلا به
وعاجله عندي سوء وآجله
لو ان الفتى أكدي وغثت مأكله

فقلت لها والعين سكري بزفة
أبا الموت مثلثي ترهيبين وبالنوى
وما غربة عن دار ذل بغربة

يقول الخطيب : الشاعر يضعنا في هذه الأبيات ازاء موقف درامي مؤثر ، فالمشهد مشهد وداع ، بدت فيه فتاة الشاعر حزينة باكية ، تحاول أن تثنى عن عزمه بشتي السبل ، ولكن الشاعر فيه ليس أقل حزنا وألما وضيقا ، وان بدا متجلا ، ويضطر ازاء رجائها والاحاجها إلى الافصاح عن دواعي ارتحاله واغترابه ^(٨) . ثم يربط الشاعر أبيات حكمته بما تلاها من أبيات في الرثاء ربطا محكما فيقول :

اذا قدمت اوباشه ور عابله
اذيل بها دمعي فينهل وابله

فمن كرم الحر ارتحال عن الفنا
ولا بد لي من وقفة قبل رحلة

ثم يخاطب ابن المرثي أبا فضل ، ويدركه بحقه ومكانته لديه ولدي أبيه ، وما يكنه نحوهما من مودة ، طالبا منه رعاية هذا الحق ، حتى لا يضطر إلى الرحمة والاغتراب . يقول د. أحمد الخطيب موضحا رأيه في براعة ابن المقرب في حسن التخلص : و اذا كان ابن المقرب قد أجاد هذا الفن ، فربما كان ذلك بفضل تلمذته على ديوان أبي الطيب بخاصة الذي يعد أكثر الناس استعمالا لهذا الفن ، فإنه ما يكاد يلفت له ولا يشذ عنه ، فلم يحدث ان لجا شاعرنا إلى تلك التخلصات التي شاعت عند القدماء كـ (دع ذا وعد وان) ونحو ذلك مما يسمى طفرا واقتضايا ^(٩) ، وهذا الانتقال المناسب والربط المحكم في قصيدة ابن المقرب المشتركة الأغراض تدل على ملكة شعرية وقدرة فنية ، وهو ما يعبر عنه بالنضج الفني الذي ظهر واضحا في قصائده التي كان للحكمة فيها نصيب موفور .

ومن قدماء عبد القيس الذين وردت لهم حكمة في قصائدهم المشتركة المنقب العبدى فله قصيدة من أربعة وعشرين بيتا ، فقد جاءت الحكمة في النصف الأخير من القصيدة حيث بينت أهمية تنفيذ الوعد وقبح اخلافه لأي سبب من الأسباب كما اشارت إلى وجوب اكرام الجار ورعايته حقة والترفع عن الغيبة والنيل من اعراض الناس ، مقررة أن ذا

(٨) المصدر السابق : ٣٢١

(٩) نفسه : ٣٤٠

الوجهين هو أسوأ الناس، وكشفت الأبيات عن سمو أخلاق الشاعر ورجاحة عقله، حين جعل من نفسه مثلاً للصفح عن جهة الجهول والاعراض عنه وجعل ماله وقایة لعرضه، يقول (١٠):

أن تتم الوعد في شيء نعم
وقيبح قول لا بعد نعم
فبلا فاصبر اذا خفت الندم
بنجاح الوعد ان الخلف ذم
وماتي لا يتقى الندم يذم
ان عرفان الفتى الحق كرم
في لحوم الناس كالسبع الضرم
حين يلقاني وان غبت شتم
عنه أذناني وما بي من صمم
جاهل أني كما كان زعم
ذى الخنا أبقي وان كان ظلم
ان خير المال ما أدي الذم

لاتقولن اذا مال م ترد
حسن قول نعم من بعد لا
ان لا بدنعم فاحشة
فاذاقتلت نعم فاصبر لها
واعلم أن الندم نقص للفتي
أكرم الجار وارعي حقه
لا تراني راتعا في مجلس
ان شر الناس من يكشر لي
وكلام شيء قد وقرت
فتعزت خشأة أن يري
ولبعض الصفح والاعراض عن
اجعل المال لعرضي جنة

والموضوع الأصلي للقصيدة هو المديح، وقد وجهها المتنقب العبدى إلى خالد بن الحارث بن أنمار العبدى بمناسبة توسطه في اطلاق الممزق العبدى من الأسر، يوم أغار عليهم النعمان بن المنذر، وقد بدأها بشكوى الأرق بسبب طرق طيف الحبيبة، ثم ضمن قوله المثل العربي (في بيته يؤتى الحكم) وقد أحسن التخلص من المقدمة إلى المدحه، بقوله:

قاله القوال من غير وهم
قولهم (في بيته يؤتى الحكم)

ضررت لما استقلت مثلا
مثلا تضربه حكاما

ثم انتقل بعد ذلك إلى أبيات الحكم المذكورة أعلاه، ولو لا هذه المدحه القصيرة لاستقلت القصيدة بالحكمة، مما يحمل على الظن بضياع قسم منها، وقد استخدم المتقب العبدى في هذه القصيدة بحر الرمل، وهو من البحور المتميزة بالسهولة والرقة التي تطرب الأسماع، وتستريح الآذان إليها.

يقول د. محمد عويس : وتحول الوصايا والنصائح التربوية إلى مسلمات يطلقها الشاعر مشفوعة بالتطبيقات الدالة على صدقها، مما يدلنا على أن تجارب القوم الذاتية كانت تضع أمام الشعراء قواعد شامخة تقوم عليها حكمتهم، وان شئت فانظر إلى ميمية مقيدة نظمها المتقب العبدى تدور حول الوفاء بالوعد والخلق المثالي للمرء في هذا المجتمع وما يجب أن يتحلى به من اكرام الجار وتحاشي الغيبة وتجنب الرياء والحلم على الجهاز، فهو يشترك مع عبد القيس بن خفاف في موضوع الحكمة، ويعالجان في قصيدهما الحكمة التربوية الخلقية، ولكن المتقب العبدى في قصيده يطيل في اياضاح النظرية الخلقية وتطبيقاتها مما يضفي على القصيدة طابعا تعليميا تربويا، ويعد هذا الطابع التعليمي التربوي من السمات الفنية لهذا النوع من قصائد الحكمة ويظن الباحث أن هذا اللون كان ارهاضا لفن الشعر التعليمي الذي ازدهر في العصور التالية .⁽¹¹⁾

(11) الحكمة في الشعر العربي : ١٢٥/١ و ١٢٦ و ١٢٧

من مظاهر النضج الفني لحكمة عبد القيس وجود التكرار سواء في المقطوعات أو القصائد المشتركة أو قصائد الحكمة المستقلة.

ويشكل التكرار بأنواعه وسيلة موسيقية أخرى لتنوع الأنغام، ومنه تكرار حرف في بيت أو في جميع أبيات القصيدة، أو تكرار كلمة ما، ومجيء هذا النوع في الشعر يزيد من موسيقاه، وذلك لأن الأصوات التي تكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية يجعل البيت أشبه بفواصل موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان^(١)، ولا شك أن التكرار لا يقتصر على قيمته الموسيقية بل له دلالة أخرى، فالتكرار في حقيقته الحاج على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنایته بسواها، فهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية^(٢)

ومن الأنواع التي تقوم على التكرار (التنزيل) وهو تعقيب الجملة التامة بجملة تشتمل على معناها لتوكيده منطوقها أو مفهومها ليظهر المعنى لمن لا يفهم، ويقرر عند من فهمه، والمقصود هنا ما يظهر فيه اعادة صوت الحروف، ومن أمثلته قول المتنبئ العبدي وفيه أكثر من مثال :

أن تتم الوعود في شيء نعم
وقبيله قول لا بعد نعم
فبلا فابداً إذا خفت الندم

لا تقولن اذا مالم ترد
حسن قول نعم من بعد لا
ان لا بعد نعم فاحشة

ومن التذليل الجاري مجري المثل قول ابن عبد الأعلى العبدى : (٣)

جز عي (ومن يذق الحوادث يجزع)

ولقد اقول لذي الشماتة اذ رأى

(١) ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ٤٥ - مكتبة الأنجلو المصرية ط٤

(٢) نازك الملائكة قضايا الشعر المعاصر ٢٤٣ مكتبة النهضة المصرية ط ٣

٢٥٧/٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد

ومن ذلك أيضا قول الخنزيري :

(انما الكون عالم الأشقياء)

لاتظل الحياة إلا شقيا

ويقول عبد الصمد بن المعتذل :

(فكوني حديثا حسن)

أرى الناس أحذوثة

ويستعين عبد الحميد الخطبي بأسلوب التكرير للحث على التمتع بجمال الطبيعة ومناهج

الحياة، يقول : ^(٤)

عن سماء فتانة الأوضاح
عذب اللحن مسکر الأرواح
خضل العشب ضاحك الألواح

فمن الظلم ان أغمض عيني
ومن الظلم لا أصيخ لطير
ومن الظلم لا أباكر روضا

وكرر ابن المقرب في كثير من حكمه أسلوب الشرط لتعليق الجزاء على العمل في التجربة الإنسانية، كما نرى في احدى قصائده، حيث يكرر لفظ (ومن) في أوائل أبياته، مما يجعل لانشاده وقعا صوتيًا مؤثرا في نفوس السامعين وآذانهم، ونضجا فنيا جاء من أثر المزج بين الأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري. يقول : ^(٥)

رصاصا يجد سيف العراجين ماضيا
يرى عاويات الليل أسدًا عواديا

ومن يتخذ سيفا يكون غراره
ومن يجعل السنور كلبا لصيده

وقد يكرر الشاعر استفهام النفي متخذا منه اداة برهنة ووسيلة اقناع، في مجال الحض والتشجيع على الاقدام والصمود. يقول : ^(٦)

جانا على مر الليالي مخدلا
فتى لوطيس الحرب ما زال مفندًا
وهل فاز راض مورد الذل موردا

ولا عاش من يرضي الدنيا أهل راي
وهل مات من خوض الردي قبل يومه
وهل ساد راض مرتع الذل مرتعًا

(٤) سعود الفرج : شعراء بين عون من الجزيرة العربية ٦٨٥/١

(٥) ديوان ابن المقرب ٢٥٨

(٦) نفسه ١٤٩

وهل عز بالأعداء من قبل تبع
وهل طاب عيش بالمدارء أو صفا

مليك تمطي الملك كهلا وأمردا
لو أن المداري راح بالخلد واغتنى

ومن شعاء عبد القيس الذين أكثروا من استعمال هذا الأسلوب محمد سعيد الخنizi
ففي قصidته (روح وهيكل) يكرر الشاعر كلمة (حثيني) تكرارا يتعلّق تعلقاً مباشراً ببناء
القصيدة العام، وهو أحد الأسباب التي يوفر النجاح لهذا التكرار الذي بلغ ثمانين مرات :

وَمَا جَاءَ فِي الْقُصْدَةِ : ^(٧)

ح وكيف الحياة في الأجسام
ب لعل الحديث يطفي أوامي
كل ما تتطـقـينه باحترام
مهر حياة الأرواح ذات السلام

حدثني يا نفس عن أفق الروح
حدثني فانني ظامي القلوب
حدثني فانني أتلقي
حدثني عن عالم اللطف والطهور

وفي قصيّته (لا تقولي) يكرر الشاعر هذه الكلمة سبع مرات : ^(٨)

ويimoto الغرام شيئاً فشيئاً
وتغفووا الأحلام في مقلتيا
وسكبت الفؤاد في راحتيا
ل صداه يرن في أذنيا

لا تقولي ان الحياة سطّوي
و يموج الديدان في الثغر والخد
لا تقولي لقد آثرت شجوني
لا تقولي فان صوتك لا زا

وفي نص آخر يكرر الشاعر ضمير المنفصل للمتكلم (أنا) الدال على الفخر والاعتزاد بالنفس، يقول^(٩):

أنا في العواصف كالجبال تكون للأحداث قبرا
أنا كالمرابط للجروح أسيل فوق الجرح عطرا

(٧) ديوان سعد الدين: النغم الحريم

(٤٥) ديوان الخنزير: شعر اسمه الحب

(٩) ديوان الخنزير: مدينة الدار البيضاء ٩١

كما يكرر في أبيات أخرى فعل الأمر الناقص (كن) في مقام الحث والترغيب (١٠)

وكن نسمة كحنان الرب
وكن جدوا لا يملا الخافق
وكن مشرقا مثل بدر السماء
ع تضمد عطفا جراح البشر
ين فيisci القلوب ويسيقى الفكر
يضىء الحياة شعاعاً أغرا

وربما جمع بين تكرار الحرف والفعل والاسم، فقد كرر بعض الحروف مثل (هل) الاستفهامية المتضمنة معنى النفي و (أم) المنقطعة المفيدة للاضراب، كما كرر الفعل الماضي (شهد) الدال على تحقق المعنى وثبوته وكرر لفظ (الصديق) بوصفه القطب الذي يدور عليه رحى الموضوع. يقول : (١١)

أيها البدر هل شهدت خليلا
هل شهدت الصديق يفديك بالـ
أم شهدت الصديق تمثال وهم
أم شهدت الصديق تمثال كذب
صادق الود حافظا العهود
مال والنفس ذاك أقصى الحدود
خلقته رؤي الخيال الشرود
ورياء مزخرف في البرود

في هذه النماذج يتوافق شرطا الجودة، فاللفظ المتكرر متين الارتباط بالسياق، وما بعده قد لقي عناية الشاعر كاملة. بقي من ألوان التكرير لون دقيق يكثُر استعماله في شعرنا الحديث، وهو تكرار الحرف، ومن أمثلته في شعر عبد القيس قول الخنزيري : (١٢)

ابتسِم كالزهور كالليلة القمرا
ء كالفجر مشرق الللاء

فالشاعر يكرر الكاف هنا، ويؤثرها على واو العطف، لأنها تجدد التشبيه، وتقويه، محتفظة له بباقية القارئ كاملة. ولا شك أن المعنى يفقد كثيراً لو كان الشاعر قال :

ابتسِم كالزهور والليلة القمراء والفجر .

(١٠) ديوان سعيد الخنزيري : *النغم الجريح* ١١٤

(١١) ديوان الخنزيري : *مدينة الدراري* ٣٧

(١٢) ديوان الخنزيري : *النغم الجريح* ٩٥

(د) الصدق الفني والواقعية

يتحقق الصدق الفني في العمل الأدبي حين يصدر عن عاطفة حياثة بعفوية وتدفق وبلا تكاليف أو افتعال، ويميز العقاد بين الصدق في التجربة ومطابقة الواقع فيري أن الصدق في التجربة هو النفاذ إلى روح الموضوع والاحتاطة بأصوله ومقوماته بخلاف مطابقة الواقع فهي جمع معلومات خارجية حول الموضوع لا تمس روحه ولا تدخل منه في مقوماته^(١)، ويرى أن المبالغة ليست عيبا في الشعر ما دام الشاعر ملتزما للحقيقة الفنية^(٢). ويرى النويهي أن الصدق هو تعبير الأديب عن عاطفته وعقيدته وليس معناه النقل الحرفي للواقع الخارجي، وهو مطابقة الكلام لعقيدة المتكلم^(٣). ويرى أن الصنعة لا تتناقض مع الصدق وإنما تتعارض معه حين يبالغ فيها حتى تصبح هي الغاية، وينسى أنها لم تأت إلا لابراز عاطفة صادقة ابرازا يثير نظيرها في نفس المتلقى، والتقدير النهائي في نظره يرجع إلى الذوق الفني الذي ينمو وينضج بكثره القراءة وطول التأمل^(٤). أما غنيمي هلال فالصدق الفني عنده هو الأصالة وهو الأساس في صدق الفنون جميعها، وإن الفصل بين العمل الفني والصدق بنوعيه الفني والواقعي فيه مساس خطير بأسس الفن الجوهرية إذ لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالالتزام بالصدق الفني للتعبير عن حقيقة أصيله يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه لا إلى ما حفظ من عبارات وسرق من جمل، وهو يرى أن هذا الصدق في الفنان قد يتطلب معه أن يتحرر في فنه وأدبه من عقائد سائده أو مزاعم اخلاقية اجتماعية قائمة^(٥). ثم يشير إلى أن ما قاله القدماء وأسندوه إلى أرسطو من أن "أحسن الشعر أكذبه" لا أساس له من الصحة، فالصدق الفني والواقعي دعمته الخلق وبدونه لا يوجد فن يعتد به، وهذا هو رأي الفلاسفة جميعهم في كل عصر وزمان^(٦). ويرى د. مصطفى ناصف أن الصدق قدر رادف الجودة وسارا معا في كل مكان وأن العناية باللغة بالصدق صررتنا عن تحليل الشعر ذاته، وهو يرى أن العمل الأدبي هو ليس ترجمة

(١) العقاد: شاعر الغزل: ٨٦ - دار المعرفة سلسلة أقرأ العدد الثاني ١٩٥٥ وساعات بين الكتب: ٧١

(٢) العقاد: ساعات بين الكتب: ١٣٣

(٣) النويهي: وظيفة الأدب: ٤٩

(٤) نفسه: ٧٣ و ٧٨

(٥) في النقد الأدبي: ٣٣٤

(٦) نفسه: ٢٣١

للعاطفة وإنما هو تأويل لها، ومما يجعل القول في الصدق والكذب مجرد تعبير عاطفي لا خير فيه تعدد البواعث الإنسانية واحتلاطها^(٢)، والواقعية لغويا تعني تصوير الواقع والتعبير عنه، وهي قديمة قدم الأدب والفن، وتحقق الواقعية الهدافة بكل تعبير فني عن الواقع الاجتماعي بهدف تثبيت ما فيه من قيم أصيلة صالحة وتعزيز ما أخذت فيه أو تصبوا إليه الجماعة الإنسانية من قيم منشودة وتغيير ما في المجتمع من قيم فاسدة وأوضاع سيئة ومفهومات مضللة. وقد قال معظم الباحثين بواقعية أدبنا العربي في العصر الجاهلي قبل أن توجد الواقعية كمذهب بمئات السنين، ولم يكن هذا الالتزام من الشعراء. كما يقول د. العالم : مراعاة فهم الدين أو خضوعا لشريعة ولكنه كان أثرا من أثار حياتهم الطبيعية البسيطة التي تكتفي بقدر الضرورة من كل شيء في المأكل والملابس والشرب وتدع الفضول والمبالغات جانبا^(٣). وقد فطرهم على ذلك صراحتهم مع أنفسهم تلك الصراحة التي لابد أن تكون قد تسللت إلى أنفسهم من حياة الباذية الواضحة المكشوفة التي تلقنهم دروسا لا تنتهي في الصراحة والوضوح والصدق والعفوية وذلك بفضل حوانطها الرقيقة التي لا تكاد تخفي عن أعين الناس شيئا^(٤). وقد حمل شعراء عبد القيس منذ جاهليتهم تلك السمات من الصراحة والوضوح والصدق والواقعية، وقد عكس شعرهم حياتهم دون محاولة لتربيتين قبيحها أو تغيير واقعها، وتجلت في حكمتهم هذه الخصائص فكان من ظهر مميزات حكمة عبد القيس الواقعية والصراحة، وقد استمدوا حكمهم من واقع تجاربهم الذاتية في أغلب الأحيان، فجاءت مترجمة عن طباعهم وأخلاقهم وبيئتهم وطبيعة معيشتهم وطريقة تفكيرهم. نجد هذه الواقعية والصراحة في كل ما صدر عنهم من حكم كان للتجربة الشخصية أثر في تكوينها. ففي مجال العلاقات الخاصة لم يجد الشاعر العبدى حرجا في الأفصاح عن مشاعره الحقيقية تجاه عدوه الذي يكن له الحقد والكراهية عبر هذه الصورة القوية الصارخة ببارز ما بينهما من تباين وتضاد، يقول المتنبب العبدى :

جري الدميان بالخبر اليقين

فلو أنا على حجر ذبحنا

(٢) دراسة في الأدب العربي : ٢١٣

(٣) اسماعيل العالم : شعراء البحرين في العصر الجاهلي - رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة ٢٧٨

(٤) الكفراوى : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ١٠

والمعنى انه لشدة ما بينهما من العداوة لا تختلط دمائهما، فلو ذبحا على حجر لافترق الدميان. واذا كان هذا الشاعر عبر بصرامة الجاهلي الحادة، فان عبد الصمد بن المعدل الشاعر العباسي لم يخف صرحته وحقيقة شعوره نحو صديقه الذي هجره، وكان واقعيا حين ذكر ان كلا منهما سيجد الخلف في الآخرين، يقول :

كلانا واجد فيانا
س من مله خلفا

وأحمد بن المعدل يطالب صديقه أن يعامله بالمثل، ويستذكر عليه تجاهل هذا المبدأ العادل يقول :

أفي حق المودة أن نقضي
ذمامكم ولا تقضوا الذماما

وفي غزل المتنقب يظهر اعتزازه بنفسه ومعاملته الحبيبة بمثل عملها فاذا قطعه جاز اها بقطيعة مثلها، يقول :

فاني لو تختلفني شمالي
اذما قطعتها ولقلت بيني
خلافك ما وصلت بها يميني
كذلك أجتوبي من يجتويني

ويرفض المتنقب العبدى ذا الوجهين ويعلن حكمه عليه ورأيه فيه بكل صراحة، يقول :

ان شر الناس من يكشر لي
حين يلقاني وان غبت شتم

ويعبر ابن المقرب عن أنسه بالابتعاد عن المداجين، يقول :

لا تحسبوا أن بعد الدار أو حشني
البعد أنس من قرب على دغل

ويوضح عمرو بن هبيرة الحالة الفلقة والضعف لمن يعيش بين قوم ليس منهم، يقول :

و من تك في غير العشيرة داره
يغضب فتبرد غير مرضي مغاضبه

ويقترب هرم بن حيان من هذا المعنى، ويبين الأثر السلبي لمن يعيش بمفرده، وما قد يتعرض له من ظلم لا يستطيع دفعه. يقول :

وعدي ذوي الأضغان للضييم مدفعا

ولا يجد المكسور ما دام واحدا

ويصدر ابن المقرب العبدي عن واقعية حين يذكر أثر المال في تحقيق المكانة
الاجتماعية، يقول :

رمته عداه واجتوه أقاربها

اذا المرء لم يملك من المال ثروة

وتحديثوا عن الموت بواقعية وصدق، ولم يخروا خوفهم منه يقول أحد شعراء عبد
القيس :

لکنت جديراً أن أخاف على نفسي

و لم لو يمت ممن تري غير واحد

ويقول المتنبئ مصورة و معترفا بأن قومه ليسوا محربين على القتل، وبخاصة عندما
عصوا أمر الملك عمرو بن هند :

بعد ما صاف وفي الخد صعر
عيش دهر كان حلوا فامر

و أقام الرأي وقع صادق
ولقد اودي بمن اودي به

وفي مرارة ممضة يعبر ابن المقرب عن المفارقات التي تجري في عالم الواقع،
والأعاجيب التي تقع بفعل الظروف والحظوظ، معزياً نفسه عن ذلك بالتشبيه الساخر.
يقول : (١٠)

لدي ضده أو أن يوقر جاهم
فيخلي له المرعي ويحرم صاهم
وتلوي بأعناق الرجال السلسل

وليس عجيباً أن يحقر عالم
فقد ربما للجد يكرم ناهق
وقد يلبس الدبياج قرد ولعبة

ومن مميزات حكمهم غلبة الطابع الحماسي عليها، ولا سيما ما ورد في ذلك من
شعر ابن المقرب، فمن ذلك قوله :

فقم واركب الأهوال جدا فطالما

أفاد الغني بالمركب الصعب راكبه

ويقول :

على خطأ يغتاله أو تعمدا

عدمت الفتى لا ينكر الضيم والردي

ويقول المتقد :

تقلا وأعراضا صحيحاً أديمها

نعد لأيام الحفاظ مكارما

ويقول أبو بكر الخالدي :

بالبيد والظلماء والعيس

إن خانك الدهر فكن عاندا

رؤوس أموال المفالييس

ولا تكن عبد المنى فالمني

وفي صراحة شديدة يخاطب ابن المقرب العيوني نفسه، طالبا منها طرح التعلل بالأمني المضاللة، والأحلام الزائفية، ومواجهة الواقع مهما كان قاسيا، بكل شجاعة وجرأة، ويشبه استكانته باستكانة الضب لشفار الصائد، وهو يظن أنه في منجاة منها،
يقول: (١١)

وتترك ليتا للمعنى وربما
حبائل عص حالف الفقر أرshima
تحد وجزل النار يعلو تضرما
أري أننا في هذه الحال نوما

الم يأن أن تنسى عسي ولعلما
أم أنت امرؤ كالضب قد علقت به
يرى نفسه في كفه وشفاره
ويرجوا انتعاشنا إذ يقول لحسله

وفي أبيات عبد الواحد الخنizi والتي وضعها تحت عنوان (مشاعل على الطريق) (١١)، يطرح الشاعر فيها أشتاتا من التأملات الصادقة المستمدّة من واقع الحياة، نراه يحذر من التشاوم، بتوضيح آثاره الضارة، وما ينتجه من خوف وقلق وضيق، وتحوّل الجميل إلى قبيح والنور إلى ظلام. يقول :

(١١) المصدر السابق : ٤٦٦
(١٢) ديوانه : ١٤٣ - مكتبة الأنجلو المصرية

رأي الصبح ليلاً وفي الأمان ذرعاً
رأي في رحابة الكون شبراً

إذا سكن الخوف قلب امرئ
وإذا ضاقت الحياة على المرء

ولأن الشاعر يتعامل مع الحياة بواقعية شديدة، نجده يحذر أيضاً من الإسراف في التفاؤل، حتى لا يصدم المرء بما تعرّضه عادةً من مشكلات وعقبات ومنغصات في الحياة، وينهار أمامها، لأنّه لم يتّخذ من وسطية النّظرة مناعةً تجعله قادرًا على التّكيف مع الظروف، يقول :

فتح الجفون على نهار أسود
عاش الجحيم على صعيد الواقع
بأن يفعل الذي لا يريده

من نور الليل البهيم بوهمه
من عاش في أوهامه في جنة
ان بعض الشؤون تقضي على المرء

وبواقعيته الصادقة أو صدقه الواقعي، نراه يشير إلى بعض الظواهر الاجتماعية والطبيعية، كالصادقات والحظوظ، وتقبلها بحسناتها وسيئاتها، من أجل استمرار الحياة، يقول:

سيبقي فرداً بغير صديق
والجهل لا يخوض حظاً سما

الذى يبتغي صديقاً بلا عيب
الفضل لا يرفع حظاً هوى

الخاتمة

في نهاية المطاف نوجز نقاط البحث الهامة، والنتائج التي توصل إليها :

١ - فقد بدأ البحث بتمهيد مختصر تناول جانبين، الجانب الأول موطن القبيلة ونسبها والجانب الثاني تعريف الحكمة. فيما يتصل بنسب القبيلة عرفنا أنها عدنانية كبيرة تنتهي أصولها إلى عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وأنها تتفرع إلى فرعين كبارين هما اللبؤ بن عبد القيس وأفصي بن عبد القيس، وأن العدد والشرف كان في أفصي الذي ولد لكيز وشن، وهما قبليا عبد القيس .

أما موطن شعراء القبيلة فكانت البحرين بحدودها القديمة التي ترافق الخليج العربي، وتشمل المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وجزيرة أواه وقطر والكويت ورأس الخيمة، ثم انتقل فريق منهم إلى البصرة والكوفة والموصل وفارس وخراسان خلال الفتوح الإسلامية .

وفيما يتعلق بتعريف الحكمة عرفنا أن أصل الحكمة مشتق من قولهم حكم الفرس وأحكمه، وأن الحكيم هو المتقن للأمور، المصيب برأيه الذي يقضي على شيء بشيء، وهو العالم الذي ينظر بعين البصيرة إلى أعماق الأمور بتؤدة وتبصر وأناه، فالحكمة هي جوهر المعرفة والغاية منها هي التبصر في الأمور واستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها والحكم بموجبها. كما عرفنا أن أدب الأمثال فرع من الحكمة، فالحكيم هو الذي ينطق بالحكم يقرنها بالأمثال والقصص والنوادر. وخلصنا إلى أن الحكمة قول بلغ صائب الفكر دقيق التعبير يتضمن حكما صحيحا مسلما به أو عظة نافعة وعلمًا مفيدًا أو توجيهًا سليمًا إلى جانب من جوانب السلوك يصدر من ذوي رأي وتجربة .

٢ - وقد بنيت خطة هذا البحث بعد التمهيد على ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول منابع حكمة عبد القيس، وقد تمثل في أربعة ينابيع: الأول تحدث عن المنبع الديني، وكان من شقين: الشق الأول ديانات عبد القيس في الجاهلية، والشق الثاني اسلام عبد القيس، أما عن عقائد عبد القيس الجاهلية، فكانت بين وثنية ومسيحية، وكان للوثنيين صنم يدعى ذا اللباء سنته بنو عامر، وقد انتقلت المسيحية إلى ديار عبد القيس عن طريق العراق، عندما كانت البحرين تحت نفوذ المناذرة في الحيرة، وكان الجميع يدينون بالمذهب النسطوري، ومن أشهر الأديرة التي ساهمت في انتشار النصرانية في الخليج العربي مطرنة في قطر تسمى بيت قطرايا، ومن أسقفياتها الكبriي أسقفية سماهيج، وأبرز شخصياتها الدينية رئاب الشني، والجارود العبدى، وبحيرا الراهب الذى يذهب المسعودي إلى أنه من عبد القيس، ويظن أن قس بن ساعدة كان من البحرين، وكان لهؤلاء أثر في تفكير شعراء عبد القيس وكانت من أسبق القبائل إلى الإسلام، وقد تم لها ذلك قبيل وخلال الوفادتين اللتين قام بهما وجوه القبيلة، ففي الوفادة الأولى رأس عبد القيس المنذر بن عائذ الملقب بالأشج، وكان السبب المباشر لاسلام الفوج الأول من عبد القيس يعود إلى أن منقذ بن حيان العبدى - ابن أخت الأشج - كان يذهب بتجارته إلى المدينة، وبينما كان منقذ جالسا إذ مر به النبي (ص) فنهض إليه منقذ كيف قومك؟ ثم سأله عن أشرافهم رجلا رجلا بأسمائهم، فأسلم منقذ وتعلم الفاتحة وسورة إقرأ وكتب الرسول لجماعة عبد القيس كتابا فأعطاه للأشج فأسلم ثم أخذ المنذر كتابه وأطلع القوم عليه فاسلموا. أما الوفادة الثانية فكانت برئاسة الجارود العبدى حيث أسلم بين يدي الرسول (ص) وأسلم أفراد الوفد معه، وتركوا دين النصرانية الذي كانوا يدينون به.

أما المنبع الثاني من منابع حكمة عبد القيس فكان ذا جوانب ثلاثة: الموروث التقافي الجاهلي، والموروث التقافي الإسلامي، ومعطيات ثقافة عبد القيس من الأمثال. فقد كان الجانب الأول رافدا هاما من روافد حكمتهم، لما انطوى عليه من صنوف الثقافة المعروفة في العصر الجاهلي حتى نبغ في عبد القيس الحكيم والصانع والخطيب والمصلح. وقد أظهر البحث بعض المؤشرات الدالة على احتمال وجود قس بن ساعدة الایادي في البحرين وتأثيره فيمن حوله، وهو خطيب العرب الأول وحكيماها في الجاهلية، إلى جانب حكماء

آخرين في عبد القيس كرئاب الشنلي، وعمرو بن الجعید، والأشج العبدی، والجارود العبدی، وأم النحیف العبدیة، وأم حزنة، وأم حکیم وغیرهم. وقد تحدث هذا المنبع عن أصحاب الأوائل من عبد القيس كهزیز بن شن أول من تقد القنا بالخلط، والحطمة بن محارب الذي تسبب إليه الدروع الحطمیة، وصهار العبدی صاحب أول كتاب في الأمثال. أما الجانب الثاني من المنبع التقاوی فهو الموروث التقاوی الاسلامی وقد أوضح هذا الجانب غلبة علم الحديث على ثقاوی بنی عبد القيس الاسلامیة، وبروز كوكبة كبيرة منهم في هذا المجال كما ظهر فيهم فقهاء وأصحاب مؤلفات عديدة ذات صبغة أدبية وتاریخیة.

أما الجانب الثالث من المنبع التقاوی فهو معطیات ثقاوی عبد القيس من الأمثال، وقد عکس هذا الجانب ما سجله شعر عبد القيس من أمثال كثيرة بعضها ابتکرها شعراً وهم وبعضها اقتبسوه من أمثال العرب، وتوصل البحث إلى ترجیح نسبة بعض الأمثال إلى قائلها السابقین، كما وردت لهم أمثال مبتكرة خارج منظوماتهم الشعیریة. أما المنبع الثالث من منابع الحکمة فهو المنبع الأجنبی، وقد بين هذا الجانب تأثر عبد القيس بهذا المنبع، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل منها الموقع الجغرافي الذي يتصل بیحر عمان وبحر الہند وبحر الصين والقلزم والزنج والسند، وان أهلہ الذين يقطنون على سواحله وجزرہ على اتصال مستمر بالأمم الأخرى عن طريق البحار المذکورة. ومن هذه العوامل التکوین الاجتماعي الذي يتكون من العرب وجالیات أخرى أهمها الفرس ذوو الجذور الحضاریة. ومن العوامل أيضاً الرحلات والهجرات، حيث قام الكثیر من أبناء عبد القيس برحلات و هجرات إلى العراق والحبیرة والبصرة والکوفة والموصى والي فارس وخراسان. وأخيراً كانت الأسواق العامة أشبه ما تكون بمؤتمرات أدبية وجدت فيها عبد القيس وغيرها ألواناً من التقاویات. أما المنبع الرابع والأخیر من منابع حکمة عبد القيس فهو التجربة الذاتیة، ويعتبر هذا المنبع أكبر المنابع وأقواها، حيث كانت التجارب الشخصية المصدر الأغزر لحكمتهم.

٣ - وقد احتوى الفصل الثاني على الحکمة وقضایا الانسان، وجاء في خمس قضایا : الأولى تناولت قضیة الحیاة والموت ، وقد احتلت هذه القضية من تفکیر الشاعر العبدی أكبر

مكان، وكان موقف الشاعر العبدي الجاهلي من قضية الموت يرتكز على نظرية حزينة متشائمة ولكنها لم تدفعهم إلى الهروب من الحياة عن طريق السكر والعربدة، فكان وقوفهم عند الموت الاعاظ والاعبار والفروسيّة والشجاعة، وقد دل ذلك الوقوف الطويل على استقلال شخصيتهم واحساسهم بذوائهم وحصولهم على قدر من التحضر والمدنية. أما شعراء عبد القيس الإسلاميون فقد كانت وقوفهم ونظرتهم تجاه قضية الموت مختلفة، فلم يعد ذلك التشاوم يسود تفكيرهم، الا أنهم جمعوا بين الحديث عن أمور تقليدية كالشيب وغيره، وبين أمور جديدة استمدواها من تفاصيل الفلسفية، قضية النفس ونشوء خلق الإنسان وتناولت القضية الثانية قضية العلاقات الاجتماعية، وقد جللتها نظرة تشاومية، فتمثلت جل حكمهم في الشكوى والعتاب والنصيحة، وتحدثت الثالثة عن قضية الأخلاق حديثاً كشف عن اهتمام عبد القيس بهذه الناحية، وافتخارهم بالفضائل ومكارم الأخلاق، كما أبان عن روح حضارية اتصفوا بها منذ العصر الجاهلي. وتضمنت الرابعة قضية الشؤون السياسية، وقد تجلت هذه القضية في شعرهم الحكمي الجاهلي، وفي شعر ابن المقرب العيوني الذي كان فارس الحلبة في هذا الميدان، حيث بلغت أبياته في ذلك أربعينات وسبعينات بيته. أما القضية الخامسة من فصل الحكمة وقضايا الإنسان فتشمل قضية الإيمان والزهد، وقد بينت أن العبدية في الجاهلية كانوا على معرفة بالله، وقد وجد بينهم موحدون ونصاري، وكثير من الحكماء الذين نظروا بفکرهم نظرة أوسع إلى الله والطريق إلى تعاليمه، وقد وجدوا في الإسلام - بعد ظهوره - الحل الأمثل لأمور دينهم ودنياهم فاسرعوا إلى اعتناقه والتمسك به.

وقد سجل شعرهم في هذا الجانب قصة اسلامهم ووفادتهم على الرسول (ص)، وآيمانهم المطلق بقضاء الله وقدره، وتقوي الله وخشيته، والدعوة إلى وحدة الصف الإسلامي، والزهد في الدنيا، الا أن بعضهم في زهده جنح إلى التشاوم من بعض الناس، كما أن بعضهم الآخر كان متفائلاً، كالشاعر المعاصر محمد الخنيزي الذي ناقش مشكلة الضياع والحيرة التي صاحبت بعض الشباب في الستينيات من هذا القرن وأشار إلى النهضة العلمية والدينية في البلاد .

٤ - أما الفصل الثالث فقد عالج الخصائص الموضوعية والفنية لحكمة عبد القيس من خلال تسع نقاط : القطعة الحكمية، وقد ناقشت هذه النقطة أسباب شيوخ المقطوعة في شعر عبد القيس، وأهم هذه الأسباب أن أكثر حكمتهم كان وليد التجربة الذاتية، وهي أشبه بسهام تصوب إلى أهدافها بكل تركيز. ومن ذلك قلة المقدمة الغزلية في شعر العبيدين، ومنها حياة فرسان الحرب في عبد القيس وما تتطلبه من ايجاز وسرعة، ومن الأسباب مجئ بعض حكمهم بشكل مرتجل، ومن ذلك وردها على صورة الوصايا التربوية التي تتطلب الایجاز، ومنها صدور هذه المقطوعات عن شعراء غير محترمين، ومن ذلك ضياع قسم من شعرهم، ومن حيث المضمون فقد شملت المقطوعة كل خواطيرهم وخطراتهم الفلسفية إلا أن فكرة الحياة والموت أخذت مساحة أكبر من حكمتهم، ولا سيما شعرهم الجاهلي، ويرجع هذا إلى البيئة الحضرية المترفة، كما شغلت مسألة الأخلاق والسلوك جانباً من اهتمامهم. وقد تميزت هذه المقطوعات بالوحدة الموضوعية إلا الطويل منها فان بعضه لم يحافظ بشكل كامل على هذه الوحدة، وقد بلغت مقطوعات عبد القيس أكثر من تسعين مقطوعة، وكان أغلبها قصيراً يتراوح بين البيتين والثلاثة. ومن حيث الشكل فقد أتت هذه المقطوعات في صور شتى، جمعت بين الموعظة والوصية والنصيحة ومقدمات الفروسيّة والمعاتبة والشكوي والزهد والدهاء والاشادة والمثل والقصة والفخر والاعتذار عن سوء الحال والهجاء. النقطة الثانية تناولت الحكمة في القصيدة المركبة، علماً بأن مصطلح القصيدة المركبة يستعمله حازم القرطاجي، ويقصد به الجمع بين غرضين أو أكثر من أغراض الشعر، ويأتي ابن المقرب على رأس شعراء عبد القيس في هذا الجانب البنائي من حكمتهم، فقد رصع شعره بمانئي حكمة وردت فيما يقرب من ستين قصيدة، ولم يكن له منهج محدد فيها فقد ترد في مستهل قصائده، أو في ثناياها أو في أسطارها كما رأينا. وقد نظم ابن المقرب أغلب قصائده المركبة في الطويل والبسيط والكامل والوافر، وقد وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبد القيس منذ العصر الجاهلي، وللمتنبِّع العبدي أكثر من قصيدة مركبة، كما وجدت الحكمة في القصائد المركبة لدى شعراء عبيدين في العصور الأخرى، من ذلك الشاعر المعاصر محمد سعيد الخنيزي والشاعر العثماني أبو البحر الخطبي، والشاعر العباسي أبو عثمان الخالدي. والنقطة الثالثة تناولت الحكمة في

القصيدة البسيطة، وهذا المصطلح مثل سابقه من مصطلحات حازم القرطاجي، ويقصد به القصيدة المستقلة بالحكمة، وهي ذات الوحدة الموضوعية، وقد كان الشاعر محمد سعيد الخنيري فارس الحلبة في هذا الميدان، وهذا ما مكن الشاعر من اتخاذ عنوانين لقصائده تدل على فحواها، من ذلك قصيدة (النهر الطروب) وقصيدة (سراب) وقصيدة (لا تقولي) وقصيدة (إليها) وغير ذلك. ولم يخل شعر عبد القيس القديم من الوحدة الموضوعية، كما رأينا في لامية الأعور الشني. والنقطة الرابعة تتصل بالألفاظ والمعانى، وعرفنا من ذلك سهولة الفاظ حكمتهم في جملتها بحكم طبيعة الموضوعات من ناحية وبحكم البيئة المدنية التي عاشوا فيها منذ جاهليتهم، أما معانيهم فقد جمعت بين الابتكار والتقليد والتلذيد الطريف. والنقطة الخامسة تتعلق بالتصوير والتلوين البديعي، وقد كان التشبيه الأداة الرئيسية لخيالهم التصويري في حكمتهم، وكانت أكثر صورهم حسية بصرية. كما استعملوا الاستعارة بصورة لفتت أنظار الشعراء اللاحقين إليها، وتمثلوا بالقصص التاريخية، وقصص الحيوان. ومن ألوان البديع استخدموا الطباق والمقابلة، والجناس الناقص. والنقطة السادسة تناولت خصائص أخرى كالوحدة الموضوعية، والاطالة والملاءمة، والتكرار، والصدق والواقعية. وقد تمثلت الوحدة الموضوعية في بعض المقطوعات الطويلة، وأغلب المقطوعات القصيرة، إلى جانب القصائد المستقلة بموضوع واحد. كما تمثلت الاطالة والملاءمة في القصائد المركبة، وقد كانت جل قصائد ابن المقرب العيوني من هذا القبيل، فقد حقق في قصائده المشتركة حسن الترابط والانسجام، مع طول مساحة الحكمة في هذا النوع من القصائد.

و كان التكرار من مظاهر النضج الفني في حكمتهم، حيث كان وسيلة موسيقية لتنويع الألحان، ومنه تكرار حرف في بيت أو في جميع أبيات القصيدة، أو تكرار كلمة ما، ومن أنواعه تكرار التذليل، وتكرار الحرف الذي كثر استعماله في الشعر الحديث. كما تميزت حكمتهم بالصدق والواقعية، والصدق في التجربة هو النفاد إلى روح الموضوع، وليس معناه النقل الحرفي للواقع. والصدق هو الأصالة والجودة. والواقعية تعنى تصوير الواقع، والتعبير عنه. وقد عرف الشعراء العرب عموماً بذلك منذ جاهليتهم، وقد تجلت في حكمة عبد القيس بشكل واضح وقوى.

وقد ابرز البحث ما أضافه الشعراء العبديون للتراث الحكمي من رياضة الشعر التعليمي على يد المتنقب العبدي في ميميته التي منها :

لا تقولن اذا مالم ترد
أن تتم الوعد في شيء نعم

وريادة في أسلوب التصوير ممثلاً في الاستعارة على يد شاتم العبدى في عينيته التي مطلعها :

ولما رأيت الدهر وعراً سبيلاً
وأبدي لنا ظهراً أجب مسلعاً

مما أكسب حكمتهم طراوة وحيوية وتأثيراً، وجنبها الجاف والتقريرية التي وصمها بها أصحاب المنظومات، كذلك تناول البحث دور الشاعر الجاهلي العبدي في لم شبات القبيلة، والأخذ بيدها إلى معالي الأمور، والترفع عن سفاسفها، ودور الشاعر العبدي المسلم في الدعوة إلى التخلق بالأداب والقيم السامية، والتضامن الإسلامي .

المصادر والمراجع

(١)

❖ الامدي، أبو القاسم : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى ج ١ تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف بمصر ط ١٣٩٢ ٢ هـ.

❖ ابراهيم، زكريا : مشكلة الفلسفة - مكتبة مصر - القاهرة .

❖ أبو تمام : الوحشيات - دار المعارف مصر ١٩٦٣ م.

❖ : الحماسة ج ٢ ٠ مطبعة على صبيح الكتبى - القاهرة .

❖ أبو سليم، أنور : قراءة في معلقة طرفة بن العبد - مجلة - جامعة الملك سعود - م ٤ - الآداب - ٢ - ١٤١٢ هـ.

❖ أبو عبيدة : مجاز القرآن - ج ١ - تحقيق محمد فؤاد سرکين - مطبع الخانجي - مصر ١٩٥٤ م.

❖ الأزهري، عبد العزيز مزروع : الأسس المبكرة لدراسة الأدب الجاهلي - مطبعة العلوم - مصر الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ.

❖ الأسد، ناصر الدين : مصادر الشعر الجاهلي - دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .

❖ الأصفهاني، عماد الدين : خريدة القصر ج ٤ ج ٢ - تحقيق محمد نهجه الأثري - سلسلة كتب التراث - بغداد .

❖ الأصفهاني، عماد الدين : تكميلة خريدة القصر - قسم شعراء العراق - مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

❖ الأصمسي، أبو سعيد : الأصمسيات - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة .

- ❖ الأفغاني، سعيد : أسوق العرب - دار الفكر بدمشق ١٣٧٩ هـ .
- ❖ الأولي، محمود : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ج ٢ تحقيق محمد بهجهه الأثري - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ❖ الامام، أحمد : مسند ج ٣ - المكتب الاسلامي . بيروت .
- ❖ أمين، أحمد : فجر الاسلام - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٤ م .
- ❖ أنيس، ابراهيم : موسيقي الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م .

(بـ - تـ - ثـ)

- ❖ باقازى، عبد الله : رثاء النفس في الشعر العربي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة .
- ❖ البحتري : الحماسة - تحقيق لويس شيخو - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ❖ بدوى، أحمد : أساس النقد العربي - دار نهضة مصر .
- ❖ بدوى، عبد الرحمن : الموت والعبقرية - دار العلم - بيروت .
- ❖ البصري، حسن : الحماسة البصرية - تحقيق مختار الدين أحمد . عالم الكتب - بيروت .
- ❖ البكري، أبو عبيد : فصل المقال - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٣ هـ .
- ❖ : معجم ما استجم ج ١ - عالم الكتب - بيروت - تحقيق مصطفى السقا .
- ❖ بكار، يوسف : بناء القصيدة العربية - دار المعرف - القاهرة ١٣٧٩ هـ .
- ❖ البلاذري، أحمد : فتوح البلدان - تحقيق صلاح الدين المنجد - مكتبة النهضة المصرية .
- ❖ بلبع، عبد الحكيم : أدب المعتزلة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - مطبعة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .
- ❖ الثعالبي، أبو منصور : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - تحقيق محمد أبو الفضل - نهضة مصر ١٣٨٤ هـ .

(ج - ح)

- ❖ الجاحظ، أبو عثمان : البيان والتبين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٥ م .
- ❖ الجاحظ، أبو عثمان : الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .
- ❖ الجاسر، حمد : المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ج ١ - منشورات دار اليمامة بالرياض ١٤٠١ هـ .
- ❖ الجاسر، حمد : مجلة العرب ج ٦، ٥ س ١٧ .
- ❖ ابن حبيب، أبو جعفر : المحرر - تحقيق إيلزة ليحتن - المكتب التجاري - بيروت .
- ❖ ابن حزم، أبو محمد : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر .
- ❖ الحموي، ياقوت : معجم البلدان ج ٤ - دار أحياء التراث العربي - بيروت .
- ❖ الحوفي، أحمد : تيارات ثقافية بين العرب والفرس - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الثالثة .

(خ)

- ❖ الخالديان، أبو بكر وأبو عثمان : ديوانهما - تحقيق سامي الدهان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ❖ : الأشباء والنظائر ج ٢، ١ - تحقيق السيد محمد يوسف لجنة التأليف والترجمة والنشر - مكتبة وهبة بالقاهرة .
- ❖ : المختار من شعر بشار - تحقيق محمد العلوي - لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ❖ خضر، عبد العليم : الإنسان والأرض - الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٧ هـ .
- ❖ الخضيري، على : على بن المقرب العيوني - حياته وشعره - مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ .

❖ الخطيب، أحمد : شعر على بن المقرب العيوني - دار المريخ بالرياض ١٤٠٤ هـ .

❖ الخطيب، على : تاريخ من دفن بالعراق من الصحابة - ط١ - بيروت ١٩٧٤ م .

❖ الخطى، جعفر : ديوانه - عنانة - الخطيب على الهاشمي - مطبعة الحيدري - طهران ١٣٧٣ هـ .

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن : العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج٤ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٦ م .

❖ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ - دار صادر - بيروت .

❖ الخنizi، سعيد : مدينة الدراري - مطبع الرضا بالدمام ١٤١٤ هـ .

❖ : النغم الجريح - دار مكتبة الحياة - بيروت .

❖ : شيء اسمه الحب - مكتبة الأنجلو المصرية .

❖ : شمس بلا أفق - الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الطبيعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

❖ الخنizi، عبد الواحد : رسمت قلبي - مكتبة الأنجلو المصرية .

❖ الخواجا، زهدي : موازنة بين الحكمة في شعر المتتبّي والحكمة في شعر أبي العلاء المعربي - دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض ١٤٠٢ هـ .

(د - و - ز)

❖ ابن دريد، أبو بكر : جمهر اللغة - مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر أباد - الدكن ١٣٤٣ هـ .

❖ الراغب الأصفهاني : المحاضرات - مكتبة الحياة - بيروت .

❖ رباعية، موسى : قراءه في نونية المتقب العبدى - مجلة جامعة الملك سعود - الأداب - ٢/١٤١٢ هـ .

❖ الرقام العبدى : العفو والاعتذار - الرياض - مطبع جامعة الامام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ .

❖ الزمخشري، محمود : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - تحقيق سليم النعيمي - مكتبة العانى - بغداد .

❖ الزير، محمد : الحياة والموت في الشعر الأموي - الرياض - دار ميه للنشر والتوزيع
❖ ١٤١٠ هـ .

(س - ش)

❖ السجستاني، أبو حاتم : المعمرون والوصايا - تحقيق عبد المنعم عامر - دار أحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦١ م .

❖ سراج، نادر : شعراء الرابطة القلمية - دار المعارف بمصر .

❖ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ - دار صادر - بيروت .

❖ السهيلي، أبو القاسم : الروض الأنف - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

❖ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ - مكتبة المعارف - الرياض .

❖ السيد، عز الدين : التكرار بين المثير والتأثير - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - ١٣٩٨ هـ .

❖ ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة - تحقيق فهيم سكتوت، الناشر السيد حبيب أحمد - جدة - دار الأصفهاني الطبعة الثانية .

❖ ابن الشجري : الحماسة - تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي - دمشق ١٩٧٠ م .

❖ شرف الدين، عمر : الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة - مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

❖ الشريف المرتضى : أمالٍ - ج ١ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧ هـ .

(ص - ض - ط - ظ)

❖ صالح، مخيم : رثاء الأبناء في الشعر العربي - دار المنار - الزرقاء - الأردن ط ١ .

❖ الصفدي : الوافي بالوفيات - ج ٨ باعتماء محمد يوسف نجم - الناشر نرانز شنايدر فيسبادن - جمعية المستشرقين الألمانية .

❖ صفوتو، أحمد: جمهرة خطب العرب - المكتبة العلمية - بيروت .

❖ الضبي، المفضل : المفضليات - تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة .

❖ ابن طبا طبا : عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع - دار العلوم - الرياض ١٤٠٥ هـ.

❖ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢، ج ٧ - دار سويدان - بيروت .

❖ الظاهري، أبو تراب : وفود الاسلام - دار القبة للثقافة الاسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

(ع)

❖ العالم، اسماعيل : شعراء البحرين في العصر الجاهلي - رسالة ماجستير - مخطوط - جامعة القاهرة - كلية الآداب ١٩٧٤ م .

❖ عباس، احسان : ديوان شعر الخوارج - دار الشروق - بيروت ١٤٠٢ هـ .

❖ العقاد، عباس : شاعر الغزل - دار المعرف - سلسلة إقرأ العدد الثاني ١٩٥٥ م .

❖ : ساعات بين الكتب - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م - ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٢٩ م .

❖ عبد اللطيف، مصطفى : الحياة والموت في الشعر الجاهلي - بغداد ١٩٧٧ م .

❖ ابن عبد ربه : العقد الفريد - ج ٣ - تحقيق احمد أمين وآخرون - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨ م .

❖ آل عبد القادر، محمد : تاريخ الاحساء ج ١ - مكتبة المعرف - الرياض .

❖ العبيدي، محمد : التذكرة السعدية في الأشعار العربية - مكتبة الأهلية - بغداد - ١٩٧٢ م .

❖ عطوان، حسين : شعر الصعاليك في العصر الأموي - دار المعرف - مصر .

❖ العسقلاني، ابن حجر : الاصابة - ج ١، ٢، ٣، ٦ - تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١٤١٥ هـ .

❖ العسكري، أبو هلال : الصناعيين - تحقيق علي البيجاوي وأبو الفضل ابراهيم - عيسى البابي الحلبي .

❖ العقيلي، محمد : الخليج العربي في العصور الاسلامية - دار الفكر اللبناني - بيروت ١٤٠٣ هـ .

❖ علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ٤، ٨ - دار العلم اللبناني - بيروت ١٩٦٨ م .

❖ العوتي : الأنساب - ج ١ - وزارة التراث والثقافة - عمان ١٤٠٢ هـ .

❖ عويس، محمد : الحكمة في الشعر العربي - ج ١ - مكتبة الطليعة بأسيوط .

(ف - ق - ك)

❖ الفرج، سعود : شعراء مبدعون من الجزيرة العربية والخليج - ج ١ - القطيف - ١٤١٧ هـ .

❖ فراج، عبد الستار : مقدمة أخبار أبي نواس - مصر - مكتبة مصر .

❖ فضل الله، سهير : الفلسفة الانسانية في الاسلام - دار النهضة المصرية ١٩٧٨ م .

❖ القالى، أبو على : الامالى - ج ٢ - دار الفكر - بيروت .

❖ قيش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال - بيروت - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٩ .

❖ ابن قتيبة : أبو محمد - المعارف - تحقيق ثروت عكاشه - دار المعارف بمصر - ط ٢ .

❖ ابن قتيبة : الشعر والشعراء - تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

❖ القفطي، أبو الحسن : إنباه الرواہ - ج ٢ - القاهرة - دار الفكر العربي .

❖ قلعي، قدری : الخليج العربي - دار الكاتب العربي - ١٩٦٥ م .

❖ الكتبى، محمد : فوات الوفيات - مكتبة النهضة المصرية - تحقيق محي الدين عبد الحميد .

❖ الكفراوى، محمد : الشعر العربي بين الجمود والتطور - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الرابعة .

❖ ابن الكلبى : أنساب الخيل - تحقيق أحمد زكي - الدار القومية بالقاهرة - ١٩٦٥ م .

(م)

- ❖ المبارك، عبد الرحيم : قبيلة عبد القيس منذ ظهور الاسلام حتى نهاية العصر الاموي - نادي الشرقية الأدبي - ١٤١٥ هـ .
- ❖ المرتضى، الشريفي على : أماليه - ج ١ - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .
- ❖ المتقب العبدى : ديوانه - تحقيق الصيرفى - معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة - ١٣٩١ هـ .
- ❖ المرزباني، أبو عبيد الله : معجم الشعراء - تحقيق ن كرنكو - مكتبة القدس - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ❖ : أشعار النساء - تحقيق سامي العاني وهلال ناجي - عالم الكتب - بيروت - ط ١٤١٥ هـ .
- ❖ : الموشح - نهضة مصر .
- ❖ المسعودي، على : مروج الذهب - ج ١ - تحقيق محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت ١٣٩٣ هـ .
- ❖ ابن المعذل، عبد الصمد : شعره - تحقيق زهير زاهد - مطبعة النعمان بالنجف ١٩٧٠ م .
- ❖ المعيني، عبد الحميد : شعراء عبد القيس غي العصر الجاهلي - رسالة ماجستير مخطوطة - جامعة القاهرة - كلية الآداب ١٩٧٦ م .
- ❖ ابن المقرب العيوني : ديوانه - الاحساء - مكتبة التعاون الثقافي ١٩٨٨ م .
- ❖ الملائكة، نازك : قضايا الشعر المعاصر - دار العلم للملايين - الطبعة السابعة ١٩٦٢ م .
- ❖ ابن منظور، محمد : مختار الأغاني - الجزء الخامس - تحقيق عبد العزيز أحمد - الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ م .
- ❖ ابن منقد، أسامة : المنازل والديار - تحقيق مصطفى حجازي - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ❖ الميداني : مجمع الأمثال - تحقيق محي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٤ هـ .

(ن - هـ - و - بـ)

- ❖ نالينو : تاريخ الأدب العربية - دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية .
- ❖ النجم، عبد الرحمن : البحرين في صدر الاسلام - بغداد ١٩٧٣ م.
- ❖ النويري : نهاية الاردب - ج ٣، ج ١٨ - مصر نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد .
- ❖ هلال، محمد غنيمي : في النقد الأدبي - مكتبة الأنجلو المصرية .
- ❖ هداره، محمد : مقدمة كتاب سرقات أبي نواس - المهلل بن يموم - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ❖ ابن واصل الحموي : تجريد الأغانى - ج ٤ - شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة - كتاب التحرير .
- ❖ الوشاء : الفاضل في صفة الأدب الكامل - تحقيق يوسف يعقوب مسكوني - مطبعة شفيق - بغداد ١٩٧١ م .
- ❖ اليوسف، عبد العلي : القطيف وأضواء على شعرها المعاصر - مطبع الفرزدق التجارية بالرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

المؤلف في سطور

- د. محمد عثمان الملا - من مواليد الاحساء عام ١٣٦٣ هـ .
- دكتوراه في الأدب العربي القديم مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٤٠٢ هـ - جامعة الأزهر .
- الكتب المنشورة :
 - ** الاخوانيات في الشعر العباسي : باكورة انتاج نادي الشرقية الأدبي .
 - ** الحكمة في شعر بنى عبد القيس : الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع
- الكتب الجاهزة للنشر :
 - ** عروه بن الورد .. حياته وشعره .
 - ** الشعر الاخواني إلى نهاية العصر الأموي .
 - ** القيم الإنسانية في الشعر العربي .
 - ** الثقافة والخيال في شعر حافظ ابراهيم .
 - ** أدب بنى عبد القيس . قسم الشعر.
- إلى جانب العديد من الأبحاث والدراسات والمقالات المنشورة في مجلات محكمة وغيرها .
- المشاركة في اللجان :
 - عضو في عدة لجان داخل الجامعة وخارجها، منها لجنة مقتنيات المكتبة العامة، ولجنة مناسبة مؤسسة التأسيس، ولجنة تسمية شوارع المنطقة الشرقية، ولجنة تحكيم مطبوعات نادي الشرقية الأدبي، ورئيس لجنة الكتب والمواد العربية بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن .
- المساهمة في بعض المؤتمرات والندوات العلمية، واعداد بعض البرامج الأدبية للإذاعة السعودية، ومراجعة أبحاث لعدد من الزملاء، والمشاركة في تحكيم أبحاث خارج الجامعة وفحصها، ومناقشة بعض رسائل الدكتوراه والماجستير وتحكيمها.

نبذة عن قبيلة عبد القيس

عبد القيس من أكبر وأقدم القبائل العربية التي استوطنت منطقة الخليج العربي منذ سبعة عشر قرناً، وتفقفت مواهبها الأدبية على ضفافه، وقد أنجبت رجالاً بارزین في مختلف ميادين الحياة الأدبية والسياسية والدينية والعسكرية على مر العصور. كما ظهر فيها نساء بارزات في مجال الأدب والتربيـة. وهذا الكتاب يعني بجانب هام من أدب القوم، وهو الحكمة في شعرهم، ويمثل هذا الباب سنام الشعر العربي، حيث يجمع بين نورانية العقل ووهج العاطفة، فهو مدرسة يتعلم فيها المرء المثل العليا والقيم الرفيعة، ويعـد هذا الكتاب باكورة ما ألف حتى الآن في مجال حكمة عبد القيس على امتداد تاريخها الطويل، وهو يـشتمـل على أـجل وأـجمل ما أـنتـجوـه فيـ هـذـاـ المـوـضـوـعـ .